بسم الله الرحمن الرحيم

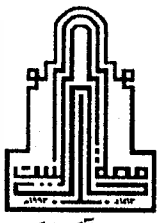

جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم
قسم اللغة العربية

أثر القرآن الكريم في شعر الجهاد حتى نهاية العصر الأموي
(١ هـ - ١٣٢هـ / ٦٢٢م - ٧٤٩م)

THE INFLUENCE OF THE HOLY QURAN ON THE POETRY OF AL-JIHAD UNTIL THE END OF THE UMAYYAD ERA (1 H - 132H / 622 - 749AD)

إعداد الطالبة:
سائرة فنا جوء دائيغ مينتو دائيغ عبد الكريم

إشراف:
الأستاذ الدكتور يحيى وهيب الجبوري

١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

أثر القرآن الكريم في شعر الجهاد حتى نهاية العصر الأموي
(١ هـ - ١٣٢هـ / ٦٢٢م - ٧٤٩م)

THE INFLUENCE OF THE HOLY QURAN ON THE POETRY OF AL-JIHAD UNTIL THE END OF THE UMAYYAD ERA (1 H - 132H / 622 - 749AD)

إعداد الطالبة:

سائرة فنادوء دائيغ مليننو دائيغ عبد الكريم

الرقم الجامعي: ٩٦٢٠٣٠١٠١٤

إشراف:

الأستاذ الدكتور يحيى وهيب الجبوري

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
أ. د. يحيى وهيب الجبوري	(مشرفاً ورئيساً)	
أ. د. عفيف محمد عبد الرحمن (جامعة اليرموك)	(عضواً)	
أ. د. عدنان عبيد العلي	(عضواً)	
د. محمد محمود الدروبي	(عضواً)	

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها بيوم الثلاثاء ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٦/١٢م

آيات في الجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)

(النساء : ٧٤-٧٦)

صدق الله العظيم.

إهـــداء

لَو أنَّ العلمَ يَفِي مثقالَ حبّكمَا لِي....
أو أن العملَ يغني بعضَ عطائِكُمَا السخِيّ....
لَمَا توقَّفْتُ في بذلِهمَـا لـيـلَ نَـهَـارٍ
لِأَرُدَّ أكـــفّاً دَاعِـيَـاتٍ
وَعُـيُـوناً سَـاهِـراتٍ

إليكُـمـا أهدي هُذَا الجهدَ الـمـتـواضـعَ
يا أغلىٰ مَـن فِـي الـوجـودِ....
أمِّي إيندوء مجدي بنت دائيغ مـرالـه
وأبي فناجوء بن دائيغ مـلـيـنـتـق

وَلِإخـوتي:
عمر وعبد الكريم وحمزة وإسماعيل وإبراهيم ومسـك
أحِبَّة الفؤادِ.... أسمٰى الأمنياتِ في تحقيقِ حُلمِ وَالِدَينـا

سائرة فناجوء دائيغ ملينتق دائيغ عبد الكريم

شكر وتقدير

الشُّكرُ لِلهِ تَعَالَى عَلَى عَظِيمِ فَضْلِهِ وَجَزِيْلِ مَنِّهِ أَنْ أَتَمَّ عَلَيَّ نِعْمَتَهُ، وَوَفَّقَنِيْ إِلَى إِنْجَازِ هٰذَا الْعَمَلِ خِدْمَةً لِدِيْنِهِ الْحَنِيْفِ.

كَمَا أَتَقَدَّمُ بِأَعْظَمِ التَّقْدِيْرِ وَخَالِصِ الْامْتِنَانِ وَجَزِيْلِ الشُّكْرِ لِأُسْتَاذِيْ الْعَزِيْزِ الفَاضِل الدكتور يَحْيَى وَهِيْب الجبُوْرِيّ الَّذِيْ شَرَّفَنِيْ بِالْإِشْرَافِ عَلَى هٰذِهِ الرِّسَالَةِ، وَالَّذِيْ رَعَاهَا مُنْذُ بِدَايَتِهَا بِكُلِّ صِدْقٍ وَأَمَانَةٍ، وَسَاهَمَ بِكَثِيْرٍ مِنْ وَقْتِهِ وَجُهْدِهِ، رَغْمَ كثرةِ انشغالِهِ، وَقَدَّمَ لِي الكثيرَ مِنَ الاقتراحاتِ البنَّاءةِ، والتَّوْجِيْهَاتِ السَّدِيْدَةِ والمُلاحظاتِ القَيِّمَةِ، مِمَّا كَانَ لَهُ أَثَرٌ كبيرٌ فِي إِنْجَازِ هٰذَا الْبَحْثِ، فَجَزَاهُ اللهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَمَتَّعَهُ بِالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَأَطَالَ عُمْرَهُ فِيْ حَيَاةٍ سَعِيْدَةٍ هَنِيْئَةٍ.

وَأَتَقَدَّمُ بِجَزِيْلِ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيْرِ لِأَسَاتِذَتِي الْفُضَلَاءِ أَعْضَاءِ لَجْنَةِ الْمُنَاقَشَةِ لِتَكَرُّمِهِمْ بِمُنَاقَشَةِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ، وَإِبْدَاءِ مُلَاحَظَاتِهِمُ الْقَيِّمَةِ، وَتَوْجِيهَاتِهِمُ النَّافِعَةِ الَّتِيْ سَتُكْمِلُ مَا نَقَصَ مِنْهَا، وَتُضِيْفُ مَا غَابَ عَنْهَا، فَجَزَاهُمُ اللهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

وَلَا أَنْسَى أَنْ أُسَجِّلَ خَالِصَ شُكْرِيْ وَتَقْدِيْرِيْ لِأَسَاتِذَتِي الْفُضَلَاءِ أَعْضَاءِ هَيْئَةِ التَّدْرِيْسِ فِيْ قِسْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِجَامِعَةِ آلِ الْبَيْتِ، وَلِكُلِّ مَنْ عَلَّمَنِيْ مُنْذُ نُعُوْمَةِ أَظْفَارِيْ.

وَيُسْعِدُنِيْ أَنْ أَتَوَجَّهَ بِجَزِيْلِ الشُّكْرِ وَخَالِصِ الْامْتِنَانِ إِلَى أَشِقَّائِيْ الْأَحِبَّاءِ لِدَعْمِهِمُ الْمَادِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ طَوَالَ رِحْلَتِي الْعِلْمِيَّةِ إِلَى أَنْ وَصَلْتُ هٰذِهِ الْمَرْحَلَةَ.

وَلَا يَفُوْتُنِيْ أَنْ أَتَقَدَّمَ بِالشُّكْرِ وَالْعِرْفَانِ لِجَامِعَةِ آلِ الْبَيْتِ الَّتِيْ تَقَبَّلَتْنِيْ طَالِبَةً فِيْ رِحَابِهَا، وَأَتَاحَتْ لِيْ فَضْلَ الانْتِمَاءِ إِلَيْهَا، وَلِوَزَارَةِ التَّرْبِيَةِ الْمَالِيْزِيَّةِ لِلْمُسَاعَدَةِ الَّتِيْ تُقَدِّمُهَا لِيْ، وَلِجَمِيْعِ مُوَظَّفِيْ مَكْتَبَاتِ جَامِعَةِ آلِ الْبَيْتِ وَجَامِعَةِ الْيَرْمُوْكِ وَالْجَامِعَةِ الْأُرْدُنِيَّةِ لِحُسْنِ تَعَاوُنِهِمْ وَطِيْبِ مُعَامَلَتِهِمْ.

وَلِأَخَوَاتِيْ الْحَبِيْبَاتِ، وَلِزُمَلَائِي الْأَعِزَّاءِ، وَلِكُلِّ مَنْ مَدَّ لِيْ يَدَ الْعَوْنِ وَالْمُسَاعَدَةِ حَتَّى أَنْجَزْتُ الدِّرَاسَةَ دَعَوَاتٌ خَالِصَاتٌ بِالتَّوْفِيْقِ وَسَدَادِ الْخُطَى.

الباحثة

فهرس المحتويات

آيات في الجهاد ..... ب
إهداء ..... ج
شكر وتقدير ..... د
فهرس المحتويات ..... هـ
الملخص باللغة العربية ..... ح
المقدمة ١
التمهيد ١٠
١-مفهوم الجهاد في الإسلام ١١
٢-مراحل تشريع الجهاد ١٢
الفصل الأول: موضوعات شعر الجهاد المتأثر بالقرآن الكريم ٢٧
المبحث الأول: الدعوة إلى الإسلام والحث على الثبات عليه ٢٨
المبحث الثاني: الحض على الجهاد ٤١
المبحث الثالث: الرثاء ٥٠
المبحث الرابع: الهجاء ٦٣
المبحث الخامس: المديح ٧٦
المبحث السادس: الفخر ٩٠
الفصل الثاني: استلهام الأفكار والمعاني القرآنية ٩٨
المبحث الأول: عوامل النصر الأولية ٩٩
المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى ١٠٠
المطلب الثاني: التقوى ١٠٤
المطلب الثالث: نصرة دين الله تعالى ١٠٧
المبحث الثاني: عوامل النصر عند اللقاء ١١٣
المطلب الأول: الصبر والمصابرة ١١٤
المطلب الثاني: الإخلاص ١١٨
المطلب الثالث: طاعة الله ورسوله ١٢٢

المطلب الرابع: الإيمان بحتمية الموت.....١٢٦
المطلب الخامس: التوكل الكامل على الله تعالى ١٣١
المطلب السادس: الإكثار من ذكر الله والدعاء.....١٣٤
المطلب السابع: الإمداد بالملائكة.....١٣٧
الفصل الثالث: الصور القرآنية في شعر الجهاد.....١٤٢
المبحث الأول: صورة المعارك الإسلامية ١٤٣
تمهيد: تعريف الصورة.....١٤٤
المطلب الأول: صورة الغزوات في زمن الرسول ﷺ ١٤٥
المطلب الثاني: صورة المعارك الإسلامية في
زمن الخلفاء الراشدين والأمويين ١٥٤
المبحث الثاني: صور قرآنية أخرى.....١٦٢
المطلب الأول: صورة الجنة.....١٦٣
المطلب الثاني: صورة النار ١٦٩
المطلب الثالث: القصص القرآنية ١٧٥
الفصل الرابع: أثر القرآن الكريم في معجم شعر الجهاد.....١٨٧
- القرآن الكريم ١٨٩
- الإيمان – الإسلام.....١٩٣
- الكفر – الشرك – النفاق ١٩٨
- النبي – الرسول ٢٠٤
- الشهادة والشهيد–الصلاة–الركوع–السجود–الزكاة–الصيام–الحج ٢٠٧
- الهدى – الضلال.....٢١٧
- الحمد لله.....٢٢٠
- بحمد الله ٢٢١
- رب العالمين ٢٢١
- ذو العرش ٢٢٢
- رب المشارق ٢٢٢

- رب الناس ٢٢٣
- نصر الله ٢٢٣
- في سبيل الله ٢٢٣
- معاذ الله ٢٢٤
- بحبل الله ٢٢٤
- رسول الله ٢٢٤
- أولياء الله ٢٢٥
- رحمة الله ٢٢٥
الخاتمة ٢٢٦
التوصيات ٢٢٧
قائمة المصادر والمراجع ٢٢٨
الملخص باللغة الإنجليزية ٢٤٧

الملخـــــص

أثر القرآن الكريم في شعر الجهاد حتى نهاية العصر الأموي

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن قضية مهمة من قضايا الأدب العربي وهـي أثـر القرآن الكريم في شعر الجهاد من عصر صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأمـوي. والجـهاد عبادة من أعظم العبادات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه، وفريضة من أهم الفرائض، فهو ذروة سنام الإسلام، وحصن هذا الدين، وسياج هذه الأمة، ومصدر عزتـها وكرامتـها، بـه تحفـظ الحرمات وتصان البلاد والأعراض والمقدسات، وتعلو راية الحق والإيمان، ويزهـق البـاطل وأهله، والجهاد سبيل النجاة وطريق الجنة.

وشعر الجهاد يمثل لوناً من ألوان الشعر العربي، وهـو أدق نمـوذج للنتـاج الشـعري الإسلامي، وبناء على ذلك يعـد المجال الطبيعي لاستبانة أثر القرآن الكريم في الشعر العربي.

ولقد تكونت الدراسة من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة؛ أمـا المقدمـة فتضمنـت أسباب اختيار الموضوع، والهدف من الدراسة، والمنهج المتبع فيها. وقد عرض التمهيد مفـهوم الجهاد في الإسلام، ومراحل تشريعه.

وجاء الفصل الأول معالجاً القضايا الموضوعية في شعر الجهاد المتأثر بالقرآن الكريـم، حيث قد تم تناول موضوعات الدعوة إلى الإسلام والحث على الثبات عليـه، والحـض علـى الجهاد، والرثاء، والهجاء، والمديح، والفخر.

ثم تعرض الفصل الثاني إلى الحديث عن الأفكار والمعاني القرآنية في شعر الجهاد، وقـد جمع فيه بين ذكر هذه القضايا كما وردت في القرآن الكريم، واستلهام الشعراء لها للإفصاح عن مشاعرهم، والتعبير عن أفكارهم. فالأفكار والمعاني القرآنية التي اسـتأثرت باهتمـام شـعراء المسلمين تتأطر في بيان عوامل النصر الأولية من الإيمان بالله تعالى، والتقوى، ونصرة دين الله تعالى، وكذلك في بيان عوامل النصر عند اللقاء من الصبر والمصابرة، والإخلاص، وطاعة الله ورسوله، والإيمان بحتمية الموت، والتوكل الكامل على الله تعالى، وكثرة ذكر الله والدعاء إليـه، والإمداد بالملائكة.

وانتقلت الدراسة في الفصل الثالث إلى الكشف عن الصور القرآنية التي احتذاها الشعراء، وأثرها في شعر الجهاد. وقد انصرف البحث إلى تسليط الأضـواء علـى صـورة المعـارك

الإسلامية التي حدثت أثنـــــاء نزول الوحي وبعدها، وصورة الجنة والنار، والصور القرآنيـــة التي وردت في سياق القصص التي استفاد منها الشعراء في أشعارهم، ثم بيـــان مـــدى قـــدرة الشعراء على التصوير وهم يعتمدون على صور ليست لهم في الأصل.

واتجه الفصل الرابع إلى توضيح أثر القرآن الكريم في المعجـــم الشـــعري مـــن ألفـــاظ ومصطلحات وتراكيب كثيرة التداول؛ في الإيمان والعقيدة وأركان الإسلام.

وبعد تلك الفصول الأربعة، عرضت الدراسة أهم النتائج التي توصلت إليها في الخاتمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــة

الحمـدُ للهِ ربِّ العـالمينَ، يَنصُـرُ مَـن يَنصُـرُ دِينَـه، وَيَرْعَـى شَـرَائِعَه وتعاليمَـه، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمّدٍ المجاهدِ الكبيرِ، الذي جَـاهَدَ فِـي اللهِ حَـقَّ جِـهَادِه، حتـى بَلَّغَ رِسالةَ اللهِ، وَأَدَّى أمانَتَه، ونَصَرَهُ اللهُ نَصْراً عَزِيْزاً كَرِيْمـاً، صلّـى اللهُ عليـهِ وعلـى آلِـه وصَحْبِهِ، الَّذِيـنَ كَـانُوْا كَمَـا وَصَفَـهم الله ﴿....أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ....﴾[1]، فَحَازُوْا شَرَفَ الدُّنْيَـا وَكَرَامَتَـها، وعِـزَّ الآخِـرَةِ وَسَـعَادَتَها، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَعَمَّنْ سَلَكَ طَرِيْقَهُمْ، وَسَارَ عَلَى نَهجِهم إلى يَـومِ الديـنِ، وبعـد،

فإنَّ هذه الدراسةَ هدَفتْ إلى الكشفِ عن قَضِيَّةٍ مهمَّةٍ من قَضَايا الأَدبِ العَرَبيِّ وهـي أثـرُ القرآنِ الكريمِ في شعرِ الجهادِ من عصرِ صدرِ الإسلامِ حتى نهايةِ العصـرِ الأمـويِّ، وشـعرُ الجهادِ يمثِّلُ لوناً من ألوانِ الشعرِ العربيِّ، والجهادُ عبادةٌ من أعظمِ العباداتِ التي يتقـرَّبُ بـها المسلمُ إلى ربِّه، وفريضةٌ من أهمِّ الفرائضِ، فهو ذُروةُ سَنامِ الإسلامِ وحِصْنُ هذا الدينِ وسِـياجُ هذه الأُمَّة ومَصدَرُ عِزّتِها وكرامتِها، به تُحْفَظُ الحرماتُ وتُصَانُ البِلادُ والأعراضُ والمقدّسـاتُ، وتعلُو رايةُ الحقِّ والإيمانِ ويَزهَقُ الباطلُ وأهلُه، والجهادُ سبيلُ النجاةِ وطريقُ الجنَّةِ.

وكانت الهجرةُ النبويةُ الشريفةُ من مكةَ المكرمةِ إلى المدينةِ المنورةِ إيذاناً ببَـدْءِ معركـةٍ حاميةٍ بينَ هاتينِ البلدتينِ وجهادِ أعداءِ اللهِ تعالى بالقتالِ انتصاراً للهِ ورسولِه وللدعوةِ الإسـلاميةِ حيثُ أنزلَ اللهُ تعالى على رسولِهِ ﷺ في العَامِ الثاني من الهجرةِ أوَّلَ آيةٍ أُنزِلَتْ فِـي إذنِـهِ لـه وللمؤمنينَ في الجهادِ بالقتالِ، قال اللهُ تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ*

---

(١) المائدة: ٥٤.

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ....﴾[١]، ثُمَّ حَرَّضَ اللهُ تعالىٰ المؤمنينَ على القتالِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ بأموالِهم وأنفسِهم بقولِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

وكانت الهجرةُ أيضاً إيذاناً بِبَدْءِ معركةٍ شعريَّةٍ بينَ شعراءِ البلدتينِ، فكانَ التصدّي للمشركينَ قد جَمَعَ فيهِ المسلمونَ بينَ الأمرينِ معاً: السِّنان واللِّسان، وذلك لأنَّ العربَ قد جُبِلوا في معاركِهم على الحربِ بالسيفِ والتراشقِ بالقصائدِ الشعريةِ التي تتضمَّنُ في ثناياها هجاءً مُقذِعاً، وقعُه على المشركينَ أشدُّ وَأنكىٰ مِنْ وَقْعِ السيوفِ الصارمةِ. وإذا لم يكنْ لِمكَّةَ المكرَّمةِ قبلَ الإسلامِ شعرٌ له قدرٌ يُذْكَرُ، فقد ظهَرَ لها شعرٌ ذو خَطرٍ أَفْرَزَتْهُ المعاركُ الإسلاميةُ، وبَدأتْ تَلمَعُ أسماءُ شعراء مِن أمثالِ أبي سفيانَ بنِ الحارثِ وعبدِ الله بنِ الزبعرى وضرارِ بن الخطاب وغيرِهم، وقد تَصَدّىٰ هؤلاءِ الشعراءُ للدعوةِ الإسلاميّةِ مهاجمينَ يُؤازِرهُمْ في ذلكَ بعضُ شعراءِ اليهودِ مِن مثلِ كعبِ بنِ الأشرف وبعضُ شعراءِ العربِ الذينَ وقَفوا محرِّضينَ مِن مثلِ أميَّةَ بنِ أبي الصَّلت، وقد تصدّىٰ لهؤلاءِ الشعراءِ مِن شعراءِ المسلمينَ حسَّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة.

وانطلقَ العربُ المسلمونُ بعدَ القضاءِ على الردَّةِ يَنشُرون دينَ اللهِ فيما حولَهم من البلادِ وهم يُنْشِدونَ أناشيدَ الجهادِ. وبَدأتْ حركةُ الفتوحِ واستمرَّتْ في العصرِ الأُمويِّ، فَضْلاً عن المعاركِ الضاريةِ في مَيادِينِ السنانِ واللسانِ، التي دارتْ بينَ الأحزابِ السياسيةِ العصبيةِ المتنازِعةِ على الخلافةِ. وانطلقَ الشعرُ العربيُّ معَ هذهِ الأحداثِ، يُسجِّلُ معاركَها ويصوِّرُ انتصاراتِ المسلمينَ وبلاءَ فُرسانِهم، ولَمعتْ في سماءِ الشعرِ أسماءُ شعراء جُدُدٍ، ربما لم يكونوا معروفِينَ مِن قبلُ، ولكن تَناقلَ الرُّواةُ قَصائدَهُمْ.

---

(١) الحج: ٣٩.

(٢) الصف: ١٠-١١.

ويُلاحَظُ أنَّ في أشعارِ هؤلاءِ الشعراءِ صَدَىً وَاسِعاً لأثرِ القرآنِ الكريمِ بألفاظِـــه وآياتِـــهِ ومعانيهِ وصُوَرِه، حيثُ تَسَلَّلَ هذا الأثرُ إلى لغةِ الشّعراءِ. وقد يَبدُو غريباً، ونحنُ نَعُـــدُّ شـــعرَ الجهادِ أناشيدَ بطولةِ الأمةِ، وسِجلَّ عِزِّها وخُلودِها، ألاَّ نَجِدَ في الدراساتِ الأدبيَّةِ عنايـــةً بشـــعرِ الشعراءِ المجاهدينَ في هذه المدَّة؛ بَلْ إننا لنُعْجَبُ أنَّ كثرتَهم مجهولُوْنَ ومغمورونَ وبعيدونَ عنِ الأضواءِ ومحرومونَ مِن الاحتفالِ بحياتهم وشعرِهِمْ.

وَمِنْ هُنا رأيتُ أَن أتَّخِذَ مِن شعرِ الجهادِ حتى نهايةِ العصرِ الأمويِّ موضوعـــاً لرســـالتي لشدَّةِ ارتباطِه بالقرآنِ الكريمِ، وأنْ أُفْرِدَ لهذا الموضوعِ دراسةً وافيةً أستقصِيْ فيها مـــا يمكننـــيْ استقصاؤُه مِن أثرِ القرآنِ الكريمِ في شعرِ الجهادِ في هذهِ الحِقبةِ، جاعلـــةً إيـــاهُ حُكْمِـــي الأوَّلَ والأخيرَ فِي الدراسةِ والتحليلِ، وما يمكن أن أنتهيَ إليهِ مِن نتائجَ.

مسوغات اختيار الموضوع

هناكَ عِدَّةُ أسبابٍ دَعتْنِيْ إلى اختيارِ هذا الموضوعِ، منها:

١- أنَّ هذا الموضوعَ لم يتطرَّقْ إليهِ باحثٌ، ولم تُغطِّهِ أيَّةُ دراسةٍ، مع أنهُ أُشـــيرَ إلـــى وجودِه من خلال سياقِ الحديثِ عن الأدب الإسلاميِّ أو الاتجاه الدينـــيِّ فـــي الأدب العربيِّ أو من خلالِ الدراساتِ التي تناولت شعرَ الفتوحِ الإسلاميَّةِ.

٢- الرغبةُ الكبيرةُ في معالجةِ موضوع يتعلَّق بأدبٍ إسلامي.

٣- ضرورةُ استكمالِ الدراساتِ التي تُعْنى بأثرِ القرآنِ الكريمِ في الشعرِ العربيِّ.

٤- تفرُّق موضوعِ أثرِ القرآنِ الكريمِ في شعرِ الجهادِ في بطونِ الكتبِ الأدبيَّةِ المتعـــدِّدةِ وثنايا الكتبِ اللُّغويَّةِ والبلاغيةِ المتناثرةِ وغيرِها. فكان هذا الواقعُ دافعاً قوياً لجمعِـــه وتصنيفِه وتأليفِه وترتيبِه وبسطِ القول فيه.

٥- حاجة حَمَلَةِ العلم في هذا الزمان إلى كتاب واحد يجمع شَتَاتَ الموضوع بدراسة علميَّةٍ عميقةٍ معزَّزةٍ بالشواهد والأدلَّةِ الملائمة حتى يسهُلَ تَتَبُّعها ومناقشتها وإعادة تقويمها بما يواكب التطوُّرَ العلميَّ.

ومما زاد في إصراري على تناول هذا الموضوع، التشجيع من أساتذة فضلاء ذوي الخبرة والكفاءة في هذا التخصُّصِ الأدبيِّ الذي له مساس بالاتِّجاهِ الدينيِّ.

أدبيات الدراسة

على الرغم من كثرة الكتب والدراسات التي تناولت شعر صدر الإسلام والعصر الأمويّ، لم أعثر على أي كتاب أو رسالة أو بحث يتناول هذا الموضوع. ولعلَّ أقربَ الدراسات التي تَمَّتْ إلى هذا الموضوع بصلة:

١-كتاب "**أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأوّل الهجريّ**" للدكتورة إبتسام مرهون الصفار. هذا الكتاب يتحدَّثُ عن أثر القرآن الكريم في الشعر والخُطَبِ والوصايا والرسائل في عصر صدر الإسلام والعصر الأمويّ. وقد أوردت المؤلِّفة بعض الأبيات الشعرية التي لم تبلغ عدد الأصابع من شعر الجهاد المتأثِّر بالقرآن الكريم ولكنها لم تُفْرِدْه في كتابها هذا، وإنما تناولته مثالاً كغيره من الأشعار.

٢-كتاب "**شعر الفتوح الإسلاميَّة في صدر الإسلام**" للدكتور النعمان عبد المتعال القاضي. هذا الكتاب يبحث في شعر الفتوحات الإسلاميَّة في الشرق والشام ومصر وإفريقيا والعراق وخراسان وشعرائه وموضوعاته. وقد أشار المؤلِّف إشارةً عابرةً إلى بعض آثار القرآن الكريم في شواهده الشعريَّة للشاعر النابغة الجعديِّ في ثلاثِ صفحاتٍ من كتابه.

٣-رسالة ماجستير بعنوان "**شعر الفتوح الإسلاميَّة في العصر الأمويّ**" للباحث إبراهيم محمد غماري المغربيّ. تتضمَّن هذه الرسالة تعريفاً بمناطق الفتوح الشرقيَّةِ والشماليَّةِ والغربيَّةِ، ودراسةً تاريخيَّةً لحركة الفتوح في هذه المناطق، ومصادر الشعر وقائليه وموضوعاته وخصائصه وطوابعه الفنِّيَّة. والباحث كسابقه تحدَّث في صفحتين فقط من أصل رسالته عن المؤثِّرات الإسلاميَّة في هذا الشعر.

٤-كتاب "**شعر الحرب حتى القرن الأوَّل الهجريِّ**" للدكتور نوري حمودي القيسي، وهو كتاب يتحدث عن شعر الحرب منذ الجاهليَّة حتى نهاية القرن الأوّل الهجريّ بأُسلوبٍ إنشائيٍّ مع قلَّةٍ واضحة في الشواهد الشعرية التي تُؤَيِّدُ التحليل الإنشائيَّ عن المدة التي يغطِّيها الكتاب وعدم بيان آثار القرآن الكريم في تلك الشواهد.

٥-كتاب "**شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأمويّ والعباسيّ إلى عهد سيف الدولة**" للدكتور زكي المحاسني. ويتَّضح من العنوان ما يحتويه الكتاب. وقد أفرد المؤلِّف ما يقارب مائة صفحةٍ فقط من أصل كتابه الذي يقع في ثلاثمائة وستين صفحةً للحديث عن الشعر الحربي في العصر الأمويِّ وتأثير الشعر السياسيِّ في الشعر الحربيِّ والخصائص العامَّةِ لهذا الشعر في تلك المدة. والمؤلِّفُ كسابقه لم يشر إلى أثر القرآن الكريم في الشواهدِ الشعريَّة التي أتى بها في كتابه هذا.

٦-كتاب "**شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**" للدكتور يحيى وهيب الجبوري. ذكر فيه المؤلف الشعراءَ المخضرمين من مسلمي المدينة المنوَّرة والمهاجرين وأشعارهم المتأثِّرة بالإسلام بما فيها وصف للأحداث الإسلامية كغزوات الرسول ﷺ والمعارك في عهد الخلفاء الراشدين؛ كما ذكر فيه الشّعراء المخضرمين المعارضين في مكّة المكرّمة والطائف والقرى اليهوديّة.

فلم تتخصَّص هذه الدراساتُ ولا غيرُها بما يتعلَّق بأثر القرآن الكريم في شعر الجهاد في عصر صدر الإسلام والعصر الأمويِّ، فهذا الموضوع جديد بين أقرانه.

إشكالية الموضوع

هدفت هذه الدراسة إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما أثر القرآن الكريم في شعر الجهاد من عصر صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأموي؟

وقد تفرع من هذا السؤال أسئلة أخرى وهي:

١- لماذا اختير شعرُ الجهاد بالذات للبحث في أثر القرآن الكريم فيه؟

٢- ما أكثر القضايا التي استدعت التأثّرَ بالقرآن الكريم في مجال شعر الجهاد؟

٣- كيف أفاد الشعراء من القرآن الكريم فَنيًّا؟

٤- هل أفادوا من المعاني القرآنية فحسب؟

٥- هل اقتبسوا عبارات قرآنيَّة؟

٦- هل وظَّفوا العبارات القرآنيَّة في سياق جديد؟

٧- هل أغنت العبارات القرآنية النصَّ الشعريَّ فجعلته أجمل أُسلوباً؟

وغير ذلك من الأسئلة التي كانت الإجابةُ عنها محور هذه الدراسة.

حدود المشكلة

انحصرت الدراسة في شعر الجهاد الذي قيل في عصر صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأمويِّ سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م. وليس في كلِّ شعر الجهاد في تلك المدة بل الشّعر الذي تظهر فيه الآثار القرآنيةَّ. وجديرٌ بالذكر أن الحدود المكانيَّة تتجاوز مكّة المكرّمة والمدينة المنوَّرة إلى أرجاء كثيرة من الجزيرة العربية ومناطق الفتوح في عصر صدر الإسلام والعصر الأمويِّ مثل العراق وخراسان والشام ومصر وإفريقيا وأقاليم أرمينية وأذربيجان وبلاد المغرب وغيرها من المناطق التي قيل فيها شعر الجهاد الذي هو محور الدراسة.

ومن الناحية الموضوعية فإن هذه الدراسة تناولت شعر الدعوة إلى الإسلام، والدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الإسلام والمسلمين، وكذلك الشعر الذي قيل رداً على شعراء المشركين، كما تناولت شعر الجهاد الذي قيل في الغزوات والمعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين سواء الذي قيل قبلها أو في أثنائها أو بعدها، وشعر الوفود التي أتت من أنحاء الجزيرة العربية إلى المدينة المنوّرة في عام الوفود،فضلاً عن شعر الفتوحات وشعر الجهاد الذي برز عند الفرق الإسلامية المختلفة في تلك الآونة، مثل الشيعة والخوارج والزبيريين والسلطة الحاكمة (الأُمويين)؛ إذ

كان لكل فريق منهم وجهةُ نظرٍ خاصّةٌ في فهمه للجهاد وبلورته في إطار الشّعر الـذي خلَّـدَ ذكرَهـم ومنهجيَّةَ فكرِهم في التاريخ العربيِّ الإسلاميّ.

وقد تمت -بحمد الله تعالى- دراسةُ هذا الشعر من الناحيتين الموضوعيةِ والفنِّيَّة.

الفرضيـــات

هدفت هذه الدراسة إلى اختبار فرضية رئيسة مفادها أثر القرآن الكريم في شعر الجـــهاد حتى نهاية العصر الأموي.

وانبثقت عن هذه الفرضية فرضيتان فرعيَّتان:

١. أثر القرآن الكريم في موضوعات شعر الجهاد حتى نهاية العصر الأموي.

٢. أثر القرآن الكريم في شعر الجهاد حتى نهاية العصر الأموي من الناحية الفنّية.

المنهجيـــة

قام منهج هذه الدراسة على الأسس الآتية:

١- فرز المادَّة الشعريَّة التي قيلت من خلال هذه المدة، وهـذا يقتضـي الرجـوع إلـى مصادرها من الدواوين الشعريَّة والكتب الأدبيَّة والتاريخيَّة وكتب التراجم وغيرها.

٢- معرفة الآيات القرآنية التي كان لها أثر في ذلك الشعر لرصد ظاهرة التأثُّرِ بالقرآن الكريم.

٣- دراسة الموضوعات الشعريَّة التي تناولها هذا الشـعر فضـلاً عـن الحديـث عـن الخصائص الفنِّيَّة لهذا الشعر مدعَّماً بالأمثلة الشعريَّة.

وبمعنى آخر فإن هذه الدراسة استعانت بالمنهج الوصفيِّ التحليليِّ في دراسة شعر الجـهاد في عصر صدر الإسلام والعصر الأمويِّ للوقوف على أثر القرآن الكريم فيه.

مصادر البحـــث

أفدت في عملي هذا من كتب المتقدمين من علماء الإسلام والعربية؛ فمن كتب التـــاريخ: "**السيرة النبوية**" لابن هشام، و"**تاريخ الطبري-تاريخ الأمـــم والملـــوك**" للطـــبري، و"**البدايـــة والنهاية**" لابن كثير. ومن كتب الأدب: "**الشّعر والشعراء**" لابن قتيبة و"**الكامل في اللغة والأدب**" للمبرد و"**الأغاني**" للأصفهاني. ومن كتب المعاجم "**معجم مقاييس اللغة**" لابن فارس، و"**لســـان العرب**" لابن منظور. ومن الدواوين الشعرية: "**ديوان حسان بن ثابت**"، و"**ديوان كعب بن مالك**" و"**ديوان عبد الله بن رواحة**" و"**ديوان جرير**" و**ديوان الفرزدق**". ومن الكتب الفقهية: "**المبسوط**" للسرخسي، و"**بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**" للكاساني و"**رد المحتار على الدر المختار**" لابن عابدين. ومن كتب التفسير: "**روح المعاني**" للألوســـي، و"**الكشـــاف**" للزمخشـــري، و"**حاشـــية الشهاب على تفسير البيضاوي**" للشهاب الخفاجي.

ومن الكتب الحديثة، أفدت من كتب أستاذي، الدكتور يحيى وهيب الجبوري خاصة:"**الشعر الجاهلي - خصائصه وفنونـــه**"و"**شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**". ومن كتـــب الدكتـــور شوقي ضيف: "**التطوّر والتجديد في الشّعر الأموي**" و"**الفن ومذاهبه في الشّعر العربيّ**". ومـــن كتب الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي لا سيما كتابه "**شعر الفتوح الإســـلامية فـــي صـــدر الإسلام**". ومن كتاب الدكتور محمّد مصطفى هدارة "**اتجاهات الشّعر العربيّ في القرن الثـــاني الهجري**". ومن كتاب الدكتور وهبة الزحيلي "**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**" ، ومن رسالة ماجستير للباحث محمد ناصر بوحجام "**أثر القرآن في الشعر الجزائـــري الحديـــث**" وغير ذلك ممّا أشرت إليه في موضعه.

وبعد،

فأودُّ أن أذكر ههنا أنَّني بَذَلْتُ كلَّ ما في طاقتي وجهدي في إعداد هذا البحث، وإن كنـــتُ أعلم أنّها طاقة ضعيفة وجهد محدود، فلستُ أدَّعِي أنَّني ألممتُ بكافَّةِ الجوانب في أثـــر القـــرآن الكريم في حياة شعر الجهاد، لكنني وضعتُ في هذا البحث خلاصة ما اطَّلعتُ عليه وما اكتسبتُه من معلومات، وإن كانت متواضعة.

إن تجرُبتي في هذا البحث أَوْقَفَتْنِي على حقيقة ما ذكره العِمَادُ الأصفهاني حين قال: "إنني رأيتُ أنه لا يكتب أحدٌ كتاباً في يومه إلاّ قالَ في غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زِيدَ هذا لكان يُسْتَحْسَن، ولو قُدِّم هذا لكان أفْضَل، ولو تُرِكَ هذا لكان أَجْمَل، وهذا من أعْظَمِ العِبَرِ، وهو دليلٌ على استيلاء النقصِ على جملةِ البشر".

فالكمال لله وحدَه، وحَسْبِيْ أَنَّنِيْ بَذَلْتُ ما استطعتُ من جهد، فإن وُفِّقْتُ فيه إلى الصواب، وذلك ما كنتُ أبغي، فمن الله وحدَه، وإن يكن غيرَ ذلك فمن نفسي، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله العلي العظيم، له الحمد في الأُولى والآخرة وله الحكم.

التمهيـــــد

١ـ مفهوم الجهاد في الإسلام

٢ـ مراحل تشريع الجهاد

١- مفهوم الجهاد في الإسلام

للجهاد في الإسلام مكانة عظيمة، لذا توجَّهت همَّةُ الشّعراء المسلمين الأُصلاء إليه وحَظِيَ بعنايتهم في انفعالاتهم الوُجدانية وحروفهم الخالدة. وستدرس الباحثة ذلك وِفق الترتيب المنهجي ممهِّدةً لذلك بالبحث في الدَّلالات اللغوية ثمّ التعريفات الاصطلاحية، وتُدْرِجها الباحثةُ على النحو التالي.

الجهاد لغة

قال ابنُ فارس في معنى "جهد" الجيم والهاء والدال أصله المشقَّة، ثمّ يُحْمَل عليه ما يقاربه؛ يقال: جهدتُ نفسي وأجهدتُ، والجُهْد: الطاقة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[١]. ويقال: إنّ المجهود اللَّبَن الذي أُخْرِج زُبده، ولا يكاد ذلك يكون إلاّ بمشقَّة ونَصَب"[٢].

وقال ابن منظور: "الجَهد: المشقة والجُهد: الطاقة"[٣]، وقال في موضع آخر: "وجاهد العدو مجاهدة وجهاداً: قاتله.... وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل"[٤].

ويبدو أن الفرق بين فتح الجيم وضمها؛ أن الفتح ينصرف إلى المشقة والمبالغة والغاية، وأما الضم فيكون بمعنى الوسع وبذل الطاقة[٥]، ولا يخفى أن بينهما تداخلاً؛ فمن بذل وسعه وطاقته فلا بد من أن يناله مشقَّة، ولكن إذا عظمت هذه المشقَّة وأشرفت على الغاية كانت جَهْداً، فلا تستحق إلاّ هذه التسمية بفتح الجيم لا بضمها[٦].

والجهاد بكسر الجيم مصدر جاهدت العدو مجاهدة وجهاداً وأصله جيهاد كقيتال فخفِّف بحذف الياء وهو مشتقٌّ من الجَهد بفتح الجيم وهو التعب والمشقَّة لما فيه من ارتكابها أو من الجُهد بالضم وهو الطاقة لأن كل واحد منهما بذل طاقته في دفع صاحبه[٧].

وعلى ذلك فقد جمع لفظ الجهاد بين ذينك المعنيين اللغويين؛ لكون آثارهما ظاهرة فيه[٨].

---

(١) التوبة: ٧٩.

(٢) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ج١، ص٤٨٦-٤٨٧.

(٣) ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٣، ص١٣٣.

(٤) ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج٣، ص١٣٥.

(٥) ينظر: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمّد بن الأثير (ت٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٦) ناصر بن عبدالرحمن، **النظم القرآني في آيات الجهاد**، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٦م، ص٢٠.

(٧) القسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمّد الشافعي (ت٩٢٣هـ)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ضبط وتصحيح محمّد عبد العزيز الخالدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ج٦، ص٢٧٥.

(٨) ناصر بن عبد الرحمن، **المرجع نفسه**، ص٢٠.

الجهاد اصطلاحاً

فسّر الرسول ﷺ الجهاد فيما رواه عنه الإمام أحمد في مسنده عن عمرِو بن عَبَسَة ﷺ قال: "قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: أن يُسْلِمَ قلبُك لله ﷻ، وأن يَسْلَمَ المسلمون من لسانك ويدك، قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة، قال: فما الهجرة؟ قال: تَهْجُرُ السوء، قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد، قال: وما الجهاد؟ قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم، قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال: من عُقِرَ جوادُه وأُهْرِيْقَ دمُه، قال رسول الله ﷺ: ثمّ عملان هما أفضل الأعمال إلاّ من عمل بمثلهما، حَجَّةٌ مبرورة، أو عمرةٌ"(١).

وبمثل هذا التفسير للجهاد الوارد عن الرسول ﷺ فَسَّرَ العلماء الجهاد؛ فقد جاء في كتب الحنفية بأنه بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله ﷻ بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك أو المبالغة في ذلك(٢)، وبأنه الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله(٣).

وقال ابن حجر العسقلاني: "وشرعاً بذل الجهد في قتال الكفار"(٤)، وقال صاحب كتاب الزوائد: "الجهاد وهو قتال الكفار خاصة"(٥).

ولا فرق بين هذه التعريفات إلاّ زيادة "الدعاء إلى الدين الحق" المذكور في كتب الحنفية، وهو وإن لم يذكر في التعريفات الأخرى قيد لا بد منه فإن نصوص القرآن الكريم(٦) والسنة

---

(١) أحمد بن محمّد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، **المسند**، تحقيق أبي المعاطي النوري وآخرين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨م، ج٥، ص٨٠٩، الحديث رقم ١٧١٥٢.

(٢) الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود (ت٥٨٧هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، تحقيق محمّد عدنان بن ياسين درويش، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٨م، ج٦، ص٥٧.

(٣) ابن عابدين، محمّد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي (ت١٢٥٢هـ)، **رد المحتار على الدُّر المختار**، تحقيق محمّد صبحي حسن حلاق وعامر حسين، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٩٨م، ج٦، ص١٤٩، وينظر: ابن الهمام، محمّد بن عبد الواحد (ت٨٦١هـ)، **شرح فتح القدير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٥، ص١٩٥-١٩٦.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط١، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٩٩٧م، ج٦، ص٥.

(٥) آل حسين، محمّد بن عبد الله (ت١٣٨١هـ)، **الزوائد**، ط٢، مكتبة دار البيان، القاهرة، د.ت، ج١، ص٣٣٤.

(٦) ينظر مثلاً قوله تعالى في: سورة النحل:١٢٥، وسورة الغاشية:٢١.

النبوية دلّت عليه وكذلك سيرة رسول الله ﷺ[١] والسلف الصالح[٢]، وعدم ذكره لوضوحه فلا يكون القتال إلاّ بعد الدعوة والامتناع عن قبولها[٣].

وكل هذه التعريفات ليست شاملة لكل أنواع الجهاد التي يجب على المسلم أن يحققها في نفسه وفي غيره.

ولعلَّ أشمل تعريف للجهاد -في رأي الباحثة- هو ما ذكره ابن تيمية حيث قال: "والجهاد هو بذل الوسع، وهو القدرة في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق"، وقال في موضع آخر: "وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان"[٤].

وأما محمّد علي السايس فقال: "الجهاد هو بذل الطاقة واستفراغ الوسع في مدافعة العدو"[٥]، وهو قسمان عظيمان تحت كل منهما أنواع[٦]:

---

(١) فقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً قَطّ إلاّ دعاهم"، **المسند**، ج١، ص٦٢٧، الحديث رقم ٢١٠٥. وفي غزوة خيبر أعطى النبي ﷺ عليّاً ﷺ الراية ليفتح أحد حصونها، فقال علي: "يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ: انفُذْ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَعَم" أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، الحديث رقم ٤٢١٠، ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج٧، ص٥٩٤.

(٢) فقد أمر عمر بن عبد العزيز أمراء جيوشه أن لا ينزلوا بأحد من العدو إلاّ دعوهم. ينظر: الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ)، **المدونة الكبرى**، تحقيق حمدي الدَّمرداش محمد، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٩م، ج٢، ص٥٨٢.

(٣) ينظر: عبدالكريم زيدان، **المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم**، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ج٤، ص٤٣٢، وعمر أحمد عمر، **الجهاد في سبيل الله**، ط١، دار المكتبي، دمشق، ١٩٩٩م، ص١٨٣-١٨٧، وعبد الله غوشة، **الجهاد طريق النصر**، منشورات وزارة الأوقاف، عمان، ١٩٧٦م، ص١١٧-١١٩، ومحمد متولي الشعراوي، **الجهاد في الإسلام**، ط١، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٤٨، ورؤوف شلبي، **الجهاد في الإسلام منهج وتطبيق**، مجمع البحوث الإسلامية، د.م، ١٩٨٠م، ج١، ص١٣٧-١٣٩.

(٤) ابن تيمية، أحمد بن تيمية الحرّاني (ت٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، ط١، دار الوفاء، المنصورة-مصر، ١٩٩٧م، ج١٠، ص١١٤-١١٥.

(٥) محمّد علي السايس، **تفسير آيات الأحكام**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، م٢، ج٣، ص٩١.

(٦) محمّد علي السايس، **المرجع نفسه**، م٢، ج٣، ص٩١-٩٢، وينظر: علي عبد الحليم محمود، **ركن الجهاد أو الركن الذي لا تحيا الدعوة إلاّ به**، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ميدان السيدة زينب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٦. وينظر أيضاً: محمّد نعيم ياسين، **الجهاد ميادينه وأساليبه**، ط١، مكتبة الأقصى، عمّان، ١٩٧٨م، ص٩ وما بعدها. ومحمد جمعة عبد الله، **وسائل النصر من القرآن والسنة**، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٧.

فالقسم الأوّل: جهاد العدو الباطن، ويشمل جهاد النفس والشيطان ويكون بمخالفة هوى النفس ومدافعة وساوس الشيطان.

والقسم الثاني: جهاد العدو الظاهر، ويضم ثلاثة أنواع وهي جهاد الكفار وجهاد المنافقين وجهاد أهل الظلم والبدع والضلالات ومن إليهم. ويكون جهاد الكفار والمنافقين بالحجة والبرهان كما يكون جهاد الكفار أيضاً بالسيف والسنان، وأما جهاد الظالمين والفاسقين فيكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهذان التعريفان يشملان كل أنواع الجهاد من الدعوة وإصلاح النفس وقتال الأعداء الّذين حالوا دون نشر الدعوة أو اعتدوا على المسلمين، لإفساح المجال أمام الدعوة الإسلامية الهادفة إلى رفع الظلم ونشر العدل وتحكيم موازين الحق في الأرض[١].

فقد يستخدم الجهاد في النصوص الشرعية على أنه أوسعُ مدى وتناولاً من القتال وأنه يعني بذل الجهد مطلقاً في قتال وغير قتال[٢] كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ....﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿....وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[٤]. ويستخدم الجهاد أيضاً على غير قتال الكفار كما جاء في قوله ﷺ: "المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله...."[٥]، وقوله ﷺ للذي استأذنه في الجهاد: "لك أبوان؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد"[٦].

---

(١) ينظر: أحمد محمّد خلف المومني، "التعبئة الجهادية في الإسلام"، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٥م، ص٤، وعبد الله بن أحمد القادري، **الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته**، ط١، دار المنارة، جدة، ١٩٨٥م، ج١، ص٥٠، ومحمد عبد العزيز أبو سخيلة، **أحكام الجهاد في الإسلام**، د.ن، د.م، د.ت، ص٧٦.

(٢) ينظر: الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٩، ص١٩١ و ٣٩٨.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) الفرقان: ٥٢.

(٥) ابن القيم الجوزي، أبو عبد الله محمّد بن بكر (ت٧٥١هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، م١، ج٢، ص٣٨.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يجاهد إلاّ بإذن الوالدين، الحديث رقم ٥٩٧٢، ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٠، ص٤٩٥.

ولكن لفظ الجهاد إذا أطلق فالمراد به قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى ولا ينصرف إلى غير القتال إلاّ بقرينة تدل على المراد[١] كما في الحديثين السابقين. يقول ابن رشد: "وجهاد السيف: قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلاّ أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلاّ على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"[٢].

ومما يدل على أن الجهاد إذا أطلق ينصرف إلى قتال الكفار ما يلي:

أولاً: إنّ معنى كلمتي الجهاد والقتال يترادف في عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ....﴾[٣]، فالقتال في سبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين[٤]. وقوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ....﴾[٥]، فالجهاد بالنفس في هذه الآية هو مرادف للقتال كما هو المتبادر[٦]. وهذا الترادف هو الذي رسّخ في الأذهان كون الجهاد هو بمعنى القتال[٧].

ثانياً: هناك أحاديث نبوية تدل على أن المراد بالجهاد هو قتال الكفار، منها ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دُلَّني على عمل يعدِل الجهاد، قال: لا أجده، قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقومَ ولا تَفْتُرَ، وتصومَ ولا تُفْطِرَ؟ قال:

---

(١) ينظر: القسطلاني، **إرشاد الساري**، ج٦، ص٢٧٥، وعلي بن نفيع العلياني، **أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه**، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٥م، ص١١٧، وعبد الباقي رمضون، **الجهاد سبيلنا**، ط٢، مؤسسة الرياض، بيروت، ١٩٩٠م، ص١١. وعطية صقر، "معنى الجهاد وميادينه"، **المجتمع**، العدد ١٤٢٤، الكويت، ٢٠٠٠م، ص٥٨.

(٢) ابن رشد، محمّد بن أحمد بن رشد (ت٥٢٠هـ)، **مقدمات ابن رشد**، تحقيق حمدي الدَّمَرداش محمد، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص٢٨٢٩.

(٣) البقرة: ١٩٠.

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، **الكشاف**، تحقيق عبدالرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٦٢.

(٥) التوبة: ٤١، وينظر أيضا قوله تعالى في سورة النساء: ٩٥.

(٦) ينظر: الفخر الرازي، أبو عبد الله محمّد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، **التفسير الكبير**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م، م٦، ج١٦، ص٥٦.

(٧) ينظر: محمّد عزة دروزة، **الجهاد في سبيل الله في القرآن والحديث**، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٧٥م، ص٥.

ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة: إنّ فرس المجاهد لَيَسْتَنُّ في طِوَلِه، فيُكْتَبُ لـه حسنات"[١]. فدلالة هذا الحديث على المراد ظاهرة، فالقيام والصيام هما من جهاد النفس ومع هذا قال رسول الله ﷺ: "لا أجده" أي لا أجد ما يعدل الجهاد، فدل على أن المراد بالجهاد إذا أطلق هو قتال الكفار لا مجاهدة النفس.

وروى أبو هريرة ﷺ أيضاً قائلاً: قال النبي ﷺ: "من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نُبَشِّرُ الناس؟ قال: إنّ في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض...."[٢]، فقد سمّى رسول الله ﷺ من جلس في أرضه غير مجاهد مع أنه يجاهد نفسه على الصلاة والصيام ونحو ذلك من الجهاد النفسي على التكاليف الشرعية.

ثالثاً: هناك بعض الأخبار التي تستعمل كلمة "الجهاد" بمعنى القتال، يفهم ذلك من خلال قرينة دالّة على ذلك، منها خطبة علي بن أبي طالب ﷺ حيث قال فيها: "أمّا بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصّة أوليائه.... ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم...."[٣]، فكلمة "القتال" قرينة في بيان قوله: "فإن الجهاد باب من أبواب الجنة"، والمراد بالجهاد هنا القتال في سبيل الله.

وكذلك قوله في خطبته يحثّ فيها على القتال: "أفٍّ لكم، لقد سئمت عتابكم!! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عِوَضاً، وبالذل من العز خَلَفاً؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة...."[٤]، وهذه القرينة قرينة مقامية، فهي بيان لحالة الجو السائد آنذاك، فقد كان جوّاً قتالياً، لذلك يكون معنى كلمة "الجهاد" في كلام الإمام علي دالاً على القتال بالمفهوم الفقهي الشرعي[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، الحديث رقم ٢٧٨٥، ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج٦، ص٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، الحديث رقم ٢٧٩٠، ينظر: ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٦، ص١٥، وينظر: ص١٦.

(٣) الرضيّ، أبو الحسن محمّد بن أبي أحمد الحسين (ت٤٠٤هـ)، **نهج البلاغة**، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت، ج١، ص٦٣-٦٤، الخطبة رقم ٢٦.

(٤) الرضي، **المصدر نفسه**، ج١، ص٧٨، الخطبة رقم ٣٣.

(٥) ينظر: الركابي، **الجهاد في الإسلام**، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧م، ص١٧.

رابعاً: من الملاحظ أن علماء الإسلام من الفقهاء والمُحْدَثِين إذا بوّبوا كتبهم للحديث عن الجهاد فالمراد به الجهاد القتالي في سبيل الله لا مجاهدة النفس.

وجدير بالذكر أن لفظ "الجهاد" بمعنى القتال في سبيل الله قد استخدمته كل الفرق الإسلامية في الحروب الداخلية التي يسمونها "قتال البغاة" منذ أن كانت الوقعة الأولى، وهي معركة الجمل، فقد نادى أتباع علي بن أبي طالب ﷺ بالجهاد، وكذلك زعم معاوية وأتباعه أنهم في حالة جهاد. وغنيّ عن البيان أن الخوارج بَقُوا دهرهم كله وهم يرون أنهم في حالة جهاد وكانوا يرون أن الإسلام بني على ستّ لا على خمس،والركن السادس هو الجهاد، وكذلك عبد الله بن الزبير كان يرى في انتقاضه على الأمويّين أنه مجاهد، ولم يقصّر الأمويّون أيضاً في استخدام هذا اللّفظ[١].

٢- مراحل تشريع الجهاد

لمعرفة طبيعة الجهاد في الإسلام لا بد من عرض مراحل تشريعه، وتلك المراحل هي:

المرحلة الأولى

بدأت المرحلة الأولى في تشريع الجهاد في العهد المكّي[٢] حيث أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتبليغ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾[٣]، فقام عليه الصلاة والسلام بما أمره به ربه سبحانه، وكان الرسول ﷺ في أول الأمر يدعو إلى ربه سرّاً من يظنّ أنه يستجيب له، فاستجاب له عدد من الناس منهم أبو بكر الصديق ﷺ والسيدة خديجة رضي الله عنها وعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وغيرهم.

ثمّ أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يجهر بالدعوة: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[٤]، وأن يبدأ بعشيرته الأقربين: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٥]، وأن يدعو الناس بالدعوة الحكيمة والموعظة اللطيفة والمجادلة بالتي هي أحسن وبالصبر: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

---

(١) ينظر: ظافر القاسمي، **الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م، ص٨٧.

(٢) للمزيد، ينظر: عبد الله بن أحمد القادري، **الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته**، ج١، ص١٥٢-١٦٥، وصالح اللحيدان، **الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع**، ط٣، دار اللواء، الرياض، ١٩٨٠م، ص٣٥-٤٥.

(٣) المدثر: ١-٢.

(٤) الحجر: ٩٤-٩٥.

(٥) الشّعراء: ٢١٤.

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾(١).

ويمضي رسول الله ﷺ في دعوته إلى الله ويمضي المشركون في ردّ دعوته والاستهزاء به والسخرية منه، فيسلّيه ربه بأنه في موكب إخوانه الأنبياء والرسل الّذين استهزئ بهم قبله، ثمّ دارت الدائرة على المستهزئين، فليصبر فإن الدرب واحد والعاقبة له: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾(٢)، ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(٣)، ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾(٤)، ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(٥).

ويشتد العذاب والاعتداء على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه فيأتيه بعضهم شاكياً فيأمرهم بالصبر، وينزل القرآن الكريم منكراً على من يظنّ أنه يكفيه أن يقول إنه مؤمن ويخلو طريقه من الفتنة والابتلاء، مبيّناً لهم أن المؤمنين قبلهم قد فُتنوا، فالطريق واحد، وأن هذه الفتنة تميّز الصادق من الكاذب. وهنا يسمى الثبات على دين الله والصبر على الفتنة جهاداً يعود نفعه لصاحبه: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(٦)، ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(٧).

وقد كانت نفوس بعض المسلمين تتشوّف إلى الإذن بالقتال ليميلوا على المشركين ميلة واحدة وليدفعوا عن أنفسهم هذا العدوان الواقع عليهم، يقول أصحاب بيعة العقبة على لسان أحدهم وهو العباسُ بن عُبادةَ بنِ نَضْلَة: "والله الذي بعثك بالحقّ -إنْ شئت- لنميلنّ على أهل

---

(١) النحل: ١٢٥-١٢٧.

(٢) الغاشية: ٢١-٢٦.

(٣) الأنعام: ١٠، الأنبياء: ٤١.

(٤) فاطر: ٤.

(٥) يس: ٣٠.

(٦) العنكبوت: ١-٣.

(٧) العنكبوت: ٦.

منى غداً بأسيافنا"، فقال رسول الله ﷺ: "لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم"[١]، ومن قبل جاء خبّاب بن الأَرَتّ ﷺ إلى رسول الله ﷺ وهو متوسّد بردة في ظل الكعبة، فقال له: "يا رسول الله ﷺ ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفرُ له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضعُ على رأسه فيجعل نصفين ويُمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فيما يصدّه ذلك عن دينه. والله لَيَتِمّنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاءَ إلى حضرَموتَ لا يخاف إلاّ اللهَ والذئبَ على غنمِه، ولكنكم تستعجلون"[٢].

ومن الملاحظ أن المرحلة المكّية كانت مرحلة دعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ عبادة الأصنام ونفي الشرك أياً كان نوعه، ومرحلة صبر على الأذى والمحنة وعدم رد الاعتداء الذي كان يقع من المشركين على المسلمين، وفي طليعتهم رسول الله ﷺ[٣]، فهذه المرحلة هي مرحلة جهاد التربية؛ تربية الوجدان وتربية الخلق والسلوك[٤]، ولم يؤذن للنبي ﷺ وللمسلمين في القتال مدة إقامتهم بمكة المكرمة[٥].

المرحلة الثانية

أذن الله تعالى لنبيه بالهجرة إلى المدينة المنورة، وفي أول نزوله ﷺ بها باشر تأسيس المجتمع الإسلامي الجديد وتأسيس الدولة الإسلامية[٦]، فبدأ عهد جديد للإسلام، ومع هذا لم يشرع الجهاد بالسيف في أول العهد بالمدينة، ممّا زاد في عناد المشركين وزاد في كيدهم وعدوانهم[٧].

---

(١) ابن هشام، أبو محمّد عبد الملك بن هشام (ت٢١٨هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ق١، ص٤٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، الحديث رقم ٦٩٤٣، ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٢، ص٣٩٤.

(٣) ينظر: عبد الله أحمد القادري، **الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته**، ج١، ص١٦٢. ومحمد نعيم ياسين، **الجهاد ميادينه وأساليبه**، ص٦٥-٦٧.

(٤) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط٢٦، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م، ج٣، ص١٤٣٨، ومحمد شديد، **الجهاد في الإسلام**، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٨٦.

(٥) ينظر: أبو حيان الأندلسي، محمّد بن يوسف (ت٧٥٤هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، ج٧، ص٥١٥.

(٦) ينظر: ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق١، ص٤٩٦ وما بعدها.

(٧) ينظر: عثمان جمعة ضميرية، **منهج الإسلام في الحرب والسلام**، ط١، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ١٩٨٢م، ص١١١.

وعندما زاد ذلك العناد والعدوان، وكثر أنصار الرسول ﷺ ومؤيدوه وقويت شوكة المسلمين واشتدّ جناحهم، وبعد أن قامت الدولة الإسلامية أذن الله تعالى للمسلمين بقتال الكافرين الظالمين، الّذين أخرجوهم بغير حق سوى أنهم يقولون: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، ووعدهم سبحانه في الآية بنصره فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[١].

وقد رأى ابن هشام أن الإذن بالقتال وقع في مكّة المكرّمة وبعده أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة[٢].

وردّ ابن القيم هذا الرأي وبيّن وجوه الغلط في ذلك بقوله[٣]:

أولاً: إنّ الله لم يأذن بمكة لهم في القتال، ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكّة.

ثانياً: إنّ سياق الآية يدلّ على أن الإذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم، فإنه قال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ....﴾[٤] وهؤلاء هم المهاجرون.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ....﴾[٥]، نزلت في الّذين تبارزوا في يوم بدر من الفريقين.

رابعاً: إنّ الله تعالى قد خاطبهم في آخرها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا....﴾ والخطاب بذلك كله مدني، فأما الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ....﴾ فمشترك.

---

(١) الحج: ٣٩-٤٠.

(٢) ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق١، ص٤٦٧-٤٦٨.

(٣) **زاد المعاد**، ج٢، ص٥٨.

(٤) الحج: ٤٠.

(٥) الحج: ١٩.

خامساً: إنّ الله تعالى أمر المؤمنين بالجهاد الذي يعمّ الجهاد باليد وغيره. ولا ريب في أن الأمر بالجهاد المطلق إنّما كان بعد الهجرة، فأما جهاد الحجّة فأمر به في مكّة المكرّمة بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾[١].

سادساً: إنّ الحاكم روى في مستدركه من حديث الأعمش عن مسلم البطين عن سَعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس قال: "لما خرج رسول الله ﷺ من مكّة قال أبو بكر ﷺ: أَخْرَجوا نبيهم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكُنّ. فأنزل الله ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا....﴾ وهي أول آية نَزلَت في القتال وإسناده على شرط الصحيحين، وسياق السورة يدل على أن فيها المكّي والمدني، فإن قصة إلقاء الشيطان في أمنية الرسول مكّيّة"[٢].

ولعل رأي ابن القيّم هذا هو الصحيح، ومما يعزّز هذا الرأي قول الضحّاك ومجاهد وقتادةَ إنّ هذه الآية أول آية نزلت في القتال وإن السورة مدنية[٣].

فهذه المرحلة هي مرحلة إباحة الله تعالى للمؤمنين بأن يقاتلوا عدوهم لظلمهم إياهم.

المرحلة الثالثة

هي فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم من الكفار دون من لم يقاتل، وهذه المرحلة هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ * الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٤].

---

(١) الفرقان: ٥٢.

(٢) وهي في الآيات: ٥٢-٥٤ من سورة الحج.

(٣) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمّد السلامة، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٩م، ج٥، ص٤٣٣.

(٤) البقرة: ١٩٠-١٩٤.

فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ يعني الّذين يبدأونكم بالقتال، وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي بقتال الكفار الّذين لم يقاتلونكم، وقوله: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ دليل على وجوب رد العدوان الذي بدأ به الكفار على المسلمين(١).

ويدلّ على هذه المرحلة أيضاً قوله تعالى: ﴿....فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا * سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾(٢).

ويقول ابن تيمية عن هذه المرحلة: "....ولم يؤمروا بقتال من طلب مسالمتهم بل قال: ﴿....فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾(٣)، وكذلك من هادنهم لم يكونوا مأمورين بقتاله، وإن كانت الهدنة عقداً جائزاً غير لازم"(٤)، ويقول في موضع آخر مستدلاً بسيرة النبي ﷺ: "فمن المعلوم من سيرة النبي ﷺ الظاهر علمه عند كل من له علم بالسيرة أنه ﷺ لما أقام المدينة لم يحارب أحداً من أهل المدينة، بل وادعهم حتى اليهود خصوصاً بطون الأوس والخزرج؛ فإنه كان يُسالمهم ويتألفهم بكل وجه، وكان الناس إذ قدمها على طبقات: منهم المؤمن وهم الأكثرون، ومنهم الباقي على دينه، وهو متروك لا يحارِب ولا يحارَب، وهو والمؤمنون من قبيلته وحلفائهم أهلُ سِلمٍ، لا أهل حرب، حتى حلفاء الأنصار أقرّهم النبي ﷺ على حِلْفِهم(٥).

---

(١) ينظر: الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود شكري (ت١٢٧٠هـ)، **روح المعاني**، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت، ج٢، ص٧٤-٧٥. والشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد (ت١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط٢، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٩٩٧م، ج١، ص٣٤٥. وينظر: عبد الملك البراك، **ردود على أباطيل وشبهات حول الجهاد**، ط١، النور للإعلام الإسلامي، عمان، الأردن، ١٩٩٧م، ص٢٩.

(٢) النساء: ٩٠-٩١.

(٣) النساء: ٨٩.

(٤) ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٤م، ج١، ص٧٣.

(٥) ابن تيمية، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تحقيق محمّد بن عبد الله الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٠٣.

فهذه المرحلة كأيّ مرحلة قبلها جعلها الله تعالى لكي تكون طريقاً للمؤمنين من أجل إيجاب الجهاد حتى إذا ما أتت المرحلة التالية وإذا المسلمون قد قدَروا على كل شيء يمكن أن يكون من حمل السلاح وملاقاة الأقران، وهذا في الحق هو الذي حصل فما أن يصل الأمر إلى إيجاب الجهاد حتى بذل المسلمون دماءهم وأموالهم في سبيل نصرة دين الله(١).

المرحلة الرابعة

أمّا هذه المرحلة فهي مرحلة إيجاب قتال الكفار جميعاً؛ المعتدي منهم وغير المعتدي إلاّ المعاهَدين، وهذه آخر مراحل تشريع الجهاد، وهي واضحة جلية في قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)، وقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(٣)، وقوله ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٤).

فهذه المرحلة بدأت من انقضاء أربعة أشهر من بعد حج العام التاسع من الهجرة ومن بعد انقضاء العهود المؤقّتة، وتوفّي رسول الله ﷺ وعليها استقرّ حكم الجهاد(٥).

---

(١) ينظر: صالح اللحيدان، **الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع**، ص٤٩-٥٠.

(٢) التوبة: ١-٥.

(٣) التوبة: ٢٩.

(٤) التوبة: ٣٦.

(٥) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، م٥، ج١٥، ص٥٢٣-٥٢٨.

ومما يدلّ على هذه المرحلة أيضاً قَوْلُهُ ﷺ: (أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا عصّموا مني دمـاءهم وأموالهم إلاّ بحقّها، وحسابهم على الله)[١].

وهذه المراحل قد ذكرها علماء الإسلام في مؤلّفاتهم[٢]، يقول السرخسي: "وقد كان رسـول الله ﷺ مأموراً في الابتداء بالصفح والإعراض عن المشركين، قـال الله تعـالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثمّ أُمر بالدعاء إلـى الديـن بـالوعظ والمجادلـة بالأحسن، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ثمّ أُمـر بالقتال إذا كانت البداية منهم فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ أي أُذن لهم في الدفع وقـال تعالى: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ ثمّ أُمر بالبداية بالقتـال، فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ وقال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وقـال رسول الله ﷺ: (أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله فإذا قالوها فقد عصّمـوا منـي دمـاءهم وأموالهم إلاّ بحقّها وحسابهم على الله) فاستقرّ الأمر على فرضية الجهاد مع المشركين وهو فـرض قـائم إلى قيام الساعة"[٣].

ولكون سورة التوبة المقرّرة لحكم المرحلة الأخيرة من مراحل الجهاد هي آخـرُ السـور نزولاً[٤] اعتبـر علمـاء السلف منهم الضحاك بن مزاحم[٥] ومجاهد وقتـادة[٦] والحسـين بـن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله محمّـد رسـول الله....، الحديث رقم ٢٢، ينظر: النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ)، **المنهاج شرح الجامع الصحيـح**، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط١، دار لعلوم الإنسانية، دمشق، ١٩٩٧م، ج١، ص١٥٣.

(٢) ينظر: ابن رشد، **مقدمات ابن رشد**، ج١، ص٢٨٣١-٢٨٣٢، وابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل ديـن المسيح**، ج١، ص٧٤، وسيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٤٣٧.

(٣) السرخسي، أبو بكر محمّد بن أبي سهل (ت٤٩٠هـ)، **كتاب المبسوط**، ط١، دار الكتب العلميـة، بـيروت، ١٩٩٣م، ج١٠، ص٢-٣.

(٤) ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، م٥، ج١٥، ص٥٢١، وظافر القاسمي، **الجهاد والحقـوق الدوليـة العامة في الإسلام**، ص٤٥.

(٥) ينظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص١١٢.

(٦) القرطبي، محمّد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق هشـام سـمير البخـاري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥م، م٤، ج٨، ص٧٣.

الفضل[١] وابن تيمية[٢] والشوكاني[٣] أن المرحلة الأخيرة للجهاد ناسخة لبقية المراحل.

وادعى الزركشي أنه ليس في مراحل الجهاد نسخ بل يعمل بكل مراحله عند الحالة المشابهة للحالة التي شرعت فيها[٤].

والحقيقة أن الخلاف بين الزركشي وعلماء السلف هو في مسمّى النسخ[٥] لا في العمل بمراحل الجهاد لأن السلف لا يكلّفون المستضعف من المسلمين الذي حاله مشابهة لحال رسول الله ﷺ في مكّة بالقتال، وإنما الواجب عليه أن يجتهد لكي يصل إلى حالِ قوة يجاهد فيها الكفّار لأن الحال التي تُوفِّي عليها رسول الله ﷺ هي تمام الدين التي يجب على المسلمين بذل قصارى الجهد لتحقيقها في الواقع البشري[٦].

قال ابن تيمية: "....فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الّذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الّذين يطعنون في الدين وبآية قتال الّذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"[٧].

وبهذا يتضح انه لا خلاف بين الزركشي ومن نحا نحوه كسيد قطب وبين السلف في حكم العمل بمراحل الجهاد[٨]، يقول سيد قطب: "إنّ تلك الأحكام المرحلية ليست منسوخة بحيث لا

---

(١) ينظر: البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ)، **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل**، تحقيق خالد بن عبد الرحمن العك ومروان سوار، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م، ج٢، ص٢٦٩.

(٢) ينظر: **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، ج٢، ص٢٠٩-٢١٠.

(٣) ينظر: **فتح القدير**، ج٢، ص٤٨٤.

(٤) ينظر: الزركشي، بدر الدين محمّد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٢، ص٤٢.

(٥) النسخ عند الزركشي هو الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبداً، ينظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص٤٢. وأما النسخ عند السلف فقال ابن تيمية عنه: "ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلاّ بآية أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول ﷺ تفسرها، فإن سنة رسول الله ﷺ تبين القرآن وتدل عليه وتعبّر عنه وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخاً لها"، ينظر: **مجموع الفتاوى**، ج١٣، ص١٩، فالنسخ عندهم يشمل التقييد والبيان والتخصيص ونحو ذلك، ينظر: علي بن نفيع العلياني، **أهمية الجهاد**، ص١٥٠.

(٦) ينظر: علي بن نفيع العلياني، **المرجع نفسه**، ص١٥١.

(٧) **المصدر نفسه**، ج٢، ص٤١٣-٤١٤.

(٨) لمزيد من التفصيل في آراء السلف، ينظر: ابن قدامة، أبو محمّد عبد الله بن أحمد الحنبلي (ت٦٢٠هـ)، **المغني**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمّد الحلو، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٩٩٠م، ج١٣، ص١٥٤-١٥٦ (عن المهادنة)، وابن جُزَيّ الغرناطي المالكي، محمّد بن أحمد (ت٧٤١هـ)، **قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤م، ص١٦٥ (عن الانصراف من صف القتال).

يجوز العمل بها في أي ظرف من ظروف الأمّة المسلمة بعد نزول الأحكام الأخيرة في سورة التوبة. ذلك أن الحركة والواقع الذي تواجهه في شتّى الظروف والأمكنة والأزمنة هي التي تحدّد -عن طريق الاجتهاد المطلق- أي الأحكام هو أنسب للأخذ به في ظرف من الظروف، في زمان من الأزمنة، في مكان من الأمكنة! مع عدم نسيان الأحكام الأخيرة التي يجب أن يصار إليها، متى أصبحت الأمّة المسلمة في الحال التي تمكّنها من تنفيذ هذه الأحكام، كما كان حالها عند نزول سورة التوبة، وما بعد ذلك أيام الفتوحات الإسلامية التي قامت على أساس من هذه الأحكام الأخيرة النهائية، سواء في معاملة المشركين أو أهل الكتاب"[١].

ويقول سيد قطب أيضاً: "والعبرة بنهاية المراحل التي وصلت إليها الحركة الجهادية في الإسلام -بأمر من الله- لا بأوائل أيام الدعوة ولا بأوسطها"[٢].

فأصبح المسلمون مكلّفين أن يجاهدوا حتى يسلم كفار أهل الأرض أو يعطوا الجزية مع الذلّ والصغار.

ومما سبق يتضح أن لفظ "الجهاد" إذا أطلق فالمراد به القتال في سبيل الله، كما انه قد مرّ بأربع مراحل تشريعية تناسب أحوال المجتمع المسلم الذي كان ينتقل من حالٍ إلى حالٍ ومن طورٍ إلى طورٍ حتى تَمَّ وتكامل بتمام الرسالةِ وكمالها.

---

(١) **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٥٨٠.

(٢) **المرجع نفسه**، ج٣، ص١٤٣٦.

الفصل الأوّل

موضوعات شعر الجهاد المتأثر بالقرآن الكريم

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأوّل: الدعوة إلى الإسلام والحث على الثبات عليه.

المبحث الثاني: الحضّ على الجهاد.

المبحث الثالث: الرثاء.

المبحث الرابع: الهجاء.

المبحث الخامس: المديح.

المبحث السادس: الفخر.

المبحث الأوّل

الدعوة إلى الإسلام
والحث على الثبات عليه

ذكر فيما سبق أن الجهاد في أول الأمر اتّجه نحو دعوة الناس إلى الإسلام وتقريبه إلى العقول والأفهام، وتحبيبه إلى القلوب والصدور، وترسيخه في النفوس والضمائر، وذلك عن طريق الحجة والبيان، والحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، مع الصبر على الأذى والحرمان، والصفح عن الإساءة والعدوان، دون إشهار سيف أو سنان، أو إعلان حرب أو قتال، وذلك لأن الدعوة في مرحلة النمو والتكوين، ولأن المؤمنين بها قريبو عهد بالإيمان، وثلّة قليلة محصورون في مكة المكرمة، وغالبهم من فقراء الناس ومساكينهم[١].

أما شعر الدعوة إلى الإسلام فهو ذلك الشعر الذي دعا فيه المسلمون المشركين لترك عبادة الأصنام والدخول في هذا الدين الجديد[٢]. ويظهر أثر القرآن الكريم في هذه الأشعار التي وردت بعضها عن أصحابها حين أعلنوا إسلامهم وتبرّأوا مما كانوا يعبدون.

فهذا خزاعي بنُ عبد نُهْم[٣] يروي أنه ذهب ليذبح أمام صنمه الذي كان يعظّمه، فحدّثته نفسُه حين عَقل، أهذا إله؟، أبكم لا يعقِل!، فكسّره لحينه وأعلن إسلامه وآمن بإله الأرض والسماء ومن بيده ملكوت كل شيء، وقال في هذا الموقف[٤]:

ذَهَبْتُ إِلَى نُهْمٍ لِأَذْبَحَ عِنْدَهُ ... عَتِيْرَةَ نُسْكٍ كَالَّذِيْ كُنْتُ أَفْعَلُ

فَقُلْتُ لِنَفْسِيْ حِيْنَ رَاجَعْتُ عَقْلَهَا: ... أَهٰذَا إِلٰهٌ؟ أَبْكَمُ لَيْسَ يَعْقِلُ

أَبَيْتُ فَدِيْنِي الْيَوْمَ دِيْنُ مُحَمَّدٍ ... إِلٰهُ السَّمَاءِ الْمَاجِدُ المتفضّلُ

فالشاعر في قوله: "أهذا إله؟ أبكم ليس يعقل" يستعين بالمَثل الوارد في القرآن الكريم الدالّ على بُطلان عبادة الأصنام وضلالة المشركين وهو قوله جل شأنه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥]؛ فالأبكم الذي لا يقدِر على شيء هو الوثن[٦].

---

(١) عبد الباقي رمضون، **الجهاد سبيلنا**، ص١٦.

(٢) إبتسام مرهون الصفار، **الأمالي في الأدب الإسلامي**، جامعة بغداد، د.ت، ص١٢٧.

(٣) خزاعي بن عبد نُهم المزني: كان سادن الصنم "نهم" في الجاهليَّة فكسّره وأسلم. ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ)، **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٣٩-٤٠.

(٤) ابن الكلبي، **المصدر نفسه**، ص٣٩-٤٠. العتيرة: الذبيحة تذبح قرباناً للأصنام.

(٥) النحل: ٧٦.

(٦) وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩١م، ج١٤، ص١٨٩.

وأما ذباب السَّعْدِيّ[١] ففكّر في صنم قومه "فَرّاض" يوم سمع بالإسلام وأيقن حقيقة أنه لا يضرُّ ولا ينفع، فقام إليه متمثّلاً بقول الحق فيما فعله سيدنا إبراهيم عليه السلام حين قام على أصنام قومه ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[٢]، فحطّم الصنم قِطَعاً صغيرة وأعلن ذلك شعراً[٣]:

تَبِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدٰى ... وَخَلَّفْتُ فَرّاضاً بِدَارِ هَوَانِ

شَدَدْتُ عَلَيْهِ شَدَّةً فَتَرَكْتُهُ ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَالدَّهْرُ ذُوْ حَدَثَانِ

وَلَمَّا رَأَيْتُ اللهَ أَظْهَرَ دِيْنَهُ ... أَجَبْتُ رَسُوْلَ اللهِ حِيْنَ دَعَانِيْ

فَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلَامِ مَا عِشْتُ نَاصِراً ... وَأَلْقَيْتُ فِيْهِ كَلْكَلِيْ وَجِرَانِيْ

فَمَنْ مُبْلِغٌ سعدَ الْعَشِيْرَةِ إِنَّنِيْ ... شَرَيْتُ الَّذِيْ يَبْقٰى بِمَا هُوَ فَانِيْ

يناسب البيتان الأوّلُ والثالثُ قولَه ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٤].

وأعلن العَوّامُ بْنُ جُهَيْل[٥] براءته من عبادة الأصنام[٦] بقوله[٧]:

وَمَنْ مُبْلِغٌ عَنَّا شَآمِي قَوْمِنَا ... وَمَنْ حَلَّ بِالْأَجْوَافِ سِرّاً وَجَهْرَا

---

(١) ذباب بن الحارث السعدي التميمي: من أوائل المسلمين إذ أسلم يوم ظهر الإسلام، وحطم صنم قومه، وشهد المعارك الإسلامية حتى حطين مع علي كرم الله وجهه. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص٣٣٥-٣٣٦، وعبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخفاء الراشدين**، الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية، الرياض، ١٩٧١م، ص٤٢-٤٣.

(٢) الأنبياء: ٥٨.

(٣) النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د.ت، ج١٨، ص١٥٣-١٥٤. الكلكل: الصدر. الجِران: باطن العنق من ثغرة النحر حتى منتهى العنق.

(٤) التوبة: ٣٣.

(٥) العوام بن جهيل الهمداني صحابي، ذو شعر، وفد على النبي ﷺ من اليمن وأسلم، ورجع وحطم الأصنام. ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٤، ص٦١٢.

(٦) **وقد تبرأ الطفيل بن عمرو الدوسي الصحابي أيضاً من عبادة الصنم "ذي الكفين". ينظر: الأزرقي، أبو** الوليد محمّد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٢٣هـ)، **أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط٨، مكتبة الثقافة، مكّة المكرمة، ١٩٩٦م، ج١، ص١٣١.

(٧) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٤، ص٦١٣.

بِأَنَّـا هَدَانَـا اللهُ لِلْحَـقِّ بَعْدَمَـا ... تَـهَوَّدَ مِنَّـا حَـائِرٌ وَتَنَصَّـرَا
وَأَنَّا بَرِئْنَـا مِـنْ يَغُـوْثَ وَقُرْبِـهِ ... يَعُوْقَ وَتَابَعْنَاكَ يَـا خَـيْرَ الْـوَرَى

فالبيت الثالث متأثر بقوله تعالى: ﴿....أَشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾(١).

ويظهر أثر القرآن الكريم أيضاً في أشعار بعض الشعراء في دعوتهم لأهلهم أو قومهم إلى الإسلام وترك عبادة الأصنام.

فهذا بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ(٢) أخو كعب بن زهير، الذي أسلم قبل أخيه، ودفعه حبه لأخيه إلى إرسال الرسائل والأشعار إليه يدعوه فيها إلى الإيمان بالله تعالى، فيقول في إحدى قصائده مخاطباً كعباً قبل أن يسلم يدعوه إلى توحيد الله ﷻ لينجو من عذابه يوم القيامة، ويكره إليه التمسك بأوثان الجاهليَّة ودين آبائه الوثني(٣):

فَمَنْ مُبْلِغٌ كَعْباً فَهَلْ لَكَ فِـي الَّتِـيْ ... تَلُوْمُ عليها بَـاطِلاً وَهْـيَ أَحْـزَمُ
إِلَى اللهِ لا العُزَّى وَلاَ اللَّات وَحْـدَهُ ... فَتَنْجُـوْ إِذَا كَـانَ النَّجَـاءُ وَتَسْـلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُـوْ وَلَيْـسَ بِمُفْلِـتٍ ... مِنَ النَّارِ إِلَّا طَاهِرُ القَلْـبِ مُسْـلِمُ
فَدِيْنُ زهيرٍ وَهْوَ لَا شَـيْءَ غَـيْرُهُ ... وَدِيْنُ أَبِـي سُـلْمَى عَلَـيَّ مُحَـرَّمُ

فالشاعر يسجِّل اسمي الوثنين المعبودين في الجاهليَّة، وقد جاء ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى﴾(٤)، كما أنه في البيت الثالث ينظر إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٥)، والمراد بالقلب السليم الخالي من العقائد الفاسدة والأخلاق المرذولة والميل إلى المعاصي، وعلى رأسها الكفر والشرك والنفاق(٦).

ويدعو شَدادُ بْنُ عَارِضٍ(٧) أهل الطائف إلى الإيمان بالله ﷻ ونبذ عبادة اللات لأنها حجارة لا تستطيع أن تدفع الأذى عن نفسها، فكيف تستطيع أن تنصر من يعبدها، مستلهماً قول

---

(١) هود: ٥٤.

(٢) بجير بن زهير: شاعر مُقِلٌّ محسن، أسلم قبيل السنة السابعة للهجرة، وفي شعره قوة إيمان. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمّد (ت٤٦٣هـ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمّد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص٢٣٣-٢٣٤.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٥٠٢.

(٤) النجم: ١٩.

(٥) الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٦) وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٩، ص١٧٤.

(٧) شداد بن عارض الجشمي: صحابي شاعر مجيد. ابن حجر، **الإصابة**، ج٣، ص٢٦١.

الحق سبحانه في قصة سيدنا إبراهيم مع قومه عَبَدَةِ الأصنام[١]: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٢]، يقول الشاعر[٣]:

لَا تَنْصُرُوْا اللَّاتَ إِنَّ اللهَ مُهْلِكُهَا ... وَكَيْفَ ينصرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ

إِنَّ الَّتِيْ حُرِّقَتْ بِالسَّدِّ فَاشْتَعَلَتْ ... وَلَمْ يُقَاتَلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ

كما يدعو أحد الشعراء سَعْدَ بْنَ مُعَاذ وسَعْدَ بْنَ عُبَادَة سيدَي الأوس والخزرج إلى الإسلام مبيناً ما ينتظر المؤمنين في الجنة بقوله[٤]:

فَإِنْ يُسْلِمِ السَّعْدانِ يُصْبِحْ محمّدٌ ... بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ مُخَالِفِ

أيَا سَعْدُ سعدَ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِراً ... وَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْخَزْرَجِيْنِ الْغَطَارِفِ

أَجِيْبَا إِلَى دَاعِي الْهُدَى وَتَمَنَّيَا ... عَلَى اللهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عَارِفِ

فَإِنَّ ثَوَابَ اللهِ لِلطَّالِبِ الْهُدَى ... جِنَانٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ رَفَارِفِ

في البيتين الثالث والرابع إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[٦].

أما عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَة[٧] فيدعو أبا سفيانَ إلى الإسلام وإلى أن يسجد لله مخلصاً، ويعين له مصيره إن لم يفعل ذلك، وهو المصير نفسه الذي يشير إليه القرآن الكريم من أن الكافرين

---

(١) ينظر: محمّد أحمد جاد المولى، **قصص القرآن**، المكتبة الأمويّة، د.م، د.ت، ص٤٠.

(٢) الأنبياء: ٦٦-٦٧.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٨١-٤٨٢. السد: موضع. هدر: باطل لا يؤخذ بثأره.

(٤) ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٢، ص١٦٢، وابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٢، ص٣٠٠.

(٥) الكهف: ١٠٧.

(٦) الرحمن: ٧٦.

(٧) عبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري: صحابي جليل وأحد النقباء السادة، شهد المشاهد اجمع حتى استشهد في مؤتة وكان القائد الثّالث فيها، شريف زعيم وشاعر محسن، نافح بلسانه عن رسول الله ﷺ، قوي الإيمان، والموجود من شعره قليل ويبدو أن أكثره ضائع وملتبس بشعر كعب بن مالك. ينظر: ابن سلام، محمّد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ)، **طبقات فحول الشعراء**، شرح محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت، ج١، ص٢٢٣، والذهبي، محمّد بن أحمد (ت٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق حسين الأسد، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ج١، ص٢٣٠ وما بعدها، والمقريزي، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ)، **إمتاع الأسماع**، تحقيق محمّد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص٥٤-٥٥.

لهم في الدنيا خِزْي ولهم في الآخرة عذاب عظيم، يقول ابن رواحة[١]:

فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ إِمَّا لَقِيْتَهُ ... لَئِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْلِصْ سُجُوْداً وَتُسْلِمِ

فَأَبْشِرْ بِخِزْيٍ فِي الْحَيَاةِ مُعَجَّلٍ ... وَسِرْبَالِ قَارٍ خَالِداً فِيْ جَهَنَّمِ

استلهم الشاعر في البيت الأخير قوله تعالى: ﴿.... لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢]، أو قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

وقد صرَّح بعض الشعراء في أشعارهم إقرارهم وشهادتهم بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالحق والهدى من عند الله حين أعلنوا إسلامهم.

فهذا عُمَرُ بْنُ الخطاب[٤] يستهلُّ قصيدتَه بقوله[٥]:

الحَمْدُ لِلهِ الَّذِيْ وَجَبَتْ ... لَهُ عَلَيْنَا أَيَادٍ مَا لَهَا غِيَرُ

إلى أن يقول:

فَقُلْتُ أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ خَالِقُنَا ... وَأَنَّ أَحْمَدَ فِيْنَا الْيَوْمَ مُشْتَهَرُ

نَبِيُّ صِدْقٍ أَتَى بِالْحَقِّ مِنْ ثِقَةٍ ... وَافِي الْأَمَانَةِ مَا فِيْ عُوْدِهِ خَوَرُ

فمطلع القصيدة يذكر القارئ بأم القرآن الكريم إذ قال الله تعالى فيها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦]، وقول الشاعر: "فقلت أشهد أن الله خالقنا" يعيد في الأذهان قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ....﴾[٧].

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق١، ص٦٥٦.

(٢) البقرة: ١١٤.

(٣) الزمر: ٢٦.

(٤) عمر بن الخطاب القرشي العدوي الفاروق: أسلم في السنة السادسة من النبوة، وهو أحد السابقين الأوّلين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وثاني الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار رسول الله ﷺ، وأحد كبار علماء الصحابة وزُهّادهم، وتوفي سنة ٢٣ للهجرة. ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الشافعي (ت٩١١هـ)، **تاريخ الخلفاء**، تعليق محمود رياض الحلبي، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م، ص٩٩.

(٥) السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت٥٨١هـ)، **الروض الأنف**، تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص١٢٥.

(٦) الفاتحة: ٢.

(٧) الأنعام: ١٠٢.

ويقول نَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ[١]، بعد إعلان براءته من دين شيوخه الكافرين وثباته على الإسلام[٢]:

شَهِدْتُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّداً ... أَتَى بِالْهُدَى مِنْ رَبِّهِ وَالْبَصَائِرِ
وَأَنَّ رَسُوْلَ اللهِ يَدْعُوْ إِلَى التُّقَى ... وَأَنَّ رَسُوْلَ اللهِ لَيْسَ بِشَاعِرِ

البيت الأوّل متأثر بقوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾[٣]، وقول الشاعر: وأن رسول الله ليس بشاعر" مشتقٌ من قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ....﴾[٤].

ويقول سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ[٥] متحدِّثاً عن إسلامه[٦]:

فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... وَأَنْتَ مَأْمُوْنٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ[٧]
وَأَنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِيْنَ وَسِيْلَةً ... إِلَى اللهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِيْنَ الْأَطَايِبِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ مِنْ وَحْيِ رَبِّنَا ... وَإِنْ كَانَ فِيْمَا جِئْتَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِيْ شَفِيْعاً يَوْمَ لَا ذُوْ شَفَاعَةٍ ... بِمُغْنٍ فَتِيْلاً عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

فصدر البيت الأوّل مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿....فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ....﴾[٨]، وفي البيت الأخير أفصح الشاعر عن إيمانه باليوم الآخر حيث إنه قد تحدث عن

---

(١) نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم: أسلم عام الخندق، وهو ممّن ثبت مع النبي ﷺ وتوفي سنة ١٥ للهجرة. ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٣، وابن سعد، محمّد بن سعد الهاشمي (ت٢٣٠هـ)، **الطبقات الكبرى**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج٤، ٣٤٢.

(٢) ابن سعد، **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٤٢.

(٣) الأنعام: ١٥٧.

(٤) الحاقة: ٤١.

(٥) سواد بن قارب الأزدي الدّوسي أو السدوسي كان كاهناً في الجاهليَّة، وكان شاعراً، له صحبة. ابن الأثير، علي بن محمّد الجزري (ت٦٣٠هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٤٠٠.

(٦) ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٢، ص٢٣٤.

(٧) هذا الشطر مختلّ الوزن، ولعل صحته بهذا الوجه: "وأنك مأمونٌ على كل غائب".

(٨) الأعراف: ٥٩.

الشفيع والشفاعة مما يدل على أنه قد سمع قوله تعالى[١]: ﴿.... مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ....﴾[٢]، أو قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[٣].

ومما يدل على تغلغل معاني الآيات القرآنية في نفوس الشعراء قولهم في إعلان ثباتهم على الإسلام.

فالشاعر الطفيل بن عمرو الدوسي[٤] حين أسلم هدّدته قريش وأوعدته بالقتل، فلم يتراجع وإنما أعلن ثباته على الإسلام بأبيات من الشعر أرسلها إليهم قال فيها[٥]:

أَلاَ أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي لُؤَيٍّ ... عَلَى الشَّنَآنِ وَالغَضَبِ المُرِدِّ
بِأَنَّ اللهَ رَبَّ النَّاسِ فَرْدٌ ... تَعَالَى جَدُّهُ عَنْ كُلِّ نِدِّ
وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدٌ رَسُوْلٌ ... دَلِيْلُ هُدىً وَمُوْضِحُ كُلِّ رُشْدِ
وَأَنَّ اللهَ جَلَّلَهُ بَهَاءً ... وَأَعْلَى جَدَّهُ فِيْ كُلِّ جِدِّ

في البيت الثاني إثبات الوحدانية والقوة والعظمة لله تعالى، فالبيت مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾[٦]، كما أن البيت الثالث ترديد لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ....﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿....وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[٨].

---

(١) وبهذا المعنى وبهذا التأثر بالآية الكريمة جاء إعلان إسلام عسكلان بن عواكن الحميري في شعره، ينظر: عبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص٤٩.

(٢) يونس: ٣.

(٣) طه: ١٠٩.

(٤) الطفيل بن عمرو الدوسي: صحابي جليل وسيّد ماجد، أسلم إسلاماً حسناً، ودعا قومه إلى الإسلام فأسلموا، واستشهد يوم اليمامة. ابن حجر، **الإصابة**، ج٣، ص٤٢٢-٤٢٤.

(٥) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٣، ص٤٢٤. الشنآن: البغض الشديد. المردّ: الشديد العنيف الهيجان. الجدّ: العظمة (في البيت الثاني)، والحظ (في البيت الرابع).

(٦) الجن: ٣.

(٧) آل عمران: ١٤٤.

(٨) العنكبوت: ١٨.

وأما خُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ[١] فقبل الموت في سبيل الله صابراً محتسباً حينما خيّره المشركون الكفر أو الموت، ولم يرهب الموت لأنه لا محالةَ ميّت، وأن مرجعه إلى الله سبحانه وتعالى، فقال قبيل صَلبه[٢]:

فَذَا الْعَرْشِ صَبِّرْنِيْ عَلىٰ مَا يُرَادُ بِيْ ... فَقَدْ بَضَّعُوْا لَحْمِيْ وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِيْ

وَذٰلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلٰهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ على أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وَقَدْ خَيَّرُوْنِي الكُفْرَ والموتُ دُوْنَه ... وقد هَمَلَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعِ

وَمَا بِيْ حِذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ ... ولكن حَذَارِيْ جَحْمَ نَارٍ مُلَفَّعِ

فَوَاللهِ مَا أَرْجُوْ إذا مِتُّ مُسْلِماً ... عَلىٰ أَيِّ جَنْبٍ كان في الله مَصْرَعِي

فَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَخَشُّعَاً ... وَلاَ جَزَعَاً إِنِّي إِلَى اللهِ مَرْجِعِيْ

الشاعر في البيت الأوّل يستعين بقوله تعالى على ألسنة السحَرَة بعد إيمانهم بالله ﷻ: ﴿...رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[٣]، وصدر البيت الرابع إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٤]، كما أن الشاعر في البيت الخامس يتذكر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٥]، وأما عجز البيت الأخير فترديد لقوله تعالى: ﴿...إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا...﴾[٦].

وهذا امْرُؤُ الْقَيْسِ بنُ عَابِس[٧] ارتدّ قومُه فخالفهم رأيه وثبت على دينه وحاولَ أن يدعوهم إلى الرشاد فأبوا، فلم يجد بُدّاً من إرسالِ رسالة إلى الخليفة أبي بكر الصدّيق يعلن ثباته على

---

(١) خُبَيْب بن عديّ: صحابي جليل، كان في البعثة الإسلامية إلى نجد، فغدر بهم يوم الرجيع، فمنهم قتيل وأسير، وأسر خبيب وقتل بمكة صبراً. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٢، ص٢٣.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٧٦-١٧٧. بضّعوا: قطعوا. ياس: لغة في يئس. الشلو: البقية. الممزّع: المقطع. هملت: سال دمعها. مُلَفَّع: مشتمل عام. أرجو: أخاف. تخشعاً: تَذَلُّلاً.

(٣) الأعراف: ١٢٦.

(٤) الزمر: ٣٠.

(٥) آل عمران: ١٠٢.

(٦) المائدة: ١٠٥.

(٧) امرؤ القيس بن عابس الكندي: شاعر مجيد، له صحبة، ثبت يوم الردة، وشهد فتح النجير باليمن. ينظر: ابن عبد البر، **المصدر نفسه**، ج١، ص١٩٤.

دينه وعقيدته وبراءته من ردّة قومه فاتّخذ أبيات الشعر وسيلة لإيصال رسالته، فيقول[١]:

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ رَسُوْلاً ... وَخُصَّ بِهَا جَمِيْعَ الْمُسْلِمِيْنَا
فَلَسْتُ مُجَاوِراً أَبَداً قَبِيْلاً ... بِمَا قَالَ الرَّسُوْلُ مُكَذِّبِيْنَا
دَعَوْتُ عَشِيْرَتِيْ لِلسِّلْمِ حَتّٰى ... رَأَيْتُهُمْ أَغَارُوْا مُفْسِدِيْنَا
فَلَسْتُ مُبَدِّلاً بِاللهِ رَبّاً ... وَلاَ مُتَبَدِّلاً بِالسِّلْمِ دِيْنَا

لعل الشاعر في صدر بيته الأخير يستفيد من قوله تعالى في بيان موقف النبي نوح عليه السلام مع قومه حينما أنذرهم عذاب الله: ﴿.... فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ....﴾[٢]، وأما عجز البيت فمأخوذ من معنى الآية الكريمة: ﴿.... وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٣]، أو الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤].

وقال عُمَيْرُ بنُ ضَابِئ اليشكري[٥] أبياتاً في يوم اليمامة معلناً فيها أن دينه دين الرسول ﷺ، وأنه موحّد يتمنى أن يموت وهو ثابت اليقين والإيمان بتوحيد الله مجسّداً قولَه تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٦]، فيقول[٧]:

فَتَنَ الْقَوْمَ بِالشَّهَادَةِ وَاللهُ ... عَزِيْزٌ ذُوْ قُوَّةٍ وَمِحَالِ
إِنَّ دِيْنِيْ دِيْنُ النَّبِيِّ وَفِي الْقَوْ ... مِ رِجَالٌ عَلَى الْهُدٰى أَمْثَالِيْ
إِنْ تَكُنْ مِيتَتِيْ عَلٰى فِطْرَةِ اللهِ ... حَنِيْفاً فَإِنَّنِيْ لَا أُبَالِيْ

---

(١) الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت٣٧٠هـ)، **المؤتلف والمختلف**، تصحيح وتعليق ف. كرنكو، ط١، دار الجيل، ١٩٩١م، ص٩. السلم: الإسلام.

(٢) المؤمنون: ٢٣.

(٣) البقرة: ١٠٨.

(٤) آل عمران: ٨٥.

(٥) عمير بن ضابئ اليشكري: كان سيداً من سادات أهل اليمامة، ولما ارتدّوا كان يعنّفهم فيما فعلوه. ابن حجر، **الإصابة**، ج٥، ص١٢٥.

(٦) الروم: ٣٠.

(٧) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٥، ص١٢٥.

وقال شاعر من كندة معلناً ثبات قومه يوم الردّة[١]:

وَنَحْنُ نَصَرْنَا الدِّيْنَ إذْ ضَلَّ قَوْمُنَـــا شَـــقَاءً وَشَـــايَعْنَا ابْـــنَ أمِّ زِيَـــــادِ
وَلَمْ نَبْغِ عَنْ حَقِّ البَيَاضِيِّ مزْحَـــلاً وَكَانَ تُقَـــى الرَّحْمٰـــنِ أَفْضَـــلَ زَادِ

فالشاعر يكاد ينظم في عجز البيت الثـــاني قولـــــه تعـــالى: ﴿....وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى....﴾[٢].

ولقد كان شعر الدعوة إلى الثبات على الإسلام في حروب الردّة تفيض فيه معاني القـــرآن الكريم.

فقد ذكر أن عَبْدَ اللهِ بنَ مَالِك الأَرْحَبِيّ[٣] وقف ناصحاً قومَه بني حمدانَ حين أعلنوا رِدّتهم ليُعيد إليهم ثبات العقيدة منطلقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ....﴾[٤]، وقوله تعـــالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ....﴾[٥]، وقولـــه تعـــالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ....﴾[٦]، فالنبي محمد ﷺ بشر كسائر الأنبياء وهم قد ماتوا، وأمـــا الحيّ الذي لا يموت فهو الله سبحانه وتعالى، يقول الشاعر[٧]:

لَعَمرِيْ لَئِنْ مَـــاتَ النَّبِـــيُّ مُحَمَّـــدٌ لَمَا مَاتَ يَا ابْنَ القِيْـــلِ رَبُّ مُحَمَّـــدِ
دَعَـــاهُ إِلَيْـــــهِ رَبُّـــــهُ فَأَجَابَـــــهُ فَيَا خَيْرَ غَوْرِيٍّ وَيَـــا خَـــيْرَ مُنْجِـــدِ

---

(١) البلاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـــ)، **فتوح البلدان**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيـــس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧م، ص١٤٠. البياضيّ: زياد بن لبيد البياضي ولاه الرســـول ﷺ حضرموت وأقره عليها أبو بكر وأمره بقتال المرتدين. ابن حجر، **الإصابة**، ج٢، ص٤٨٤.

(٢) البقرة: ١٩٧.

(٣) عبد الله بن مالك الأرحبي الهمدّاني: صحابي، ولد على الرسول ﷺ وأسلم إسلاماً عميقـــاً، ويذكـــر عـــن المفاخر ثباته وتثبيته قومه يوم الردة. ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٤، ص١٩٢.

(٤) آل عمران: ١٤٤.

(٥) غافر: ٦٥.

(٦) الفقان: ٥٨.

(٧) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٤، ص١٩٢.

ودعا فَاتِكُ بْنُ زَيْدِ الْعَبْسِيِّ[١] قومَه بني تميم للعودة إلى دين الله تعالى، وقيل إن مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ سيِّدَ بني تميم أراد قتله لدعوته هذه، فقال مخاطباً مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ[٢]:

قُلْتُ يَا مَالِ إِنَّ رَبَّكَ حَيٌّ ... فَاعْبُدَنْهُ وَدِنْ بِدِيْنِ الرَّسُوْلِ

إِنَّهَا رِدَّةٌ تَقُوْدُ إِلَى النَّارِ ... فَلَا تُوْلِعَنْ بِقَالٍ وَقِيْلِ

فالشاعر في البيت الأخير يذكر مالكاً بأن محاولة الردّة تهلك صاحبها وتؤدّي به إلى النار مصداقاً لقوله جلّ شأنه: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣].

وحين أعلن بنو هند من قبائل كندة ردّتهم وقف فيهم أحد المسلمين مُنْشِداً واعظاً فقال[٤]:

فَارْجِعُوْا لِلَّذِي عَنْ كُفْرِكُمُ ... وَاتْبَعُوْا دِيْناً حَنِيْفاً قَيِّمَا

فكأن الشاعر بقوله هذا يتذكّر قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[٥]، فالدين الحنيف القيم هو دين الإسلام.

وأما عُمَيْرُ بْنُ الْحُصَيْنِ[٦] فقد وقف موقف الناصح الأمين لأهل نجران حين أعلنوا ردتهم مستلهماً قوله تعالى: ﴿... قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ...﴾[٧]، فيقول الشاعر[٨]:

أَهْلَ نَجْرَانَ أَمْسِكُوْا بِهَدْيِ اللّٰـ ... ـهِ وَكُوْنُوْا يَداً عَلَى الْكُفَّارِ

لَا تَكُوْنُوْا بَعْدَ الْيَقِيْنِ إِلَى الشّـ ... ـكِّ وَبَعْدَ الرِّضَا إِلَى الْإِنْكَارِ

---

(١) فاتك بن زيد العبسي: أسلم في عهد الرسول ﷺ وهجا قومه يوم ارتدادهم وحاول إصلاحهم. ابن حجر، **الإصابة**، ج٥، ص٢٩٢.

(٢) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٥، ص٢٩٢.

(٣) البقرة: ٢١٧

(٤) الواقدي، محمّد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)، **كتاب الردة**، تحقيق يحيى الجبوري، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٨٦.

(٥) الروم: ٤٣.

(٦) عمير بن الحصين النجراني: ثبت يوم الردة وحث قومه على الثبات على الإسلام. ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٥، ص١٢٤.

(٧) البقرة: ١٢٠.

(٨) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ص١٢٤-١٢٥.

وَاسْتَقِيمُوْا عَلَى الطَّرِيْقَةِ فِيْهِ وَكُوْنُوْا كَهَيْئَةِ الْأَنْصَارِ

يبدو أن المعنى العام للأبيات مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

وقال ثور بن مالك(٢) حين حثَّ قومه على الثبات على الإسلام ولكنهم تولوا عنه معلناً براءته مما كانوا يفعلون(٣):

وَقُلْتُ تَحَلَّوْا بِدِيْنِ الرَّسُوْلِ فَقَالُوْا التُّرَابُ سَفَاهاً بِفِيْكَا

فَأَصْبَحْتُ أَبْكِيْ عَلَى هَلْكِهِمْ وَلَمْ أَكُ فِيْمَا أَتَوْهُ شَرِيْكَا

استرشد الشاعر في عجز بيته الأخير قوله تعالى في خطاب لنبيه ﷺ: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٤).

يتضح مما سبق أن أثر القرآن الكريم في شعر الجهاد قد بدا منذ فترة مبكّرة مما يدل على أن بعض الشعراء قد استمعوا إلى قراءة القرآن الكريم قبل إسلامهم(٥)، فلو لم يكونوا قد استمعوا إليها لَمَا تأثّروا بالقرآن الكريم، ولَمَا استطاعوا طرق المعاني القرآنية في أشعارهم مصادفة فور إسلامهم.

ومن الملاحظ أيضاً أن شعر الدعوة إلى الإسلام المتأثر بالقرآن الكريم قد ازدهر في عصر صدر الإسلام، وذلك لأن تلك المدة هي فترة تأصيل للعقيدة والمبدأ ودعوة المشركين إلى اعتناق الإسلام الجديد، وأما في العصر الأمويّ فيكاد يخلو من أثر القرآن الكريم إلا في استخدام بعض الألفاظ الإسلامية القرآنية، وستأتي بعض الأمثلة لهذا الاستخدام في الفصل الرابع من هذا البحث.

---

(١) الأحقاف: ١٣.

(٢) ثور بن مالك الكندي: صحابي، استخلفه معاذ بن جبل على كندة، وحاول تثبيت قومه يوم الردة فعصوه. ابن حجر، **الإصابة**، ج١، ص٥٣٣.

(٣) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج١، ص٥٣٣.

(٤) الشّعراء: ٢١٦.

(٥) فقد روي أن بعض قريش خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته. ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق١، ص٣١٥.

المبحث الثاني

الحض على الجهاد

لما كتب الله تعالى لدين الإسلام أن ينتشر، وأن يجد أنصاراً من أهل المدينة المنورة والمهاجرين كتب عليهم الجهاد، وأذن لهم في مقاتلة الكفار والمشركين، فاندفع المسلمون في أنحاء الأرض مجاهدين فاتحين محرِّرين الناس من رقِّ الكفر وعبودية الضلال؛ انطلقوا يبلّغون عن الله تعالى ورسوله ﷺ وينشرون تعاليم الله تعالى ويعلون كلمته، ويدافعون عن الحق ولا يخشون في الله لومة لائم ﴿. . . .يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ. . . .﴾[١].

وقد علت أصوات الشعراء المسلمين المجاهدين بشعر فيه حثّ وحضّ على الجهاد، وهنا تدخل أشعار الجهاد مرحلة جديدة تعطيها نفَساً خاصاً حين يشجع المسلمون بعضهم بعضاً على الثبات في المعارك وهو معنى وارد في الشعر الجاهلي[٢]، إلا أن الإسلام قد وجّهه وجهة جديدة، فالشاعر المجاهد يدعو إلى الصبر في القتال أو الموت في سبيل الله أملاً في الجنة وثواب الله فيها[٣]. فهذا عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَام[٤] قاتل يوم بدر ثم استشهد في المعركة نفسها وهو يقول[٥]:

رَكْضاً إِلَى اللهِ بِغَيْرِ زَادِ
إِلَّا التُّقَى[١] وَعَمَلَ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرَ فِي اللهِ عَلَى الْجِهَادِ
وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرُ التُّقَى[١] وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

فالتأثر بالقرآن الكريم عند الشاعر يظهر في استعماله بعض الصيغ الإسلامية القرآنية، فـ "التقى" و"البرّ" و"الرشاد" قد ورد ذكرها في القرآن الكريم، وقد ربط الله تعالى بين أعمال البر والتقوى ربطاً محكماً كما جاء في قوله تعالى: ﴿. . . .وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى. . . .﴾[٦]، وأما "الرشاد"

---

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) ينظر: علي الجندي، **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٢٢١.

(٣) إبتسام مرهون الصفار، **الأمالي في الأدب الإسلامي**، ص١٣٩.

(٤) عمير بن الحُمام السَّلميّ الأنصاري، أول قتيل من الأنصار ومن المسلمين بعامة في الإسلام. ابن حجر، **الإصابة**، ج٤، ص٥٩٣-٥٩٤.

(٥) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمّد (ت٣٥٦هـ)، **الأغاني**، شرح عبد الأمير علي مهنا وسمير جابر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٤، ص١٩٥.

(٦) البقرة: ١٨٩.

فقد ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿. . . .وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[١]. وفي قول الشاعر: "والصبرَ في الله على الجهاد" ترديد لقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللهِ. . . .﴾[٢]، كما أن هذا الرَّجَزَ يجسّد ما جاء في الآية الكريمة: ﴿. . . .وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[٣].

وفي سبيل بيان فرضية الجهاد يقول بُجَيْرُ بْنُ بَجْرَةَ[٤] وهو في سَرِيّة خالدِ بنِ الوليدِ إلى صاحب دَوْمَةِ الْجَنْدل[٥]:

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي ... رَأَيْتُ اللهَ يَهْدِيْ كُلَّ هَادِ

فَمَنْ يَكُ حَائِداً عَنْ ذِيْ تَبُوْكٍ ... فَإِنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالْجِهَادِ

فقد استلهم الشاعر في عجز بيته الأخير قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ. . . .﴾[٦].

ولعل أنصعَ مثالٍ يدل على إقدام الشعراء على الجهاد في سبيل الله قولُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ[٧] في حواره مع ابنة عمه التي سَعَتْ جاهدةً لمنعه من الخروج إلى الجهاد، يقول الشاعر[٨]:

بَاتَتْ تُذَكِّرُنِيْ بِاللهِ قَاعِدَةً ... وَالدَّمْعُ يَنْهَلُّ مِنْ شَأْنَيْهِمَا سَبَلَا

يَا ابْنَةَ عَمِّيْ كِتَابُ اللهِ أَخْرَجَنِيْ ... كُرْهاً وَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللهَ مَا فَعَلَا

فَإِنْ رَجَعْتُ فَرَبُّ النَّاسِ يُرْجِعُنِيْ ... وَإِنْ لَحِقْتُ بِرَبِّيْ فَابْتَغِيْ بَدَلَا

---

(١) غافر: ٢٩.

(٢) النحل: ١٢٧.

(٣) البقرة: ١٩٧.

(٤) بُجَيْر بن بجرة الطائي شاعر له في قتال الروم ثبات وذكر، استشهد في القادسية، ابن حجر، **الإصابة**، ج١، ص٤٠١-٤٠٢.

(٥) النويري، **نهاية الأرب**، ج١٧، ص٣٥٧. ذو تبوك: صاحب غزوة تبوك، وهو الرسول ﷺ.

(٦) الحج: ٧٨.

(٧) النابغة الجعدي أبو ليلى عبد الله بن قيس، وفد على الرسول ﷺ وأسلم، وشهد فتح فارس، وحارب مع علي كرم الله وجهه يوم صفين، وهو شاعر معمّر، وتوفي بأصفهان. ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، **الشّعر والشعراء**، تحقيق عمر الطباع، ط١، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٩٣، وكارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م، ج١، ص٢٣٢.

(٨) النابغة الجعدي، **ديوانه**، جمع وتحقيق وشرح واضح الصمد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٣٧-١٣٨. الشأن: مجرى الدمع من العين. السَبَل: جريان الدمع وهطوله. الضارع: النحيل الضامر الجسم. الضنى: الألم والمرض. الحِوَل: الانتقال من مكان إلى آخر، أو القدرة على التصرف.

مَا كُنْتُ أَعْرَجَ أَوْ أَعْمَى فَيَعْذِرَنِـــيْ أَوْ ضَارِعاً مِنْ ضَنًى لَـــمْ يَسْـــتَطِعْ حِوَلَا

فالشاعر في البيت الثاني يشير إلى فرضية الجهاد، وواضح أن قوله: "كتاب الله أخرجنـــي كرهاً" مقتبس من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ....﴾[١]، وفي الشـــطر الثاني إشارة صريحة إلى أنه لا رادّ لقضاء الله تعالى ولا معقِّب لحكمه مصداقاً لقولـــه تعـــالى: ﴿....وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٢]، وفي البيت الرابع إشارة إلى معوقـــات الجهاد ومبررات القعود عن اللحاق بقوافل الشهداء وهي المرض والعمى والعرج، وواضـــح أن هذا نظم دقيق لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣].

وقد ارتبط مفهوم الجهاد بهدفه النبيل، يسعى المجاهدون من أجله ويتحملون المصاعب في سبيله وهو النصرُ الذي يؤهلهم للاستعداد لجولة جهادية قتالية أخرى لإعلاء كلمة الله أو الشهادةُ في سبيله ليفوزوا بما وعدهم الله تعالى في محكم تنزيله. وفي هذا يقول خَـــالِدُ بْـــنُ الوليـــدِ[٤] محرّضاً أصحابه على المضي في الجهاد ومواصلة الكفاح لقتال الروم في وقعة اليرموك[٥]:

هُبُّوْا جَمِيْعـــاً -إِخْوَتِـــيْ- أَرْوَاحَـــا
نَحْوَ الْعَدُوِّ نَبْتَغِـــي الْكِفَاحَـــــا
نَرْجُوْ بِذَاكَ الْفَـــوْزَ وَالنَّجَاحَـــا
إِذَا بَذَلْنَـــا دُوْنَـــهُ أَرْوَاحَـــــا
وَيَـــرْزُقُ اللهُ لَنَـــا صَلَاحَـــــا
فِيْ نَصْرِنَـــا الْغُـــدُوَّ وَالرَّوَاحَـــا

---

(١) البقرة: ٢١٦.

(٢) الرعد: ٤١.

(٣) الفتح: ١٧.

(٤) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي سيف الله الفاتح الكبير، الصحابي، أسلم قبل فتح مكـــة، وقـــد وجّهه أبو بكر لقتال المرتدين من أعراب نجد، ثمّ سيّره إلى العراق ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منـــه، واســـتمر يقاتل إلى أن تمّ الفتح سنة ١٤ للهجرة، وتوفي بحمص في سوريا، وقيل بالمدينة. الزركلي، خـــير الديـــن بـــن محمود بن علي (ت١٣٩٦هـــ)، **الأعلام**، ط٣، د.ن، بيروت، ١٩٦٩م، ج٢، ص٣٤١-٣٤٢.

(٥) الواقدي، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـــ)، **فتوح الشام**، مكتبة المحتســـب، عمـــان، د.ت، ج١، ص١٧٣-١٧٤.

هذا المعنى ورد في الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾[١]، فإحدى الحسنيين: إما النصر والظَّفْر، وإما الشهادة والثواب العظيم[٢].

و في ضوء الآية السابقة نفسها يردد أحد أبناء الخنساء[٣] المجاهدين قبل استشهاده بدقائق يوم القادسية مرتجزاً[٤]:

فَبَاكِرُوا الْحَرْبَ حُمَاةً فِي الْعَدَدْ
إِمَّا لِفَوْزٍ بَارِدٍ عَلَى الْكَبِدْ
أَوْ مَيْتَةٍ تُوْرِثُكُمْ عِزَّ الْأَبَدْ
فِيْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْعَيْشِ الرَّغِدْ

كما أن معنى الشطرين الثالث والرابع ترديد لقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[٥].

وقال رَبِيْعَةُ بن معمر[٦] يحرّض المسلمين على القتال ويحمّسهم في فتح الشام مبيّناً أن الجنة لن تنال إلا بالصبر على المكاره، ولن يدخلها من هو للجهاد كاره[٧]:

وَلِلّٰهِ فِيْ عَرْضِ السَّمٰوَاتِ جَنَّةٌ وَلٰكِنَّهَا مَحْفُوْفَةٌ بِالْمَكَارِه

---

(١) التوبة: ٥٢.

(٢) الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص٢٦٦.

(٣) الخنساء: هي تماضر بنت عمرو، الشاعرة المشهورة، صاحبة المراثي في أخويها معاوية وصخر اللذين قتلا في الجاهليَّة. وهي من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت. تزوجت أبا مرداس بن أبي عامر، وكانت وفاتها في سنة ٢٤هـ. ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٥، ص٧٢ وما بعدها.

(٤) ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٤، ص٣٨٨، ومحمد سعيد مبيض، **خنساء بنت عمرو بن الشريد – موسوعة حياة الصحابيات**، ط١، مكتبة الغزالي، إدلب، سوريا، ١٩٩٠م، ص٣٤٠.

(٥) الكهف: ١٠٧-١٠٨.

(٦) ربيعة بن معمر بن أبي عوف من فصحاء العرب لا يتكلم إلاّ بالسجع، كلامه ينظم بحسن مقاله. الواقدي، **فتوح الشام**، ج١، ص٢٨٤.

(٧) الواقدي، **المصدر نفسه**، ج١، ص٢٨٤.

فالشاعر في صدر بيته يتذكّر قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. . . .﴾(١)، ولعل عجز البيت مأخوذ من معنى قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾(٢)، فبالجهاد يعلم الصادق في إيمانه أو قوله: "آمنت" من الكاذب الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر(٣).

ويتغنّى الشعراء المجاهدون بالهدف الرئيس للجهاد وهو إعلاء كلمة الله تعالى، فهذه قصيدة كعب بن مالك(٤) التي كانت اللسان الرسمي في الإشاعة بغزو الطائف أو دوس، حتى أن دوساً خافت لما سمعت هذه القصيدة فجاءت عجلى لتسلم، يقول الشاعر فيها(٥):

وَإِنْ تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرْ ... وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشاً ضَعِيْفَا

نُجَالِدُ مَا بَقِيْنَا أَوْ تُنِيْبُوْا ... إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَاناً مُضِيْفَا

نُجَاهِدُ لَا نُبَالِيْ مَنْ لَقِيْنَا ... أَأَهْلَكْنَا التِّلَادَ أَمِ الطَّرِيْفَا

بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيْلٍ ... يَسُوْقُهُمْ بِهَا سَوْقاً عَنِيْفَا

لِأَمْرِ اللهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى ... يَقُوْمَ الدِّيْنُ مُعْتَدِلاً حَنِيْفَا

وفي الأبيات إشارة صريحة إلى الآية الكريمة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٦).

ويقول أحد المجاهدين مستلهماً آية الأنفال السابقة حاثّاً ومحرضّاً على القتال يوم القادسية(٧):

يَا ربَّ مُهْرٍ حَسَنٍ مُطَهَّمِ

---

(١) الحديد: ٢١.

(٢) محمّد: ٣١.

(٣) الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، م١٠، ج٢٨، ص٦٠، ووهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٦، ص١٢٨.

(٤) كعب بن مالك بن أبي كعب السلَمي الخزرجي الأنصاري، أسلم مبكراً في المدينة ومات سنة ٥٠ للهجرة، عاش حياته وشعره منافحاً عن الدعوة الإسلامية أشدّ دفاع، وشعره يمثّل النظرة الإسلامية صفاء، وهو من فحول شعراء القرى. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٦، ص٢٤٠، وعبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص٦٠.

(٥) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٨٠. رعشاً: متقلباً غير ثابت. نجالد: نحارب بالسيوف. الإذعان: الخضوع والانقياد. مضيفاً: ملجئاً. التلاد: المال القديم. الطريف: المال المستحدث.

(٦) الأنفال: ٣٩.

(٧) الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **تاريخ الطبري - تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، روائع التراث العربيّ، بيروت، ١٩٦٧م، ج٣، ص٥٧٨. المهر: ولد الفرس. المطهّم: التام. للفم: على الفم.

يَحْمِلُ أَثْقَالَ الْغُلَامِ الْمُسْلِمِ
يَنْجُوْ إِلَى الرَّحْمٰنِ مِنْ جَهَنَّمِ
يَوْمَ جَلَوْلَاءَ وَيَوْمَ رُسْتُمِ
وَيَوْمَ زَحْفِ الْكُوْفَةِ الْمُقَدَّمِ
وَخَرَّ دِيْنُ الْكَافِرِيْنَ لِلْفَمِ

أما المجاهد سَعِيْدُ بْنُ عَامِر[١] فقد أنشد نشيد الجهاد في سبيل الله وهو في طريقه مدداً للجيش الفاتح في الشام[٢]:

نَسِيْرُ بِجَيْشٍ مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ ... عَلٰى كُلِّ عَجْعَاجٍ مِنَ الْخَيْلِ يَصْبِرُ
إِلٰى شِبْلِ جَرَّاح وَصَحْبِ نَبِيِّنَا ... لِنَنْصُرَهُ وَاللهُ لِلدِّيْنِ يَنْصُرُ
عَلٰى كُلِّ كَافِرٍ لَعِيْنٍ مُعَانِدٍ ... تَرَاهُ عَلَى الصُّلْبَانِ بِاللهِ يَكْفُرُ

يستلهم الشاعر في قوله: "والله للدين ينصر" قوله تعالى: ﴿.... وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾[٣]، وفي البيت الأخير يتأثر بقوله تعالى في قصة النبي نوح عليه السلام مع قومه: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ....﴾[٤]، فالله سبحانه وتعالى ينصر الإسلام كما نصر نبيه نوحاً عليه السلام من قومه الّذين كذّبوا بالأدلّة الدالة على رسالته.

وقال مَيْسَرَةُ بْنُ مَسْرُوْق[٥] في مسيره للقتال وفتح مدينة أَهْنَاس[٦]:

أَتَيْنَا لِأَهْنَاسٍ بِكُلِّ غَضَنْفَرٍ ... عَلٰى كُلِّ صَاهِلٍ مِنَ الْخَيْلِ أَجْرَدِ
فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوْنَا شَكَرْنَا فِعَالَهُمْ ... وَإِلَّا أَبَدْنَاهُمْ بِكُلِّ مُهَنَّدِ
وَنُخْرِبُ أَهْنَاساً وَنَقْتُلُ أَهْلَهَا ... إِذَا خَالَفُوْا دِيْنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

---

(١) سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي القرشي، صحابي، من الولاة، شهد فتح خيبر، وولاه عمر بن الخطاب إمرة حمص بعد فتوح الشام، وتوفي فيها، وكان مشهوراً بالزهد. الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص١٤٩.

(٢) الواقدي، **فتوح الشام**، ج١، ص١٨١. العجعاج النجيب المسنّ من الخيل.

(٣) النساء: ٤٥.

(٤) الأنبياء: ٧٧.

(٥) **ميسرة بن مسروق العبسي وفد على الرسول ﷺ وأسلم، وثبّت قومه بني عبس يوم الردة، وكان صالحاً مجاهداً. ابن حجر، الإصابة، ج٦، ص١٨٨.**

(٦) الواقدي، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٥٢.

فالمعنى للبيت الأخير مشتق من الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(١).

وإذا كان شعر الحضّ على الجهاد المتأثر بالقرآن الكريم في عصر صدر الإسلام موجَّهاً إلى قتال الكفار والمشركين حتى يُسلِموا، فإن هذا الشّعر في العصر الأمويّ قد تطور حيث إنه موجَّه إلى قتال من خرجوا على حدود الله تعالى حتى يعودوا إلى حياض الشريعة الإسلامية. وقد ظهر هذا النوع من الشّعر بشكل واضح على يد شعراء الخوارج، يقول أَبُوْ الوَازِع(٢):

فَجَاهِدْ أُنَاساً حَارَبُوْا اللهَ وَاصْطَبِرْ ... عَسَى اللهَ أَنْ يُخْزِيَ غَوِيَّ بَنِيْ حَرب(٣)

لعل الشاعر في هذا البيت يستفيد من الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٤).

وأما قُطْرِيُّ بنُ الفُجَاءَة(٥) في حضّه على الجهاد فبيّن أن الجهاد هو التجارة الرابحة التي لن تبور، يحقّق بها المرء النجاح والفوز بدخول الجنة والنجاة من النار، فيقول(٦):

وَسِرْ نَحْوَنَا تَلْقَ الْجِهَادَ غَنِيمَةً ... تُفِدْكَ ابْتِيَاعاً رَابِحاً غَيْرَ خَاسِرِ

هِيَ الْغَايَةُ القُصْوَى العَظِيمُ ثَوَابُهَا ... إِذَا نَالَ فِي الدُّنْيَا الْغِنَى كُلُّ تَاجِرِ

---

(١) التوبة: ١٢٣.

(٢) أبو الوازع الراسبي من شعراء الخوارج ومجتهديهم، كان يحض أصحابه على الخروج، قبض عليه عبيد الله بن زياد وصلبه. المبرد، أبو العباس محمّد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق محمّد أحمد الدالي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ج٣، ص١٢٠٤، وعزيزة فوال بابتي، **معجم الشّعراء المخضرمين والأمويّين**، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص٥٢٢.

(٣) المبرد، **المصدر نفسه**، ج٣، ص١٢٠٤.

(٤) المائدة: ٣٣.

(٥) قطري بن الفجاءة المازني شاعر الخوارج وفارسها وخطيبها، وشعره من أحسن ما قيل في الحماسة والوفاء للمذهب، وله خطبة طويلة مشهورة، وكلام كثير محفوظ، وكانت له كنيتان: كنية في السلم وهو أبو محمد، وكنية في الحرب وهو أبو نعامة، وقتل سنة ٦٨هـ. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٨١، والجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق درويش جويدي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص٢٠٢، وعبد الرزاق حسين، **شعر الخوارج دراسة فنية موضوعية مقارنة**، ط١، دار البشير، عمان، الأردن، ١٩٨٦م، ص١٣٧-١٣٨، والنعمان القاضي، **الفرق الإسلامية في الشّعر الأمويّ**، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٦٢٨ وما بعدها.

(٦) ابن أعثم، أبو محمّد أحمد بن أعثم (ت٣١٤هـ)، **كتاب الفتوح**، تحقيق علي شيري، ط١، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م، ج٧، ص٣٦.

لقد استعان الشاعر في بيتيه قوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

ويلاحظ أن الشّعر الذي قيل في الحضّ على الجهاد -على مدى مدة موضوع الدراسة- قليل جداً، لا سيما المتأثّر بالقرآن الكريم، والتعبير عن فكرة الجهاد في شعر الفتوحات في العصر الأمويّ ضعيف، وأكثر هَمّ الشّعراء أن يتغنّوا بشجاعتهم وصدق لقائهم، مع أن هذه الفكرة كانت بارزة في الشّعر في عصر صدر الإسلام، ولعل ذلك يعود إلى أن اندفاع المسلمين إلى الفتح تحت تأثير هذه الفكرة قد أغناهم عن التصريح والتوضيح بها في أشعارهم[٢].

---

(١) الصف: ١٠-١١.

(٢) ينظر: صلاح الدين الهادي، **الأدب في عصر النبوة والراشدين**، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٣١٠.

المبحث الثالث

الـــــــــرثـــــاء

عرف العرب الرثاء منذ العصر الجاهلي، إذ كان الرجال والنساء جميعاً يندبون الموتى، كما كانوا يقفون على قبورهم مؤبّنين لهم مثنين على خصالهم، وقد يخلطون ذلك بالتفكير في مأساة الحياة وبيان عجز الإنسان وضعفه أمام الموت، وأن ذلك مصير محتوم(١).

والرثاء من الفنون التي جود فيها الشعراء، لأنّه تعبير عن خلجات قلب حزين، وفيه لوعة صادقة وحسرات حرىً، ولذلك فهو من الموضوعات القريبة إلى النفس، لأن الرثاء الصادق تعبير مباشر قلّما تشوبه الصنعة أو التكلّف(٢). وهو وثيق الصلة بالمديح، إلاّ أن الرثاء أقوى عاطفة من المديح، لأن المادحين يمدحون للرجاء، والراثون يرثون للوفاء(٣).

ولا شكّ في أن الإسلام قد أحدث تغييراً ما في نظرة الناس نحو الموت بفضل كثير من الأفكار التي بثّها، وبخاصة ما يتعلّق بالقضاء والقدر وحتمية الموت(٤)، واندغم ذلك بأحاسيس الشّعراء، فأحدث ذلك تشكيلاً جديداً لمضمون شعر الرثاء، فاختلف الرثاء الإسلامي عن الرثاء الجاهلي، إذ لم يكن شعر الرثاء الإسلامي إلاّ صورة من صور الدعاية للدين، وبثّ الأفكار الإسلامية، لأن شعراء المسلمين كانوا يمزجون رثاءهم لقتلاهم بثواب الآخرة، والتنعّم بجنان الخلد، والاستشهاد في سبيل الدين وهو الغاية السامية التي يسعى إليها المسلم(٥).

ولقد وضع القرآن الكريم أكاليل على رؤوس الشهداء الّذين سقطوا في المعارك التي دارت بين المسلمين وأعدائهم، وجعلهم في درجات عالية لا يرقى إليها إلاّ الأنبياء والمرسلون، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(٦).

من الملاحظ أن رثاء الشّعراء المتأثّر بالقرآن الكريم للشهداء يتأطّر في شكلين: أولهما الرثاء الفردي، وثانيهما الرثاء الجماعي. أمّا في الرثاء الفردي فكان لحمزة بن عبد المطلب الذي استشهد في غزوة أحد النصيب الأوفى من ذلك الرثاء.

---

(١) شوقي ضيف، **الرثاء**، ط٤، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٧.

(٢) يحيى الجبوري، **الشّعر الجاهلي، خصائصه وفنونه**، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣١١.

(٣) عبد المنعم أحمد يونس، **كعب بن مالك الأنصاري حياته وشعره**، ط١، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر، ١٩٨٦م، ص١٨٢.

(٤) مخيمر صالح موسى، **رثاء الأبناء في الشّعر العربيّ إلى نهاية القرن الخامس الهجريّ**، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، د.ت، ص١٥٦.

(٥) يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م، ص١١٩.

(٦) آل عمران: ١٦٩.

يقول حسان بن ثابت[١] في رثاء عم النبي ﷺ[٢]:

أَظْلَمَـــتِ الْأَرْضُ لِفُقْدَانِـــــهِ وَاسْـوَدَّ نُـوْرُ الْقَمَـرِ النَّـــاصِلِ

صَلَّـى عَلَيْـكَ اللهُ فِـــيْ جَنَّـــةٍ عَالِيَـــةٍ مُكْرَمَـــةِ الدَّاخِـــلِ

فالشاعر في البيت الثاني يشير إلى مصير المرثي يوم القيامة فيستفيد من قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[٣].

ويقول في الحادثة نفسها[٤]:

فَإِنْ تَذكُرُوْا قَتْلَـــى وَحَمْـزَةُ فِيْـهِمُ قَتِيْـلٌ ثَـوَى لِلّهِ وَهْـــوَ مُطِيْـــعُ

فَـــإِنَّ جِنَـــانَ الْخُلْـدِ مَنْزِلـــهُ بِـــهَا وَأَمْرُ الَّذِيْ يَقْضِي الْأُمُـوْرَ سَـرِيْعُ

وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَـــلُ رِزْقِـــهِمْ حَمِيْمٌ مَعاً فِـــيْ جَوْفِـــهَا وَضَرِيْـعُ

فكأن الشاعر في البيت الثاني ينظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾[٥]، كما أنه يشير إلى طعام قتلى المشركين أهل النار وشرابهم في البيت الثّالث فيستلهم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾[٦]، وقوله سبحانه: ﴿... أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[٧].

أمّا كعب بن مالك في رثائه لحمزة بن عبد المطلب فقد قارن بين قتلى المشركين وشهداء المسلمين مقارنة قائمة على العقيدة الإسلامية، فيقول بعد أن ذكر شماتة قريش بمقتل حمزة،

---

(١) حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري، كان من المعمرين، فعاش مائة وعشرين سنة شطرها الأوّل في الجاهليّة، وشطرها الثاني في الإسلام، وتوفي عام ٥٤ للهجرة، شاعر مدني كبير وهو أشعر أهل الحواضر في الجاهليّة، وكان في الإسلام شاعر النبي المصطفى المنافح عن الدعوة الإسلامية حق المنافحة، ولعله أكبر شاعر إسلامي بذل نفسه للدفاع عن الإسلام، ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ج٤، ص١٤١، وربيعة أبو فاضل، **حسان ابن ثابت الأنصاري شاعر الإسلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م، ص٣٣-٣٤.

(٢) حسان بن ثابت، **ديوانه**، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م، ص٣٨٤.

(٣) الحاقة: ٢١-٢٢.

(٤) حسان بن ثابت، **المصدر نفسه**، ص٣١٢.

(٥) الفرقان: ١٥.

(٦) الغاشية: ٦-٧.

(٧) الأنعام: ٧٠.

ويذكّرهم بقتلاهم الّذين قتلهم المسلمون ببدر، مقارناً بين قتلى الطرفين[١].

شتّانَ مَن هــو فــي جــهنمَ ثاويــاً أبداً ومن هو فـــي الجنـــان مخلَّـدُ

فالبيت يعيد في الأذهان قوله تعـالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٢].

ويقول عبد الله بن رواحة[٣]:

أُصِيـبَ الْمُسْـلِمُوْنَ بِـهِ جَمِيْعـاً هُنَاكَ، وَقَدْ أُصِيـبَ بِـهِ الرَّسُـوْلُ

أَبَـا يَعْلَـى لَـكَ الْأَرْكَـانُ هُـدَّتْ وَأَنْـتَ الْمَـاجِدُ الـبَرُّ الوَصُـوْلُ

عَلَيْـكَ سَـلَامُ رَبِّـكَ فِـيْ جِنَـانٍ مُخَالِطُـهَا نَعِيْـمٌ لَا يَـزُوْلُ

في البيت الأخير يتضح أثر قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤]، أو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾[٥].

وقد شاركت صفية بنت عبد المطلب[٦] بقصيدتها في رثاء أخيها حمزة رثاء إسلامياً حزيناً فقالت[٧]:

أَسَـائِلَةٌ أَصْحَـابَ أُحُـدٍ مَخَافَـةً بَنَاتُ أَبِـيْ مِـن أَعْجَـمٍ وَخَبِـيرِ

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٥٨، وكعب بن مالك، **ديوانه**، تحقيق وشرح مجيد طـراد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣٨.

(٢) الحشر: ٢٠.

(٣) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص١٦٢، وعبد الله بن رواحة، **ديوانه**، جمع وتحقيق وليد قصـاب، ط٢، دار الضياء، عمان، الأردن، ١٩٨٨م، ص١٣٢، أبا يعلى: كنية حمزة رضي الله عنه، يكنى بابنه يعلى، الماجد: الشريف.

(٤) النحل: ٣١-٣٢.

(٥) الطور: ١٧.

(٦) صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي شاعرة سيدة حازمـة شـجاعة، أسـلمت قديماً، وهاجرت إلى المدينة، وتوفيت عام ٢٠ للهجرة عن ٧٣ سنة، وأكثر شعرها في الرثاء، ولكنه كشعر عامة النساء ضعيف لا يخلو عن الركاكة، ينظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج٨، ص٢١٣ وما بعدها، والعمري، ياسين بن خير الله (ت١٢٣٢هـ)، **الروضة الفيحاء في تواريخ النساء**، تحقيق رجاء محمود السـامرائي، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٦م، ص٩٣.

(٧) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص١٦٧.

فَقَالَ الْخَبِيْرُ إِنَّ حَمْـزَةَ قَـدْ ثَـوٰى وَزِيْـرُ رَسُـوْلِ اللهِ خَـيْرُ وَزِيْـرِ
دَعَاهُ إِلٰهُ الْحَقِّ ذُوْ الْعَـرْشِ دَعْـوَةً إِلٰـى جَنَّـةٍ يَحْيَـا بِـهَا وَسُـرُوْرِ
فَذٰلِكَ مَـا كُنَّـا نُرَجِّـيْ وَنَرْتَجِـيْ لِحَمْزَةَ يَوْمَ الْحَشْـرِ خَـيْرُ مَصِـيْرِ

فالبيتان الأخيران قريبان من معنى قولـه تعـالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[١].

ومما قيل في الرثاء الفردي أيضاً قول حسان بن ثابت يرثي خُبَيْبَ بن عدي الذي أرسـله النبي ﷺ مع نفر من المسلمين إلى نجد ليفقّهوا الناس بالدين الجديد فغدر بهم وقتل بعضهم يـوم الرجيع، وأسر خبيباً وأتباعه مشركو مكّة ثمّ قتلوه، فقال حسان[٢]:

فَاذْهَبْ خُبَيْـبُ جَـزَاكَ اللهُ طَيِّبَـةً وَجَنَّةَ الْخُلْدِ عِنْدَ الْحُوْرِ فِي الرُّفُـقِ
مَاذَا تَقُوْلُوْنَ إِنْ قَـالَ النَّبِـيُّ لَكُـمْ حِيْنَ الْمَلَائِكَةُ الْأَبْرَارُ فِـي الْأُفُـقِ
فِيْمَ قَتَلْتُـمْ شَـهِيْدَ اللهِ فِـيْ رَجُـلٍ طَاغٍ قَدْ أَوعَثَ فِي الْبُلْدَانِ وَالطُّـرُقِ

البيت الأوّل مستمدّ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٣]، وقولِه تعالى في بيان نوع من أنواع نعيم السابقين[٤]: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[٥].

وقال أَبُوْ عَامِر بنُ غَيلان[٦] يرثي ولده الذي خرج غازياً وأدركه طاعون عمواس بالشـام إذ يترجم الآية القرآنية: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٧].

---

(١) الإنسان: ١١-١٢.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، توثيق: عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م، ج٤، ص٤٤٨.

(٣) الفجر: ٢٧-٣٠.

(٤) هم الأنبياء والرسل عليهم السلام والشهداء والصديقون والقضاة العدول الّذين سبقوا إلى الإيمان والطاعـة والجهاد والتوبة والقضاء بالحق. ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٧، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٥) الواقعة: ٢٢.

(٦) هو غيلان بن سلمة بن معتّب بن مالك الثقفي، أسلم بعد فتح الطائف، وكان أحد وجوه ثقيف. ينظر: ابـن حجر، **الإصابة**، ج٥، ص٢٥٣.

(٧) الرحمن: ٢٦.

عَيْنِـيْ تَجُـوْدُ بدمعِـهَا الـــهَتَانِ سَـحّاً وَتَبْكِـيْ فَـارِسَ الفُرْسَـانِ
لَوْ أَسْتَطِيْعُ جَعَلْـتُ مِنِّـيْ عَـامِراً تَحْتَ الضُّلُوْعِ وَكُـلُّ حَـيٍّ فَـانِ[١]

و في ضوء الآية السابقة نفسها، يقول ذُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ[٢] راثياً ولده الذي استشهد في قتال الفرس[٣]:

أَبْغِي الحَتَاتَ فِـي الْجِيَـادِ وَلَا أَرَى لَـهُ شَـبَهاً مَـا دَامَ لِلهِ سَـاجِدُ
وَكَانَ الْحَتَـاتُ كَالشِّـهَابِ حَيَاتُـهُ وَكُـلُّ شِـهَابٍ لَا مَحَالَـةَ خَـامِدُ

وقد تأثّر الشاعر أيضاً في بيته الأخير بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا....﴾[٤].

ورثى الشَّمَرْدَلُ[٥] أخاه وَائِلاً الذي استشهد أثناء محاربته للترك، مستسلماً لقضاء الله صابراً على ما ابتلاه به، فيقول[٦]:

لَعَمْرِيْ لَئِنْ غَالَتْ أَخِيْ دَارُ فُرْقَـةٍ وَآبَ إِلَيْنَـا سَـيْفُهُ وَرَوَاحِلُـهْ
وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقَالَـهَا الْأَرْضُ وَانْتَـهَى بِمَثْوَاهُ مِنْـهَا وَهْـوَ عَـفٌّ مَآكِلُـهْ

إلى أن يقول:

إِلَى اللهِ أَشْكُوْ لَا إِلَى النَّـاسِ فَقْـدَهُ وَلَوْعَةَ حُزْنٍ أَوجَعَ الْقَلْـبَ دَاخِلُـهْ

---

(١) ابن حجر، **الإصابة**، ج٣، ص٤٨٢.

(٢) ذريح بن الحارث بن ربيعة الثعلبي، شاعر إسلامي، وكان شيخاً كبيراً عندما خرج ابنه الحتات إلى جهاد الفرس، فشقّ عليه وجزع من فراقه. ينظر: ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٣٥٤، وعفيف عبد الرحمن، **معجم الشّعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأمويّ**، ط١، دار المناهل، بيروت، ١٩٩٦م، ص٩٢.

(٣) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٣٥٤.

(٤) آل عمران: ١٤٥.

(٥) الشمردل بن شريك بن عبد الملك، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأمويّة، كان في أيام جرير والفرزدق، وتوفي سنة ٨٠ للهجرة. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٣، ص٣٧٧، وعفيف عبد الرحمن، **المرجع نفسه**، ص١٢٥.

(٦) الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ج١٣، ص٣٧٩.

فالشاعر في بيته الأخير يتذكّر قوله سبحانه على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ....﴾(١).

أمّا الفرزدق(٢) فرثى الجَرَّاحَ بنْ عبدِ الله الحكمي أمير خراسان الذي استشهد غازياً بمرج أَرْدَبِيْل، قتله الخزر، فوصفه بأنه سيحشر مع الأنبياء والصدّيقين آمناً متنعماً برحمة الله جزاء على صبره وصحّة اعتقاده بقدر الله ومشيئته، فقال(٣):

لَقَدْ صَبَرَ الجَرَّاحُ حَتَّى مَشَتْ بِهِ ... إِلَى رَحْمَةِ اللهِ السُّيُوْفُ الصَّوَارِمُ

فَأَصْبَحَ فِي الْقَوْمِ الَّذِيْنَ مُحَمَّدٌ ... أَخُوْهُمْ وَمَنْ يَلْحَقْ بِهِمْ فَهْوَ سَالِمُ

إِلَى الْغُرْفَةِ الْعُلْيَا رَفِيْقُ مُحَمَّدٍ ... مُقِيْماً وَلَا منها هُوَ الدَّهْرُ رَائِمُ

فمعنى الأبيات ورد في قوله جل شأنه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾(٤).

وفي الأبيات التالية يرثي كعب النَّهْدِيُّ(٥) ولدَيْهِ عَمْراً وحَمَلاً، وقد استشهد الأوّل في تُسْتَر واستشهد الثاني بجُرْجَانَ، يقول الشاعر(٦):

جَزَى حَمَلاً جَازِيَ الْعِبَادَةِ كَرَامَةً ... وَعَمْرَو بْنَ كعبٍ خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا

---

(١) يوسف: ٨٦.

(٢) الفرزدق: هو همام بن غالب بن صعصعة المجاشعي التميمي، الشاعر المشهور، مدح كثيراً من الخلفاء والأمراء، وكان شريفاً في قومه، ونقائضه وأخباره مشهورة، وتوفي سنة ١١٠هـ. الزركلي، **الأعلام**، ج٩، ص٩٦، وابن ميمون، محمّد بن المبارك بن محمّد (ت٥٩٧هـ)، **منتهى الطلب من أشعار العرب**، تحقيق محمّد نبيل طريفي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ج٥، ص١٨٣.

(٣) الفرزدق، **ديوانه**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ج٢، ص٢٥١. وعبد العزيز بن محمّد الزير ومحمد بن عبد الله الأطرم، **شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأمويّ**، الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية، الرياض، ١٩٧٢م، ص٢٤٠-٢٤١.

(٤) النساء: ٦٩.

(٥) كعب النهدي: والد صبور، عندما علم باستشهاد ولده الأوّل لم يجزع وقال: "الحمد لله الذي جعل من صلبي من أصيب شهيداً"، وعندما بلغه الخبر باستشهاد الثاني قال: الحمد لله الذي توفر منا شهيداً". السَّهْميّ، أبو القاسم حمزة بن يوسف القرشي (ت٤٢٨هـ)، **تاريخ جرجان**، تحت مراقبة محمّد عبد المعين خان، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨١م، ص٤٩-٥٠.

(٦) السهمي، **المصدر نفسه**، ص٥٠.

خَلِيلَـيَّ وَابْنَـيَّ اللَّذَيْـنِ تَتَابَعَـا ... شَهِيْدَيْنِ كَانَـا عِصْمَتَـيَّ وَرَجَائِيَـا
فَمَـنْ يُعْطِـهِ اللهُ الشَّـهَادَةَ يُعْطِـهِ ... بِـهَا شَـرَفاً يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ عَالِيَـا

الشاعر يدعو الله تعالى لولديه بالأجر والثواب مطمئناً إلى المنزلة الرفيعة التي وعد الله الشهداء مستعيناً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾[١].

أمّا الرثاء الجماعي للشهداء فهو من أبرز أنماط الرثاء في العصر الإسلامي وقد نبت على يد شعراء الرسول ﷺ[٢].

فهذا كعب بن مالك يبكي شهداء المسلمين في أُحدٍ بكاء المؤمن بقضاء الله وقدره، فيذكر بلاء الشهداء الّذين دعاهم ربهم إلى جناته ورضوانه مستلهماً قوله تعالى: ﴿.... وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾[٤]، فيقول[٥]:

وَقَتْلاَهُـم فِـيْ جِنَـانِ النَّعِيْـمِ ... كِـرَام المَدَاخِـلِ وَالمَخْـرَجِ
بِمَا صَـبَرُوْا تَحْـتَ ظِـلِّ اللِّـوَاءِ ... لِـوَاءِ الرَّسُـوْلِ بِـذِي الأَضْـوُجِ
غَـدَاةَ أَجَـابَتْ بِأَسْـيَافِهَا ... جَمِيْعـاً بَنُـوْ الأَوْسِ وَالْخَـزْرَجِ
وَأَشْـيَاعُ أَحْمَـدَ إِذْ شَـايَعُوْا ... عَلَى الْحَـقِّ ذِيْ النُّـوْرِ وَالْمنـهجِ
فَمَـا بَرِحُـوْا يَضْرِبُـوْنَ الْكُمَـاةَ ... وَيَمْضُوْنَ فِـي القَسْـطَلِ الْمُرْهَـجِ
كَذٰلِـكَ حَتّٰـى دَعَـاهُمْ مَلِيْـكٌ ... إِلٰـى جَنَّـةٍ دَوْحَـةِ المَوْلَـجِ

---

(١) طه: ٧٥.

(٢) حسين جمعة، **الرثاء في الجاهليَّة والإسلام**، ط١، دار معد للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩١م، ص٩٢.

(٣) النساء: ٣١.

(٤) النساء: ٥٧.

(٥) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٣٨-١٣٩. الأضوج بضم الواو جمع ضوج وهو جانب الوادي. القسطل: الغبار. المرهج: الذي علا في الجو. دوحة: شجرة عظيمة.

ثمّ يخاطب كعب المشركين بأن قتلاهم في الدرك الأسفل من النار مستعيناً بقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ....﴾[١]، فيقول:

أُولٰئِكَ لَا مَنْ ثَوٰى مِنْكُمُ ... مِنَ النَّارِ فِي الدَّرْكِ المُرْتَجِ

أمّا حسان بن ثابت فقد رثى شهداء بئر معونة[٢] وغزوة الخندق[٣] وغزوة مؤتة[٤] متأثراً ببعض الآيات الكريمة في وصف الجنة وبيان حتمية الموت، وفيما يلي رثاؤه لشهداء غزوة الخندق[٥]:

صَبَابَةٌ وَجَدٍ ذَكَّرَتْنِي أَحِبَّةً ... وَقَتْلٰى مَضَى فِيهَا طُفَيْلٌ وَرَافِعُ

وَسَعْدٌ فَأَضْحَوْا فِي الجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ ... مَنَازِلُهُمْ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بَلَاقِعُ

وَفَوْا يَوْمَ بَدْرٍ لِلرَّسُوْلِ وَفَوْقَهُمْ ... ظِلَالُ الْمَنَايَا وَالسُّيُوْفُ اللَّوَامِعُ

دَعَا فَأَجَابُوْهُ بِحَقٍّ وَكُلُّهُمْ ... مُطِيْعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ

فَمَا نَكَلُوْا حَتَّى تَوَلَّوْا جَمَاعَةً ... وَلَا يَقْطَعُ الآجَالَ إلاّ المُصَارِعُ

لِأَنَّهُمُ يَرجُوْنَ مِنْهُ شَفَاعَةً ... إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلاَّ النَّبِيُّوْنَ شَافِعُ

فَذٰلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادِ بَلَاؤُنَا ... إِجَابَتُنَا لِلّٰهِ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ

لَنَا القَدَمُ الْأُوْلٰى إِلَيْكَ وَخَلْفَنَا ... لِأَوَّلِنَا فِيْ مِلَّةِ اللهِ تَابِعُ

وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلّٰهِ وَحْدَهُ ... وَأَنَّ قَضَاءَ اللهِ لَا بُدَّ وَاقِعُ

فالشاعر يصور مصير الشهداء في جنات النعيم، ويعبر عن رضاه بقضاء الله وقدره ويظهر أن الموت حق، وهو متأثر في أفكاره بكثير من الآيات الكريمة في مثل قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ....﴾[٦]، والبيت الأخير يشير إلى قوله

---

(١) النساء: ١٤٥.

(٢) ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٨٩.

(٣) ينظر: ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٢٦٩-٢٧٠.

(٤) ينظر: حسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص٢٣٢-٢٣٤.

(٥) **ابن هشام، المصدر نفسه، ق٢، ص٢٧٠.** بلاقع: قِفار خالية. ناقع: ثابت.

(٦) النساء: ٧٨.

تعالى: ﴿.... وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ....﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿.... وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٢).

وقال شاعر في رثائه لشهداء معركة القادسية الّذين دفنوا بمُشَرَّقٍ معتزاً بما أعده الله تعالى لهم من ثواب وأجر، فيقول(٣):

جَزَى اللهُ أَقْوَاماً بِجَنْبِ مُشَرِّقٍ ... غَداةَ دَعَا الرَّحْمٰنُ مَنْ كَانَ دَاعِيَا

جِنَاناً مِنَ الْفِرْدَوْسِ وَالْمَنْزِلِ الَّذِيْ ... يَحِلُّ بِهِ مِ الْخَيْرِ مَنْ كَانَ بَاقِيَا

استلهم الشاعر في رثائه هذا روح الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾(٤).

وقال كعبُ بنُ عُمَيْرَةَ(٥) يرثي شهداء النهروان مبيناً أن في استشهادهم نجاة وفوزاً من عذاب دائم، فيقول(٦):

لَقَدْ فَازَ إِخْوَانِيْ فَنَالُوْا الَّتِيْ بِهَا ... نَجَوْا مِنْ عَذَابٍ دَائِمٍ لَا يُفَتَّرُ

والشطر الثاني مشتق من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ....﴾ (٧).

من الواضح أن الرثاء الجماعي لا يختلف عن الرثاء الفردي، فتأثر الشّعراء بالقرآن الكريم فيهما كاد أن يكون مقتصراً على فكرتين رئيستين، وهما الاستبشارُ بما أعده الله تعالى

---

(١) الفرقان: ٢.

(٢) البقرة: ١١٧.

(٣) ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٥، ص١٣٣.

(٤) الكهف: ١٠٧-١٠٨.

(٥) كعب بن عميرة شاعر من شعراء الخوارج، أراد أن يخرج أيام النهروان، فحبسه أخوه فرثى أهل النهروان. المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ)، **معجم الشعراء**، تصحيح وتعليق ف. كرنكو، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص٢٠٩، وعزيزة فوال بابتي، **معجم الشعراء المخضرمين والأمويين**، ص٣٩٥.

(٦) المرزباني، **معجم الشعراء**، ص٢٠٩، وإحسان عباس، **شعر الخوارج**، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤م، ص٦٠.

(٧) الزخرف: ٧٤-٧٥.

للشهداء يوم القيامة من الجنة والثواب والأجر، والإيمانُ بأن الموت أمر حتمي مقضي به في أجل معين لا يتجاوزه ولا يتقدم عنه لحظة.

وثمة لون آخر من الرثاء المتأثر بالقرآن الكريم يختلف عن هذا الرثاء، استحدثته الحياة الإسلامية وهو رثاء الأعضاء والأشلاء[١] التي تفقد في ساحات القتال وفي معارك الفتح الإسلامي في صورة رائعة، تمتلئ بالشجاعة والبسالة وإظهار الشدة والاحتمال والبأس، واحتساب هذه الأعضاء والأشلاء والفخر ببذلها في سبيل الله، والاستهانة بفقدها أمام ما أوقعته هذه الأعضاء بالأعداء قبل أن تفقد[٢].

ومن بين هذه الصور الرائعة تلك الصورة التي يصور فيها المجاهد عُبَيْدَةُ بْنُ الحَارِثِ[٣] حينما قطعت رجله في غزوة بدر، فاحتسبها عند الله وعدَّها وسيلة له لدخول الجنة حيث النعيمُ الدائمُ والسعادةُ الأبديةُ، فيقول[٤]:

فَإِنْ تَقْطَعُوْا رِجْلِيْ فَإِنِّيْ مُسْلِمٌ ... أُرَجِّيْ بِهَا عَيْشاً مِنَ اللهِ دَانِيَا

مَعَ الْحُوْرِ أَمْثَالِ التَّمَاثِيْلِ أُخْلِصَتْ ... مَعَ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا لِمَنْ كَانَ عَالِيَا

وَبِعْتُ بِهَا عَيْشاً تَعَرَّقْتُ صَفْوَهُ ... وَعَالَجْتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الْأَدَانِيَا

فالشاعر في البيت الثاني يسترشد قوله تعالى: ﴿.... وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[٧].

وهذا عِلْبَاءُ بْنُ جَحْشٍ العِجْلِيُّ[٨]، طعنه فارسي في بطنه في القادسية، فانتثرت أمعاؤه، فلم

---

(١) لقد ظهر رثاء الأعضاء والأشلاء منذ العصر الجاهلي، لكنه قد ارتقى واكتسب رؤية جديدة في عصر صدر الإسلام. ينظر: حسين جمعة، **الرثاء في الجاهليَّة والإسلام**، ص٨٣ و ٨٥.

(٢) ينظر: صلاح الدين الهادي، **الأدب في عصر النبوة والراشدين**، ص٣١٨. والنعمان عبد المتعال القاضي، **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٢٥١. ومصطفى عبد الشافي الشوري، **شعر الرثاء في صدر الإسلام**، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الجيزة، مصر، ١٩٩٦م، ص٥٥ و ٦٢.

(٣) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رأس بني عبد مناف، أسلم قديماً، وهاجر وحمل أول راية في الإسلام وشهد بدراً ومات إثر جراحة رجله بأشهر. ينظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٣، ص١٤١.

(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٤.

(٥) الطور، ٢٠.

(٦) الرحمن: ٧٢.

(٧) الحاقة: ٢١-٢٢.

(٨) علباء بن جحش العجلي، كان يبارز فارسياً يوم القادسية، فنفحه ذلك الفارسي وأمعاه ممّا أدى إلى استشهاده على رأس ثلاثين ذراعاً من مصرعه إلى صف فارس. الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٥٤٦.

يستطع القيام، فعالج إدخالها، وارتجز بكلماته الأخيرة[١]:

أَرْجُوْ بِهَا مِنْ رَبِّنَا ثَوَاباً قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ أَحْسَنَ الضِّرَابَا

فكأن الشاعر ينظر إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٢].

وهذا عِفَاقٌ[٣] قد قَطع أحدُ فرسان العدو رجلَه يوم القادسية، فراح يحتسبها عند الله، مستهيناً بها قائلاً[٤]:

صَبْراً عِفَاقُ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَهْ صَبْراً وَلَا تَغْرُرْكَ رِجْلٌ نَادِرَهْ

الشاعر بقوله هذا يتذكر قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ....﴾[٦].

ولعل رثاء الأعضاء في شعر الجهاد الأمويّ[٧] المتأثر بالقرآن الكريم يتمثل في مقطوعة واحدة فقط، أو على أصح تعبير أنّها هي المقطوعة الوحيدة التي وصل إليها اطلاع الباحثة، وهذه المقطوعة للمُهَلَّبِ بْنِ أبي صُفْرَةَ[٨]، قالها في رثاء عينه، وكان قد فقدها في فتح سمرقند، فقال يرثيها ويتعزى بسلامة نفسه، مسلماً أمره إلى الله، راضياً بقضائه[٩]:

---

(١) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٥٤٦.

(٢) النساء: ١٣٤.

(٣) عفاق: أحد مجاهدي يوم القادسية من بني كاهل بن أسد، ينظر: الطبري، **المصدر نفسه**، ج٣، ص٥٥٨.

(٤) الطبري، **المصدر نفسه**، ج٣، ص٥٥٨.

(٥) هود: ١١٥.

(٦) غافر: ٧٧.

(٧) وقد لاحظ إبراهيم محمّد غماري المغربي أن الشّعراء الأمويّين لم يكثروا من رثاء الأعضاء. ينظر: "شعر الفتوح الإسلامية في العصر الأمويّ"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٨٦م، ص٩٩.

(٨) المهلب بن أبي صفرة الأزدي،والي البصرة لابن الزبير، وانتدب لقتال الأزارقة فقاتلهم تسعة عشر عاماً قتالاً شديداً لا هوادة فيه حتى ظفر بهم ومزقهم وكسر شوكتهم، ثمّ ولاه عبد الملك خراسان سنة ٧٩هـ، فأقام عليها حتى توفي سنة ٨٣هـ. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٨، ص٢٦٠.

(٩) ابن خلّكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص١٧٦. الحيول: جمع حَيْل، وهو القوة، يقال: "لا حَيْلَ ولا قوة إلاّ بالله" لغة في "لا حول ولا قوة"، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص١٩٦.

لَئِنْ ذَهَبَتْ عَيْنِيْ لَقَدْ بَقِيَتْ نَفْسِيْ وَفِيْهَا بِحَمْدِ اللهِ عَنْ تِلْكَ مَا يُنْسِيْ
إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ أَعْيَا حُيُوْلُنَا وَلَا بُدَّ أَنْ تَعْمَى الْعُيُوْنُ لَدَى الرَّمْسِ

فقوله: "إذا جاء أمر الله أعيا حيولنا" يشير إلى قوله تعالى: ﴿.... وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾(١).

يتضح من النماذج السابقة أن القرآن الكريم قد أثر في شعر الرثاء، غير أن أثر القرآن الكريم في ذلك الشعر بوجه عام لم يكن بالصورة المرجوة؛ إذ إن تلك الآثار كانت مقتصرة على بيت أو أبيات في آخر القصيدة أو خلالها، ومع أن موقف الشاعر في الرثاء جدير بأن يبرز فكرة الجهاد لإعلاء كلمة الله كما رددها القرآن الكريم، إلاّ أن مثل هذه الفكرة لا تظهر في ذلك البيت أو تلك الأبيات، كما أن تلك الآثار القرآنية تتمركز حول الاستبشار بالجنة والثواب والأجر الذي أعده الله تعالى للشهداء والمجاهدين، ومظاهر الإيمان بحتمية الموت، والرضا بالقضاء والصبر على البلاء.

---

(١) الأحزاب: ٣٨.

المبحث الرابع
الـــهـــــجـــــاء

من الفنون القديمة التي وجدت في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي فن الهجاء، ووجوده أمر طبيعي مع وجود المديح، فحينما وجد أناس يستحقون المديح وجد آخرون يستحقون الهجاء[١].

ولقد كان الهجاء في العصر الجاهلي يعتبر قذائف موجهة للأشخاص أو الجماعة في أعراضهم وشرفهم والعيب في الأنساب والأحساب والذم بجارح اللفظ ومؤلم المعنى[٢]، وكانت نشأته مرتبطة بالعصبيات القبلية، وما تثيره من حروب وأحقاد[٣].

فلما جاء الإسلام حذر من التنابذ بالألقاب والتشاحن والتباغض والحط من شأن المسلم إذ يقول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[٤]، ويقول أيضاً: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٥]، فاستبعد الهجاء أول الدعوة يوم كان المسلمون ضعفاء[٦].

وحين جهر الرسول ﷺ بدعوته، كانت الأسباب الداعية للهجاء كثيرة متوافرة؛ ذلك أن الرسول ﷺ تعرض للأذى، وتألبت عليه قوى الشر من المشركين واليهود، وسددت سهام الهجاء والبغي والعدوان نحو الرسول ﷺ وصحبه، وكان لا بد من مواجهة العدوان والرد على المعتدين بمثل سلاحهم[٧]، فقال ﷺ للشعراء: "قولوا لهم مثل ما يقولون لكم"[٨]، وقال لحسان بن ثابت:

---

(١) محمد مصطفى هدارة، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، قصر الصفا، الإسكندرية، مصر، ١٩٨١م، ص٤٤٥.

(٢) عبد الرحيم محمود زلط، **التأثير النفسي للإسلام في الشعر**، ط:١، دار اللواء، الرياض، ١٩٨٣م، ص٥٦، وينظر: شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، ط٨، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٢٠١، وفي هذا المجال يقول قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، "فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى"، ينظر: **نقد الشعر**، تحقيق: كمال مصطفى، ط:٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٩٢.

(٣) يحيى الجبوري، **الشعر الجاهلي**، ص٣٤١، وينظر: عبد الحميد جيده، **قصيدة الهجاء عن دعبل الخزاعي وابن الرومي**، دار الشمال، طربلس، لبنان ١٩٨٥م، ص١٦.

(٤) الهمزة: ١.

(٥) القلم: ١٠-١١.

(٦) يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص٣٥٥.

(٧) محمد علي الهاشمي، **كعب بن مالك الأنصاري الصحابي الشاعر الأديب**، ط:١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٠٣.

(٨) ابن عبد ربه، أحمد بن محمّد (ت٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، تحقيق عبد المجيد الترحيني، ط:٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٦، ص١٤٦.

"اهْجُهُمْ – يعني قريشاً – فوالله لهجاؤك عليهم أشدّ من وقع السهام في غَلَسِ الظلام، أهجهم ومعك جبريل روح القدس"(١).

وقد جاء في الأغاني أن حساناً وكعباً كانا يعارضان شعراء قريش بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب(٢)، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفَقِهوا الإسلام كان أشدّ القول عليهم قول ابن رواحة(٣).

فأصبح الهجاء في عصر صدر الإسلام يختلف عنه في الجاهليَّة، فالقوم الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وأن يقفوا حجر عثرة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية قوم هبطوا إلى الحضيض ونزلوا إلى الدرك الأسفل وصاروا لا شيء واستحقوا أن يهجوهم غيرهم، ولم يكن ذلك معروفاً ولا مألوفاً في الجاهليَّة(٤)، وأصبح القتال والهجاء متلازمين في نشر الدعوة الإسلامية(٥).

وقد تأثر بعض شعراء المسلمين بالآيات القرآنية عندما سلّطوا سيوف ألسنتهم على أعدائهم فهجوهم بكفرهم وشركهم وهدّدوهم بعذاب أليم، وفيما يلي نماذج شعرهم في هجاء كفار قريش.

---

(١) ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق(ت٤٥٦هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط:٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م، ج ١، ص٣١.

(٢) وقد وضح شوقي ضيف سبب ذلك بقوله:" من المؤكد أن حساناً وكعباً كانا يرميان قريشاً عن بصيرة حين غلبت على هجائهما صورة الهجاء القديمة، لأنها هي التي كانت تؤذي نفوس القرشيين المكيين، ولو أنهما رمياهم بالشرك وعبادة الأوثان لما نالا منهم، إذ كانت تلك عقيدتهم وكانوا يعتزون بها، ومن ثم اتجه حسان وكعب هذه الوجهة فطعنا في الأحساب والأنساب، وعيرا سادتهم وفرسانهم بالفرار من الرحب وتوعداهم بالبلاء المستطير"، ينظر: **العصر الإسلامي**، ط:٦، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٥٠.

(٣) الأصفهاني، **الأغاني**، ج ٤، ص ١٤٤-١٤٥، وينظر: محمد محمد حسين، **الهجاء والهجاؤون**، مكتبة الآداب، الإسكندرية، مصر، ١٩٤٧م، ص١٧٥.

(٤) شوقي عبد الحليم حمادة، **الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص١٠٥.

(٥) عبد الحميد جيدة، **قصيدة الهجاء عند دعبل الخزاعي وابن الرومي**، ص١٨.

حينما شنّعت قريش على عَبْدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ[١] والمسلمين لقتلهم في الشهر الحرام، قال عبد الله يردّ على قريش ويهجوهم بأن صدّهم عن سبيل الله وكفرهم بالله، وصدّهم عن المسجد الحرام، وإخراجهم الرسول ﷺ وصحبه من مكة، كل ذلك أكبر إثماً من القتال في الشهر الحرام، فيقول[٢]:

تَعُدُّونَ قَتْلاً فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً ... وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدُ

صُدُودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ ... وَكُفْرٌ بِهِ وَاللهُ رَاءٍ وشَاهِدُ

وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللهِ أَهْلَهُ ... لِئَلاَّ يَرَى لِلهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدُ

يستمدّ الشاعر أفكار أبياته من الآية الكريمة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا . . . .﴾[٣].

وهذا ابن رواحة يعير بعض مشركي قريش يوم بدر الآخرة، ويخصّ أبا سفيان من بينهم لأنه أخلف موعده ولم يأت إلى بدر كما وعد عقب انصرافه من بدر الكبرى، فيعيّرهم بعصيانهم لرسول الله ﷺ، وعدم الإقبال على دينه وينعى عليهم دينهم السيئ، إنه دين غواية وضلال، يقول[٤]:

وَعَدْنَا أَبَا سُفْيَانَ بَدْراً فَلَمْ نَجِدْ ... لِمِيْعَادِهِ صِدْقاً وَمَا كَانَ وَافِيَا

فَأُقْسِمُ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقِيتَنَا ... لَأُبْتَ ذَمِيماً وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا

تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنَهُ ... وَعمراً أَبَا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا

عَصَيْتُمْ رَسُوْلَ اللهِ أُفٌّ لِدِيْنِكُمْ ... وَأَمْرِكُمُ السَّيْءِ الَّذِيْ كَانَ غَاوِيَا

---

(١) عبد الله بن جحش الأسدي من السابقين الأوائل، وهو أول قائد في الإسلام، وقيل: "إن أول راية عقدت له"، هاجر الهجرتين جاهد حتى استشهد في أحد عن نيف وأربعين حولاً، ينظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج٤، ص٣١ وما بعدها.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق:١، ص٦٠٥، وعبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين**، ص ٢٢٦.

(٣) البقرة: ٢١٧.

(٤) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق:٢، ص ٢١٠-٢١١، وعبد الله بن رواحة، **ديوانه**، ص١٣٨.

يبدو أن الشاعر لا يوغل الهجاء، وإنما التزم جانب الإيمان في أن يكون عفّ اللسان إلى حد بعيد، ففي بيته الرابع ترديد لقوله تعالى ﴿ . . . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢).

وكان حسان بن ثابت يعير قريشاً بتغرير الشيطان لهم، وبموالاتهم له وطاعتهم إياه(٣)، فيقول يوم بدر(٤):

سِرْنَا وَسَارُوْا إِلَى بَدْرٍ لِحِينِهِمُ ... لَوْ يَعْلَمُوْنَ يَقِيْنَ الْعِلْمِ مَا سَارُوْا
دَلَّاهُمُ بِغُرُوْرٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ ... إِنَّ الْخَبِيْثَ لِمَنْ وَالَاهُ غَرَّارُ
وَقَالَ إِنِّيْ لَكُمْ جَارٌ فَأَوْرَدَهُم ... شَرَّ الْمَوَارِدِ فِيْهِ الْخِزْيُ وَالْعَارُ

في هذه الأبيات إشارة إلى معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٥).

وأما كعب بن مالك فقد سلك سبيل التهديد والوعيد والتخويف في هجائه لقريش، ففي يوم بدر هدّدهم بعذاب النار(٦)، يقول(٧):

فَكُبَّ أَبُوْ جَهْلٍ صَرِيْعاً لِوَجْهِهِ ... وَعُتْبَةُ قَدْ غَادَرْنَهُ وَهو عَاثِرُ
وَشَيْبَةَ وَالتيميَّ غَادَرْنَ فِي الوَغَى ... وَمَا مِنْهم إِلَّا بِذِي الْعَرْشِ كَافِرُ
فَأَمْسَوْا وقودَ النارِ فِيْ مُسْتَقَرِّهَا ... وَكُلٌّ كفورٍ فِيْ جَهَنَّمَ صَائِرُ
تَلَظَّى عَلَيْهِمْ وهي قَدْ شَبَّ حَمْيُهَا ... بِزُبْرِ الْحَدِيْدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرُ

---

(١) الجن: ٢٣.

(٢) الأنبياء: ٦٧.

(٣) وكذلك هجاؤه لقريش يوم أحد، ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٤، ص٤٤١، وهجاء حمزة بن عبد المطلب لقريش يوم بدر. ينظر: عبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص٢٤٢.

(٤) حسان بن ثابت، **ديوانه**، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، ج ١، ص ٤٧٦.

(٥) الأنفال: ٤٨.

(٦) وكذلك هجاء علي بن أبي طالب لقريش يوم بدر، ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق ٢، ص١٢، وهجاء حسان بن ثابت لقريش يوم أحد، ينظر: ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق:٢، ص١٣٢.

(٧) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق:٢، ص١٥، العاثر: الساقط، شب:أوقد، ساجر: موقد، حمه: قدره.

وَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوْا فَوَلَّوْا وَقَالُوْا إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرُ
لِأَمْرٍ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَهْلِكُوْا بِهِ وَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ زَاجِرُ

يتضح في هذه الأبيات تأثر كعب بالمعنى العام للقرآن الكريم، فالبيت الثالث متأثر بقوله تعالى: ﴿ . . . .فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ . . . .وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(٢)، وفي البيت الرابع يستفيد الشاعر من قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾(٣)، والبيت الخامس صدىً لقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾(٤)، وأما معنى البيت الأخير فمأخوذ من قوله تعالى: ﴿ . . . .وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾(٥)، أو قوله تعالى: ﴿ . . . .وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾(٦).

وفي يوم الخندق يهجو كعب بن مالك قريشاً في معرض رده على ضرار بن الخطاب شاعر كفار قريش، فينعتهم بالظلم والعقوق والعداوة لله وللإسلام فيقول(٧):

نُقَاتِلُ مَعْشَراً ظَلَمُوْا وَعَقُّوْا وَكَانُوْا بِالْعَدَاوَةِ مُرْصِدِيْنَا

فالشاعر بقوله هذا يتذكر قوله جل شأنه: ﴿ . . . .وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٨)، وقوله: ﴿ . . . .إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾(٩).

بالإضافة إلى هجاء شعراء المسلمين لقريش، كانوا يهجون اليهود أيضاً بالضلال والكفر ويهدِّدونهم بالهلكة والنار.

---

(١) البقرة: ٢٤.

(٢) الأنفال: ٣٦، أو قوله تعالى: ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير﴾، الملك: ٦.

(٣) الليل: ١٤.

(٤) ص: ٤.

(٥) الأنعام: ١٤٧.

(٦) الرعد: ١١.

(٧) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٥٦، وكعب بن مالك، **ديوانه**، ص١٠٥. المرصد: المعد للأمر عدته.

(٨) البقرة: ٢٥٤.

(٩) النساء: ١٠١.

ففي إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف أحد أحبار اليهود يهجو كعب بن مالك اليهود فيصمهم بالكفر، لأنهم أهل الكتاب وكان أَولىٰ بهم أن يسارعوا إلى الإيمان بالله ربّاً وبمحمد رسولاً، فيقول(١):

لَقَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الْحُبُورُ ... كَذَاكَ الدَّهْرُ ذُوْ صَرفٍ يَدُورُ

وَذٰلِكَ أَنَّهُم كَفَرُوْا بِرَبٍّ ... عَزِيْزٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيْرُ

وَقَدْ أُوْتُوْا مَعاً فَهْماً وعِلماً ... وَجَاءَهُمُ مِنَ اللهِ النَّذِيْرُ

نَذِيْرٌ صَادِقٌ أَدّٰى كِتَاباً ... وَآيَاتٍ مُبَيِّنَةً تُنِيْرُ

فَقَالُوْا مَا أَتَيْتَ بِأَمرِ صدقٍ ... وَأَنْتَ بِمُنْكَرٍ مِنَّا جَدِيْرُ

فَقَالَ بَلٰى لَقَدْ أَدَّيْتُ حَقّاً ... يُصَدِّقُنِيْ بِهِ الفَهِمُ الخَبِيْرُ

فَلَمَّا أَشْرِبُوْا غَدْراً وَكُفْراً ... وَحَادَ بِهِم عَنِ الْحَقِّ النفورُ

أَرَى اللهُ النبيَّ بِرَأْيِ صدقٍ ... وَكَانَ اللهُ يحكُمُ لا يَجُوْرُ

فَأَيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ ... وَكَانَ نَصِيْرُهُ نِعْمَ النَّصِيْرُ

فَتِلْكَ بَنُو النَّضِيْرِ بِدَارِ سَوءٍ ... أَبَارَهُمُ بِمَا اجْتَرَمُوْا المُبِيْرُ

يبدو أثر القرآن الكريم فيما نظَمه الشاعر، فالقصيدة تسرد الأحداث التي مرّت بيهود بني النضير، وكيف أنهم هجروا ديارهم صاغرين نتيجة عنادهم وغدرهم وعدم إيمانهم، فكأن كعب ابن مالك كان يتمثّل قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٢).

وفي الحادثة نفسها يهجو عبد الله بن رواحة بني النضير ويهدّدهم بالهلكة، فيقول(٣):

لعَمْرِيْ لَقَدْ حَكَّت رَحَى الحَرْبِ بَعْدَمَا ... أَطَارَتْ لُؤَيّاً قَبْلُ شَرْقاً وَمَغْرِبَا

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق:٢، ص١٩٩، وكعب بن مالك، **ديوانه**، ص ٤٤-٤٥.

الحبور جمع حَبر وهو العالم ويريد هنا علماء اليهود، جدير: حقيق وخليق، أبارهم: أهلكهم، اجترموا: كسبوا

(٢) الحشر: ٢-٤.

(٣) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٢٠٢-٢٠٣، وعبد الله بن رواحة، **ديوانه**، ص١٣٦.

بَقِيَّـــةَ آلِ الْكَـــاهِنينَ وَعزّهَـــا فَعَـــادَ ذَلِيـــلاً بَعْدَمَـــا كَـــانَ أَغْلَبَـــا

إلى أن يقول:

فَبعُـــداً وَسُـــحقاً لِلنَّضِـــيْرِ وَمِثْلِـــهَا إِنْ أعْقِـــبَ فَتْـــحٌ أو إِنِ اللهُ أعقَبَـــا

ففي قوله: "فبعداً وسحقاً للنضير ومثلها" يستفيد مـــن قولـــه تعـــالى:﴿ . . . .وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(١)، وقوله تعالى:﴿ . . . .فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾(٢)، وقولـــه تعـــالى:﴿ . . . .فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٣).

وفي يوم بني قريظة قال حسان بن ثابت يهجوهم ويقرعهم ويعيّرهم بأنهم قـــوم ضلّـــوا وبغوا وكفروا بالقرآن الكريم وجحدوا النبوة ونصروا المشركين، فيقول(٤):

تَفَـــاقَدَ مَعْشَـــرٌ نَصَـــرُوْا قُرَيْشـــاً وَلَيْـــسَ لَـــهُمْ بِبَلْدَتِـــهِمْ نَصِـــيْرُ

هُـــمْ أُوْتُـــوا الكِتَـــابَ فَضَيَّعُـــوْهُ وَهُم عمـــيٌ مِـــنَ التَّـــوْرَاةِ بُـــوْرُ

كَفَرْتُـــمْ بِـــالْقُرْآنِ وَقَـــدْ أُتِيْتُـــمْ بِتَصْدِيْـــقِ الَّـــذِيْ قَـــالَ النَّذِيْـــرُ

فَـــهانَ عَلَـــى سَـــراةِ بَنِـــيْ لُـــؤَيٍّ حريـــقٌ بِـــالْبُوَيْرَةِ مُسْـــتَطِيْرُ

تأثّر الشاعر في بيتيه الأوّل والثاني إلى حدّ ما بقوله تعـــالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾(٥)، وأما معنى البيت الثالث فيشير إلى قوله تعـــالى:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(٦).

---

(١) هود: ٤٤.

(٢) المؤمنون: ٤٤.

(٣) الملك: ١١.

(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق:٢، ص٢٧٢، وحسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص ٢٤٧. تفـــاقد معشر: فقد بعضهم بعضاً، وهو دعاء عليهم، سراة القوم: خيارهم، البويرة: موضع بني قريظة.

(٥) النساء: ٥١-٥٢.

(٦) الصف: ٦.

وقد تعرض المرتدون لهجاء شعراء المسلمين حيث نعتهم الشّعراءُ بـــالخِزْيِ ووصفوهـــم بالكفرِ، قال عطارد بن حاجب[١]، يهجو المرتدّين ويخصّ النبيةَ سَجَاحاً[٢]:

أَضْحَتْ نَبِيَّتُنَا أُنْثَـــى نُطِيـفُ بِـهَا ... وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَـــاءُ النَّـاسِ ذُكْرَانَـا

فَلَعْنَـــةُ اللهِ رَبِّ النَّـــاسِ كُلِّـــهِمُ ... عَلَى سَجَاحٍ وَمَـنْ بِـالْكُفْرِ أَغْوَانَـا

استعان الشاعر في بيته الثاني بقولِه تعالى:﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٣].

وأما مُعَاذُ بْنُ يَزِيْدَ[٤]، فيهجو المرتدين من بني عامر بخروجهم علـــى الديـــن الإســـلامي لمنعهم من أداء الزكاة وتركهم الصلاة[٥]، ويصفهم أيضاً بالكذب، فيقول[٦]:

بَنِـــيْ عَامِرٍ أَيْـنَ أيـــنَ الفِـــرَارُ ... مِـــــنَ اللهِ واللهُ لَا يُغْلَـــــــبُ

مَنَعْتُـــمْ فَرَائِـــضَ أَمْوَالِكُـــمْ ... وَتَـــرْكُ صلاتِكُـــمْ أَعْجَـــبُ

وَكَذَّبْتُـمُ الْحَـــقَّ فِيْمَـــا أَتَـــى ... وَإِنَّ الْمُكَـــــذِّبَ لَلْأَكْـــذَبُ

وقد اعتمد الشاعر في البيت الأوّل على قوله تعالى: ﴿. . . .وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٧]، أو قوله تعالى:﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ. . . .﴾[٨]، وفي البيت الثـاني إشـارة إلـى عِصيان المرتدّين لأمر الله بامتناعهم عن إيتاء الزكـاة وإقـام الصـلاة، إذ يقـول الله تعـالى:

---

(١) عطارد ابن السيد الجاهلي حاجب بن زرارة التميمي وفد على النبي ﷺ ثم ارتد ثم عاد مسلماً، ينظر: ابـن حجر، **الإصابة**، ج ٤، ص٤١٩-٤٢٠.

(٢) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج ٤، ص٤٢٠، سجاح التميمية، امرأة ادعت النبوة بعد وفاة الرسول ﷺ وتبعـها خلق كثير.

(٣) آل عمران: ٨٦-٨٧.

(٤) معاذ بن يزيد بن الصعق العامري، **مسلم عميق الإيمان**، جمع قومه يوم الردة ونصحهم فأبوا، فهاجر عنـهم بأهله ومن تبعه، ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج ٦، ص٢٣٧.

(٥) وبهذا المعنى نفسه يهجو عمر بن قريظ المرتدين، ينظر: ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج ٥، ص١٠٨.

(٦) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٦، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٧) يوسف: ٢١.

(٨) الأنعام: ٦١.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ. . . .﴾[١]، وأما البيت الأخير ففيه أثر قوله تعالى:﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٢].

وعلى نحو ما تأثّر الهجاء بالقرآن الكريم في عصر صدر الإسلام تأثّر الهجاء في العصر الأمويّ، إذ أخذ بعض الشعراء يهجُون الأعداء في غيّهم وضلالهم وجهلهم بأنهم لا يبصـــرون الحق ودلائل قدرة الله بَصَرَ عظةٍ واعتبار، ولا يسمعون الآيات والمواعظ سماع تدبُّر واتِّعـــاظ، فهم كالأنعام بل هم أضلّ إذ يقول الله تعـالى:﴿. . . .وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ. . . .﴾[٣]، وبهذا المعنى يهجو النابغة الشيباني[٤] الأعداءَ من الـــروم في معرض مدحه للوليد بن عبد الملك فيقول[٥]:

لَا يُبْصِرُوْنَ وَفِـــيْ آذَانِـــهِم صَمَـــمٌ إِذَا نَعَشْـــتَهُمُ مِـــن فِتْنَـــةٍ رَكَسُـــوْا

هُـــمُ الَّذِيْـــنَ سَـــمِعْتُ اللهَ أَوْعَدَهُـــمْ المُشْرِكُوْنَ وَمَنْ لَمْ يَـــهوَكُمْ نَجَـــسُ

ويستلهم الشاعر أيضاً في الشطر الثاني من بيته الأوّل قوله تعـــالى:﴿. . .كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا. . . .﴾[٦]، كما أن قوله :"المشركون ومن لم يهوكم نجس" يشـــير إلـــى قولـــه تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ. . . .﴾[٧].

ويهجو أحد الشعراء مسلم بن سعيد الكلابي الذي غزا الترك حين سمع بقدوم أسد بن عبد الله القَسْري والياً على خراسان بأن قتاله لم يكن شوقاً إلى الجهاد ولا خالصاً لوجـــه الله تعـــالى وإنما ابتغي من ورائه مطمعاً دنيوياً، فلم يستطع تحقيق النصر على الأعداء، يقول[٨]:

---

(١) البقرة: ٤٣.

(٢) الأنعام: ٥.

(٣) الأعراف: ١٧٩، وينظر كذلك البقرة: ١٧١.

(٤) هو عبد الله بن المخارق الشيباني، شاعر بدوي من شعراء العصر الأمويّ، وفد علـــى الخلفـــاء الأمويّيـــن فيمدحهم فيجزلون عطاءه، منهم عبد الملك وابنه الوليد وغيرهما، مات سنة ١٢٥للهجرة، الأصفهاني، **الأغـــاني**، ج ٧، ص١٢١، وعبد العزيز بن محمد الزير ومحمد بن عبد الله الأطرام، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص١٠٧.

(٥) النابغة الشيباني، **ديوانه**، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم يعقوب، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٨٧م، ص٨٧، نعشتهم: رفعتهم، يريد انتشلتهم.

(٦) النساء: ٩١.

(٧) التوبة: ٢٨.

(٨) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٦٠٢، معن غرورها: شغل بالدنيا حتى غرته.

غَرَوْتَ بِنَا مِنْ خَشْيَةِ الْعَزْلِ عَاصِياً فَلَمْ تَنْجُ مِنْ دُنْيَا مُعْنٍ غُرُوْرُهَا

يستعين الشاعر بقوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ . . . .﴾(١).

أما جرير(٢)، فيهجو آل المُهَلَّب بالانحراف عن الدين والفسوق والبغي والطغيان ويهددهم بالهلاك مستعيناً بقصة ثمود الذين كذّبوا نبيهم صالحاً عليه السلام بسبب طغيانهم واستكبارهم وتمرّدهم على ربهم ولهذا كفروا بالله وأقدموا على عقرِ ناقةِ النبي صالح عليه السلام فيقع بهم عذاب الله بسبب ذلك(٣)، كما قصّ ذلك القرآن الكريم: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾(٤)، فيقول جرير(٥):

آلُ الْمُهَلَّبِ فَرَّطُوا فِيْ دِيْنِهِمْ وَطَغَوْا كَمَا فَعَلَتْ ثَمُوْدُ فَبَارُوْا

ودائماً يرمي الشعراءُ الأُمويّين بالفساد والطغيان والعصيان(٦)، من مثل قول عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْظَلَة(٧)، في هجاء يَزِيْدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ يومَ الحَرَّةِ، فيقول(٨):

بُعْداً لِمَنْ رَامَ الفَسَادَ وَطَغَى

---

(١) الأنعام: ٧٠.

(٢) جرير بن عطية بن الخطفي، الشاعر المشهور وأحد كبار الشعراء في العصر الأمويّ، ونقائضه مدائحه أشهر من أن تذكر، توفي سنة ١١٠ للهجرة، ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري(ت١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق وتعليق: محمود أرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٨م، ج ٢، ص٥٧، وينظر: خالد محمود محمد عزام، "أثر الإسلام في شعر جرير بن عطية"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، ١٩٩٩م، ص٨ وما بعدها.

(٣) ينظر: صلاح خالدي، **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٨٦.

(٤) الشمس: ١١-١٤.

(٥) جرير، **ديوانه**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م، ص١٦٧.

(٦) وبهذا المعنى نفسه يهجو أبو بلال مرداس بن أدية الأُمويّين، ينظر: إحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٥١، وعبد القادر القط، **في الشعر الإسلامي والأمويّ**، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٣٨٢.

(٧) عبد الله بن حنظلة الأنصاري، ولد في السنة الرابعة للهجرة واستشهد والده في أحد وهو جنين لم يولد بعد، وأبوه هو غسيل الملائكة، ولذلك يعرف بابن الغسيل، وكان عبد الله شجاعاً ولما ثار أهل المدينة على يزيد بن معاوية ولوه عليهم، فبايعهم على الموت، وقاتل حتى قتل، الزركلي، **الأعلام**، ج ٤، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٨) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٥، ص٤٩٠.

وَجَـانَبَ الْحَـقَّ وَآيَـاتِ الـهُدَى
لَا يُبْعِدُ الرَّحْمَـنُ إِلَّا مَـنْ عَصَـى

ففي هذا الرجز يتضح أثر قوله تعالى في وصف الذين تجاوزوا في بلادهم الحدَّ في الظلم والجور وأكثروا للفسادَ فيها بالكفر والمعاصي وظلم العباد وهم عاد وثمود وفرعون:﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾[١]، فكأن الشاعر يشبّه الأُمويّين بهم.

وقال الكُمَيْتُ[٢]، يهجو الأُمويّين بانتهاك الحرمات[٣]:

تَحِـلُّ دِمَـاءُ الْمُسْـلِمِينَ لَدَيْـهِمُ وَيَحْـرُمُ طَلْـعُ النَّخْلَـةِ الْمُتَـهَدِّلُ

الشطر الأوّل مشتقٌ من قوله تعالى:﴿. . . .وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ. . . .﴾[٤].

وكان عِيسى بنُ عَانِك الخَطِّي[٥]، يهجو الأُمويّين بأنهم أصحاب جعائل يحاربون من أجل حطام زائل، وأن السفَلةَ منهم أطاعوا كبراءهم ورؤساءهم الطاغين الذين دعوهم إلى الكفر وما يرديهم، فيقول في وقعة آسك[٦]:

فَلَمَّـا اسْـتَجْمَعُوا حَمَلُـوا عَلَيْـهِم فَظَـلَّ ذَوُو الْجَعَـائِلِ يَقْتُلُوْنَـا

إلى أن يقول:

أَطَعْتُـمْ أَمْـرَ جَبَّـارٍ عَنِيْـدٍ وَمَـا مِـنْ طَاعَـةٍ لِلظَّالِمِيْنَـا

---

(١) الفجر: ١١-١٢.

(٢) أبو المستهل، الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، شاعر الهاشميين من أهل الكوفة، ملم بآداب العرب ولغاتهم، كثير المدح لبني هاشم حتى سميت بعض قصائده الهاشميات، توفي سنة ١٢٦ للهجرة، ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ج ١٧، ص٣، وما بعدها، وعزيزة فوال بابتي، **معجم الشعراء المخضرمين والأمويّين**، ص٤٠٠.

(٣) الكميت بن زيد الأسدي، **شرح الهاشميات**، ط٣، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، د.ت، ص٧٠، وبهذا المعنى تهجو أم الجراح العدوية الأمويّين، ينظر: إحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٥٣.

(٤) الأنعام: ١٥١.

(٥) عيسى بن عانك الخطي، هو عيسى بن حدير أحد بني وديعة بن مالك، وأحد شعراء الخوارج الأزارقة من أصحاب نافع بن الأزرق، المرزباني، **معجم الشعراء**، ص ٨٥، وعزيزة فوال بابتي، **المرجع نفسه**، ص ٣٥٠.

(٦) المبرد، **الكامل**، ج ٣، ص ١١٧٩، والدينوري، أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ)، **الأخبار الطوال**، تحقيق عبد المنعم عامر، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص ٢٦٩، وإحسان عباس، **المرجع نفسه**، ص ٥٤-٥٥.

فالشطر الأوّل من البيت الأخير مقتبس من قوله تعالى في وصف سفلة قوم عاد: ﴿ . . . وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[١].

وهكذا كان أثر القرآن الكريم في شعر الهجاء، فالشعراء المسلمون في عصر صدر الإسلام وبّخوا وهجوا من ترك الدين ومن جهله، ومن استعدى الرسول ﷺ، ومن خالف دينه، ومن رفضه ليبقى على الشرك والكفر، وهجوهم أيضاً في كونهم إلى جهنم ذاهبين إذ جحدوا القرآن الكريم.

ومع اقتران الهجاء بالدعوة الإسلامية باعتباره سلاحاً في المعركة ضد الأعداء إلا أنه لم يتطور تطوراً واضحاً في أسلوبه بل ظل جاهلياً يعتمد على الشتم والسباب والطعن في الأعراض والأحساب والأنساب[٢]، فيقلّ تأثير القرآن الكريم في شعر الهجاء، لأن القرآن الكريم خالٍ من هذا اللون من الهجاء وأيضاً فإن القرآن الكريم لا يتوعد الكفار والمشركين بحرب مبيرة تأتي على الشيب والشبان، إنما يتوعدّهم بالنار، ومع ذلك يفتح الأبواب واسعة لرحمة الله وغفرانه وتوبته على الكفار والمشركين الذين يثوبون إلى عقولهم ويدخلون في دينه الحنيف[٣].

وكذلك في العصر الأمويّ يلاحظ أن الشعراء اتكأوا في جانب كبير من أهاجيهم على المثالب التي اتكأ عليها الشعراء الهجّاؤون في الجاهليَّة[٤]، فالهجاء المتأثر بالقرآن الكريم في شعر الجهاد في هذه المدة قليل ضئيل يدور حول هجاء الأعداء باستحلال الحرام والظلم والطغيان والفساد والعصيان.

---

(١) هود: ٥٩.

(٢) ينظر: شوقي ضيف، **التطور والتجديد في الشعر الأمويّ**، ط:٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥م، ص ١٤، وإبتسام مرهون الصفار، **أثر القرآن الكريم في الأدب العربي في القرن الأوّل الهجريّ**، ط:١، مطبعة اليرموك، بغداد، ١٩٧٤م، ص١٢٦، ومحمد قطب، **منهج الفن الإسلامي**، دار الشروق، بيروت، د.ت، ص٢٠٤.

(٣) شوقي ضيف، **العصر الإسلامي**، ص٥٠.

(٤) ينظر: زكي المحاسني، **شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأمويّ والعباسيّ إلى عهد سيف الدولة**، ط:٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص١٢٩، وحسين عطوان، **الشعر العربي بخراسان في العصر الأمويّ**، ط:١، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م، ص٢١١، والهادي حمودة الغزي، **الشعر الأمويّ في خراسان والبلاد الإيرانية**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٦م، ص ١١٦-١٢٠، وشوقي ضيف، **المرجع نفسه**، ص ٥-٦، وإبراهيم محمد غماري المغربي، "شعر الفتوح الإسلامية في العصر الأمويّ"، ص ٨٨-٨٩.

المبحث الخامس

المديـــح

المديح فنّ الثناء والإكبار والاحترام[١]، وكان قوامه في الشّعر الجاهلي التكسّب أو التقرّب إلى الممدوح لمكانته الرفيعة أو خشية إيذائه إن كان صاحب بطش، وغالباً خلت أشعار المديح من صدق التجربة اللهم إلاّ في النادر عند قلة من الشّعراء -كما كان حال زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف لتدخلهما لإخماد نار حرب داحس والغبراء وتقديم الديات للقتلى- فكان للمواقف الإنسانية الخالصة[٢]، وأكثر المعاني التي طرقها الشّعراء في مدائحهم تدور حول الشجاعة والإقدام والتباهي على القبائل بالغلبة والقوة وكثرة العدد، وحول الكرم والعطاء والقرى وحسن الضيافة[٣].

فلما جاء الإسلام أبان أنه دين جماعي للمجتمع البشري كله، فلا مدح إلاّ في محيط الإسلام، فالتقرب في الإسلام لا يكون إلاّ إلى الله تعالى والتمسك بحبله المتين. وكان الرسول ﷺ حريصاً على أن يتحوّل المدح من مدح أفراد إلى مدح مواقف إيمانية ومبادئ إسلامية[٤]، كما كان لتوجيه عمر ﷺ أثره العميق في تطور شعر المديح، إذ قال ﷺ مدحاً لزهير: "كان لا يُعَاظِلُ بين الكلام ولا يَتْبَعُ وحشيّه، ولا يمدح الرجل إلاّ بما فيه[٥]، وذلك لأن الإسلام يدعو إلى الواقعية وعدم المغالاة في كل شيء[٦].

وقد قلّ شعر المديح في عصر صدر الإسلام لأن الرسول ﷺ والخلفاء من بعده لم يكونوا طلاب ثناء وإطراء وإنما كانوا طلاب أجر وثواب[٧]، وقد حاول شعراء المسلمين من خلال مدائحهم للرسول ﷺ أن يؤكدوا جملة المبادئ والأسس الإسلامية وأن يجسّدوها في مضمون

---

(١) سامي الدهان، **المديح**، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٥.

(٢) عبد الرحيم محمود زلط، **التأثير النفسي للإسلام في الشعر**، ص٥٧-٥٨، وينظر: كامل حسن البصير، **بناء الصورة الفنية في البيان العربي**، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م، ص٣٩٥.

(٣) عبد القادر عويضة، **أثر الإسلام في الشعر في عصر الرسول والخلفاء الراشدين**، ص٥٢.

(٤) صلاح مصيلحي علي عبد الله، **التقليد والتجديد في الشّعر العربيّ حتى نهاية العصر الأمويّ**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر د.ت، ص٩٤، وينظر: محمّد أحمد خلف الله، **دراسات في الأدب الإسلامي**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧م، ص٧٢.

(٥) ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، س١، ص٦٣، وينظر: ابن قدامة، **نقد الشعر**، ص٦٥.

(٦) عبد القادر عويضة، **المرجع نفسه**، ص٥١.

(٧) يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص٣٥٧، وينظر: عبد الرحيم محمود زلط، **المرجع نفسه**، ص٥٨.

شعرهم ليبثّوها إلى الناس من خلال شعرهم[١]، فسجّلوا الصفاتِ التي وصف القرآنُ الكريمُ بـــها الرسولَ ﷺ.

ولعل أوّلَ المعاني التي طرقها الشّعراء في مدحهم للرسول ﷺ وأخذت مساحة كبيرة مـــن مساحات شعرهم الجهادي معنى الهداية، وأن الرسول ﷺ أرسله الله تعـــالى هاديـــاً[٢]، ومبشّـــراً ونذيراً وسراجاً منيراً، يقول حسان بن ثابت معدّداً هذه المعاني[٣]:

نَبِـــيٌّ أَتَانَـــا بَعْـــدَ يَـــأْسٍ وَفَـــتْرَةٍ ... مِنَ الرُّسْلِ وَالْأَوْثَـــانُ فِـــي الْأَرْضِ تُعْبَـــدُ

فَأَمْسَى سِـــرَاجاً مُسْـــتَنِيراً وَهَادِيـــاً ... يلـــوحُ كَمَـــا لَاحَ الصَّقِيـــلُ الْمُـــهَنَّدُ

وَأَنْذَرَنَـــا نَـــاراً وَبَشَّـــرَ جَنَّـــةً ... وَعَلَّمَنَـــا الْإِسْـــلَامَ فَـــاللهَ نَحْمَـــدُ

ففي البيتين الأخيرين ثقافةٌ قرآنيةٌ تُسْتَمَدُّ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[٤].

ويقول حسان أيضاً واصفاً خُلُقَهُ ﷺ يومَ بدرٍ[٥]:

يَـــا مَـــنْ تَخَـــيَّرَهُ الْإِلَـــهُ لِخَلْقِـــهِ ... فَحَبَـــاهُ بِـــالْخُلُقِ الزَّكِـــيِّ الطَّـــاهِرِ

لعل الشاعرَ كان ينظر إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٦].

ويقول كعب بن مالك في مدحه للرسول ﷺ يومَ أُحُدٍ مشيراً إلى أنه ﷺ يبلّغ عن الله تعـــالى رسالته عن طريق الوحي[٧]:

---

(١) عبد القادر عويضة، **أثر الإسلام في الشعر**، ص٥٢، وتنظر: إبتسام مرهون الصفار، **الأمـــالي فـــي الأدب الإسلامي**، ص١٨٠.

(٢) وبهذا المعنى مدح عبد الله بن رواحة الرسول ﷺ يوم بدر، ينظر: عبد الله بن رواحة، **ديوانـــه**، ص١٣٨، وكذلك النابغة الجعدي عام الوفود، ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ج٥، ص١٤، وكذلك بكر بن جبلة عند إعـــلان إسلامه، ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج١، ص٤٥١.

(٣) حسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص١٣١-١٣٢.

(٤) الأحزاب: ٤٥-٤٦.

(٥) **ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص٣٤٠. وليس في ديوان حسان بن ثابت.**

(٦) القلم: ٤.

(٧) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٣٣، وكعب بن مالك، **ديوانه**، ص٥٩-٦٠. وبهذا المعنى نفسه مدح مالك بن نمط الهمداني الرسول ﷺ عام الوفود، ينظر: ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٥٩٩.

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا نَتَفَلَّعُ

تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ

فمعنى البيت الثاني مأخوذ من قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾(١)، وقولِه تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(٢).

ويمدح كعب بن مالك أيضاً الرسولَ ﷺ يومَ إجلاءِ بني النضير مبيناً أن اتّباعَه هدايةٌ ورشد والصدَّ عنه كفر وضلال، فيقول(٣):

فَمَنْ يَتْبَعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَ الكَفُورُ

والبيت يعيد في الأذهان قولَه تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٤)، أو قولَه تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(٥). كما أن عجزَ البيت متأثر بقوله تعالى: ﴿....فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾(٦).

ويمدح قيس بن طريف الأشجعي(٧) الرسول ﷺ يوم الأحزاب بأنه ﷺ رحمة للعباد وأن الله تعالى هو الذي أنزل عليه كتاباً فيه شرعة الإسلام، فيقول(٨):

نَبِيٌّ تُلَاقِيهِ مِنَ اللهِ رَحْمَةٌ فَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرَجَّمِ

---

(١) الشّعراء: ١٩٣-١٩٤.

(٢) النجم: ٣-٤.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٩٩، وكعب بن مالك، **ديوانه**، ص٤٤.

(٤) البقرة: ٣٨-٣٩.

(٥) النور: ٥٤.

(٦) فاطر: ٣٩.

(٧) قيس بن طريف الأشجعي مدح النبي ﷺ يوم بدر ويوم الخندق وأشاد بنصر الله له. ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج٥، ص٣٦٦.

(٨) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٥، ص٣٦٦. وبهذا المعنى نفسه يمدح مُسْلِيَة بن هَزّان الرسول ﷺ عامَ الوفود، ينظر: ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٦، ص٩٣.

رَسُوْلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ يَتْلُوْ كِتَابَه وَشِرْعَتُهُ وَالْحَقُّ لَمْ يَتَلَعْثَمِ

فالشاعر في صدر بيته الأوّل يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١)، وإلى قوله تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ....﴾(٢) في بيته الثاني.

وأما العَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاس(٣) في مدحه للرسول ﷺ يومَ حنين فأوضح أن نبوة الرسول ﷺ ختمت الرسالات السماوية وأنه مرسل بالحقّ هادٍ إلى صراطٍ مستقيمٍ، فيقول(٤):

يَا خَاتَمَ النُّبَآءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيْلِ هُدَاكَا

إِنَّ الْإِلٰهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً فِيْ خَلْقِهِ وَمُحَمَّداً سَمَّاكَا

فمعنى البيت الأوّل ورد في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ....﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿....وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٧).

كما مدح الشّعراءُ الرسولَ ﷺ متأثّرين ببعض الآيات القرآنية مدحوا المسلمين، وخصّوا الأنصارَ بمساحة واسعة من المديح لأنهم أهله؛ فهم الأنصارُ الّذين نصروا اللهَ ورسولَه، وقدّموا شهداءَ لا يُحصَون. فقال حسان بن ثابت يومَ الخندق(٨):

وَكَفَى الْإِلٰهُ الْمُؤْمِنِيْنَ قِتَالَهُم وَأَثَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الطلاق: ١١.

(٣) العباس بن مرداس السُّلمي، صحابي شاعر مجيد مشهور، وسيد مطاع وفارس شجاع، جاهد مع النبي ﷺ في قومه، وفي شعره عواطف إسلامية حارة مؤمنة. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٤، ص٢٩٤.

(٤) العباس بن مرداس، **ديوانه**، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، مديرية الثقافة العامة، بغداد، ١٩٦٨، ص٩٥.

(٥) الأحزاب: ٤٠.

(٦) التوبة: ٣٣.

(٧) الشورى: ٥٢.

(٨) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٥٨، وحسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص٦٦.

فالشطر الأوّل مأخوذ من قولـه تعـالى: ﴿ . . . .وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ . . . .﴾[١]، ولعـل الشطرَ الثاني متأثّرٌ بقولِه تعالى: ﴿ . . . .فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[٢].

وقال أيضاً يمدح الأنصار يومَ فتحِ مكّة بأنهم جندُ اللهِ الأقوياء على القتالِ بالسيف والقتـالِ بالقافيةِ، فيقول[٣]:

وَقَـالَ اللهُ قَـدْ سَـيَّرْتُ جُنْـداً ... هُـمُ الْأَنْصَـارُ عُرْضَتُـهَا اللِّقَـاءُ

لَنَـا فِـيْ كُـلِّ يَـوْمٍ مِـنْ مَعَـدٍّ ... سِـبَابٌ أَوْ قِتَـالٌ أَوْ هِجَـاءُ

فَنُحْكِـمُ بِـالْقَوَافِيْ مَـنْ هَجَانَـا ... وَنَضْـرِبُ حِيـنَ تَخْتَلِـطُ الدِّمَـاءُ

لعل الشاعر في بيتِه الأوّلِ يستلهم قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٤].

وأما العباس بنُ مرداس فجاء مدحُه الأنصارَ عرضاً في قصيدةٍ يذكر فيها مسيرةَ الجيـش الإسلامي لفتح مكة، فيقول[٥]:

وَجُنْدٌ مِـنَ الْأَنْصَـارِ لَا يَخْذُلُونَـه ... أَطَاعُوْا فَمَا يَعْصُوْنَهُ مَـا تَكَلَّمَـا[٦]

ويبدو أن الشاعر من خلال مدحه هذا يريد أن يبثّ فكرةَ وجوبِ طاعةِ الرسـولِ ﷺ علـى الناسِ جميعاً، لأن تلك الطاعة مفروضة بأمر الله وإذنه، إذ يقول الله تعـالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ

---

(١) الأحزاب: ٢٥.

(٢) آل عمران: ١٩٥.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٢٣. لنا: معشر الأنصار. معدّ: قريش لأنهم عدنانيون.

(٤) الفتح: ٧.

(٥) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٤٦٩.، والعباس بن مرداس، **ديوانه**، ص١٠٢.

(٦) بهذا المعنى نفسه يمدح الشاعر قومه بني سليم في فتح مكّة. ينظر: عبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعـوة الإسلامية**، ص٢٩٤.

﴿إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(١)، ويقول ﷻ أيضاً: ﴿....وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾(٢).

وقال حسان يمدح المسلمين من أصحاب الرسول ﷺ بأنهم أقوياء في الحرب يضرّون أعداءهم، وفي السلم ينفعون أشياعهم، فيقول في معرض ردّه على وفد بني تميم(٣):

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوْا ضَرُّوْا عَدُوَّهُم ... أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِيْ أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوْا

ومعنى البيت مستمد من قوله تعالى: ﴿....وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ....﴾(٤).

وفي المقام عينه مدحهم بأنهم تخلّقوا في حروبهم بأخلاق الإسلام، فلا يفخرون إن أصابوا من عدوّهم نصراً، ولا يخُورون ولا يجزعون إذا هزموا أمام أعدائهم، فيقول(٥):

لا يَفْخَرُوْنَ إذا نالوا عدوَّهم(٦) ... وإن أُصِيْبُوا فلا خُوْرٌ ولا جُزُعُ

فالشطر الأوّل مأخوذ من معنى قوله تعالى: ﴿....إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٧)، وأما الشطر الثاني فمقتبس من معنى قوله تعالى: ﴿....فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾(٨).

وإذا كانت هذه النماذج المتأثّرة بالقرآن الكريم المرتبطة بشخصية المسلمين من أصحاب النبي ﷺ تبدو موافقة متمشيّة مع ما عرفوا به من مناقبهم الحميدة، فإن نهجها يستمرّ فيما بعدُ في معظم مدائح الشّعراء في العصر الأمويّ على اختلاف الممدوحين خلفاء أو ولاةً أو قادةً أو جنداً، بغضّ النظر عن صدق الصفات الإسلامية التي يصفون بها الممدوح أو كذبها، كل ما

---

(١) النساء: ٦٤.

(٢) المائدة: ٩٢.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٥٦٤، وابن الشجري، هبة الله بن علي (ت٥٤٢هـ)، **الحماسة الشجرية**، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م، ق١، ص٣٦٢.

(٤) الفتح: ٢٩.

(٥) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٥٦٤، وابن الشجري، **المصدر نفسه**، ق١، ص٣٦٣.

(٦) في **الحماسة الشجرية**: "لا فُزُعٌ إن أصابوا من عدوهم".

(٧) لقمان: ١٨.

(٨) آل عمران: ١٤٦.

هنالكَ أن الشّعراء يستغلّون هذه المناقبَ أو المعانيَ الإسلامية ليُضْفُوْها على ممدوحيهم لعلمهم بأنها تشكّل المثل الأعلى في نظر الممدوح من جهة والمجتمع من جهة أخرى[١].

ففي الأبيات التالية مدحُ الشّعراء المتأثر بالقرآن الكريم للخلفاء الأمويّين[٢] منهم الوليد بن عبد الملك، امتدحه جرير وأضفى عليه صفات الورع والتقوى، ونوّه باتساع الفتوح في خلافته، فقال[٣]:

هَدَاكَ الَّذِيْ يَهْدِي الخَلاَئِفَ لِلتُّقَى ... وَأُعطِيْتَ نَصْراً لَمْ تَنَلْهُ الخَلاَئِفُ

وَأَدَّتْ إِلَيْكَ الهِنْدُ مَا فِيْ حُصُوْنِهَا ... وَمِنْ أَرْضِ صينِ اسْتَانَ تُجْبَى الطرائِفُ

وَأَرْضَ هِرَقْلَ قَدْ قَهَرْتَ وَدَاهِراً ... وَتَسْعَى لَكُمْ مِنْ آلِ كِسْرَى النَّوَاصِفُ

لعل الشطر الأوّل من البيت الأوّل متأثّر بقوله تعالى: ﴿....فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٤].

وأما النابغة الشيباني فيستهل قصيدته في الثناء على الخليفة مبيّناً منزلته الرفيعة عند الله تعالى، ثمّ ينوّه في تسعة أبيات بنهوضه للقتال، ويصف خلال ذلك فتح حصن طُرَنْدَة البيزنطي على يد أخيه مَسْلَمة بن عبد الملك، فيقول[٥]:

إِنَّ الْوَلِيْدَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ لَهُ ... حَقٌّ مِنَ اللهِ تَفْضِيْلٌ وَتَشْرِيْفُ

خَلِيْفَةٌ لَمْ يَزَلْ يَجْرِيْ عَلَى مَهلٍ ... أَغَرُّ تَنْمِيْ بِهِ البِيْضُ الغَطَارِيْفُ

---

(١) تنظر: إبتسام مرهون الصفار، **الأمالي في الأدب الإسلامي**، ص١٨٤، وشوقي ضيف، **العصر الإسلامي**، ص١٧٨، ومحمد مصطفى هدّارة، **اتجاهات الشعر العربيّ في القرن الثاني الهجريّ**، ص٣٩٥.

(٢) مدحُ الشّعراء للخلفاء في شعر الجهاد لم يكن يتصل في الغالب بمعارك حقيقية، وذلك أن الخلفاء لم يكونوا -لانشغالهم بتصريف شؤون الدولة- يقودون معارك بأنفسهم، وإنما كانوا يعهدون بهذه المهمة إلى ولاة الثغور والقادة الّذين كانوا ينفّذون في حملات عسكرية بين الحين والآخر، ومن ثمّ جاء الحديث عن جهادهم وفتوحاتهم في مدحهم حديثاً عاماً يظهر حزم الممدوح وشدة إيقاعه بالأعداء، وذوده عن المحارم ودفاعه عن الثغور. ينظر: إبراهيم محمّد غماري المغربي، "شعر الفتوح الإسلامية في العصر الأمويّ"، ص١٢٤.

(٣) جرير، **ديوانه**، ص٣٠٣. الطرائف: الأموال. النواصف: الجواري.

(٤) الفتح: ٢٦.

(٥) النابغة الشيباني، **ديوانه**، ص١٣١. الغطاريف: جمع غطريف، وهو السيد العظيم.

يستلهم الشاعر في البيت الأوّل قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ....﴾[١]، أو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ....﴾[٢].

ويمدح الفرزدق سليمان بن عبد الملك بأن الله تعالى بعثه عدلاً ورحمة للناس كما بعث الله تعالى من قبلُ النبيَّ محمداً ﷺ رحمة للأُمة، فيقول[٣]:

جُعِلْتَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ أَمْناً وَرَحْمَةً ... وَبُرْءاً لِآثَارِ الْقُرُوْحِ الْكَوَالِمِ

كَمَا بَعَثَ اللهُ النَّبِيَّ مُحَمَّداً ... عَلَى فَتْرَةٍ وَالنَّاسُ مِثْلُ الْبَهَائِمِ

فالشطر الأوّل من البيت الأوّل مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٤]، وأما البيت الثاني فهو متأثّر بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ....﴾[٥].

وامتدح الفرزدق أيضاً يزيد بن عبد الملك وأخاه سليمان، فأشاد بنهوض يزيد إلى افتداء الأسرى الّذين كانوا بيد الروم، الأمر الذي حفظ لهم دينهم وحماهم من التنصر، كما أشاد بنهوض سليمان إلى حرب الروم في خلافته، ولعل بعض الأسرى الذين تحدث عنهم الشاعر كانوا ممّن وقعوا في أسر الروم أثناء حملة القسطنطينية التي أنفذها سليمان بن عبد الملك، وفي هذا إشارة إلى أن يزيد بن عبد الملك قد تابع عملية افتداء هؤلاء الأسرى التي كان عمر بن عبد العزيز قد شرع بها إثر تسلّمه الخلافة بعد وفاة سليمان بن عبد الملك[٦]، فيقول[٧]:

فَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ قَدْ رَدَدْتَ صَلَاتَهُ ... لَهُ بَعْدَ مَا قَدْ كَانَ فِي الرُّوْمِ نَصَّرَا

يَدَيْهِ بِمَصْلُوْبٍ عَلَى سَاعِدَيْهِمَا ... فَأَصْبَحَ قَدْ صَلَّى حَنِيفاً وَكَبَّرَا

---

(١) الإسراء: ٢١.

(٢) الأنعام: ١٦٥.

(٣) الفرزدق، **ديوانه**، ج٢، ص٣٠٩.

(٤) الأنبياء: ١٠٧.

(٥) المائدة: ١٩.

(٦) ينظر: إبراهيم محمّد غماري المغربي، "شعر الفتوح الإسلامية في العصر الأمويّ"، ص١٢٦.

(٧) الفرزدق، **المصدر نفسه**، ج١، ص٣٤٧. أعصر: دخل في العصر، ولعلها من الإعصار، فيكون المعنى أنه هب كالإعصار في أرض الروم.

فَتَحْتَ لَهُمْ حَتَّى فَكَكْتَ قُيُودَهُم ... قَنَاطِرَ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلَكَ قَنْطَرَا

تَنَاوَلْتَ مَا أَعْيَا ابْنَ حَرْبٍ وَقَبْلَهُ ... وَأَعْيَا أَبَاكَ الْحَازِمَ الْمُتَخَيِّرَا

وَمَا كَانَ قَدْ أَعْيَا الْوَلِيدَ وَبَعْدَهُ ... سُلَيْمَانَ مِمَّنْ كَانَ فِي الرُّوْمِ أَعْصَرَا

لقد أورد الشاعر عدة ألفاظ إسلامية قرآنية في البيتين الأوّل والثاني، فألفاظ "المصلّي" و"الصلاة" و"صلى" و"حنيف" و"كبّر" قد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾(٤).

وأما جرير في مدحه لهشام بن عبد الملك فصوّر المصير الذي سيؤول إليه أهل الشرك على يد الممدوح لأنهم خالفوه ونقضوا عهدهم معه مستعيناً بقصة ثمود الّذين هلكوا لعقرهم ناقة النبي صالح(٥) عليه السلام كما قصّ ذلك القرآن الكريم: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾(٦)، فقال(٧):

وَإِنْ أَهْلُ الضَّلَالَةِ خَالَفُوكُم ... أَصَابَهُمُ كَمَا لَقِيَتْ ثَمُودُ

وَأَمَّا مَنْ أَطَاعَكُمُ فَيُرضَى ... وَذُو الْأَضْغَانِ يَخْضَعُ مستقيدُ

وَتَأْخُذُ بِالْوَثِيقَةِ ثُمَّ تَمْضِي ... إِذَا ازْدَحَمَتْ لَدَى الْحَرْبِ الْجُنُودُ

تَهَنَّأَ لِلْخَلِيفَةِ كُلُّ نَصْرٍ ... وَعَافِيَةٍ يَجِيءُ بِهَا الْبَرِيدُ

رَضِينَا أَنَّ سَيْبَكَ ذُو فضولٍ ... وَأَنَّكَ عَنْ مَحَارِمِنَا تَذُودُ

وَأَنَّكُمُ الْحُمَاةُ بِكُلِّ ثَغْرٍ ... إِذَا ابْتَلَّتْ مِنَ الْعَرَقِ اللُّبُودُ

وإلى جانب الخلفاء حظي الولاة والقادة بمدح الشّعراء لأنهم كانوا ممّن تولّوا قيادة الجيوش وسطّروا ملاحم القتال، فقد امتدح جرير عبدَ العزيز بنَ الوليد وأشاد بشجاعته فقال(٨):

---

(١) المعارج ٢٢-٢٣.

(٢) الأعلى: ١٥.

(٣) يونس: ١٠٥.

(٤) المدثر: ٣.

(٥) ينظر: أحمد بهجت، **أنبياء الله**، ط١٥، دار الريّان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٧٢-٧٣.

(٦) الحاقة: ٥.

(٧) جرير، **ديوانه**، ص١١٧. مستقيد: أي وهو مستقيد، خاضع.

(٨) جرير، **المصدر نفسه**، ص٣٤٩. ما تتم حواملة: أي تسقط فيه الحوامل أجنتها.

وَلِلتُّرْكِ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيْزِ وَقِيْعَةٌ وَلِلرُّوْمِ يَوْمٌ مَا تُتِمُّ حَوَامِلُهْ

استعان الشاعر في وصف رعب الأعداء وفزعهم من الممدوح بقوله تعالى في وصف بعض أهوال يوم القيامة: ﴿....وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا....﴾[١].

وعندما فتح قتيبةُ بنُ مسلم سمرقند وخوارزم في سنة واحدة امتدحه نهار بن تَوْسِعَة[٢] معبّراً عن إعجابه بهذا القائد الكبير، فقال[٣]:

مَا كَانَ فِيمَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِيمَنْ بَعْدَنَا كَابْنِ مُسْلِمِ

أَشَدَّ عَلَى الْكُفَّارِ قَتْلاً بِسَيْفِهِ وَأَكْثَرَ فِينَا مَقْسِماً بَعْدَ مَقْسِمِ

استلهم الشاعر في الشطر الأوّل من البيت الثاني قوله تعالى في وصف أصحاب الرسول ﷺ: ﴿....وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ....﴾[٤].

ويشيد جرير بشجاعة معاوية بن هشام وتقواه وقوة إيمانه، ويؤكّد أن هذه الفضائل من أهم العوامل التي تساعده على تحقيق النصر على الروم، فانقاد له ملوكها صاغرين مقرّنين بالأغلال والأصفاد، يقول[٥]:

إِلَى مُعَاوِيَةَ الْمَنْصُوْرِ إِنَّ لَهُ دِيْناً وَثِيْقاً وَقَلْباً غَيْرَ حَيَّادِ

مِن آلِ مَرْوَانَ مَا ارْتَدَّتْ بَصَائِرُهُم مِنْ خَوْفِ قَوْمٍ وَلَا همّوا بِإِلْحَادِ

حَتَّى أَتَتْكَ مُلُوْكُ الرُّوْمِ صَاغِرَةً مُقَرَّنِيْنَ بِأَغْلَالٍ وَأَصْفَادِ

يَوْمَ أَذَلَّ رِقَابَ الرُّوْمِ وَقْعَتُهُ بُشْرَى لِمَنْ كَانَ فِيْ غَوْرٍ وَأَنْجَادِ

لعل البيت الثّالث مقتبس من قوله تعالى في وصف انقلاب فرعون وقومه صاغرين أذلّة بما لحقهم من عار الهزيمة والخيبة والخذلان أمام النبي موسى عليه السلام: ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا

---

(١) الحج: ٢.

(٢) نهار بن توسعة من بني بكر بن وائل، كان شاعر بكر في خراسان، هجا قتيبة بن مسلم، وله أبيات في رثاء المهلب بن أبي صفرة، وتوفي سنة ٨٣ للهجرة، الزركلي، **الأعلام**، ج٩، ص٢٤.

(٣) ابن قتيبة، **الشّعر والشعراء**، ص٣٩٣، وعبدالعزيز بن محمّد الزير ومحمد بن عبد الله الأطرم، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص١٧٣.

(٤) الفتح: ٢٩.

(٥) جرير، **ديوانه**، ص١٢٣.

صَاغِرِينَ﴾[١]، وقوله تعالى في وصف الكافرين يوم القيامة: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾[٢]. وأما الشطر الثاني من البيت الرابع فلعله متأثّر بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ....﴾[٣].

وأما مدح الجند فالشعراء لم ينظموا أشعاراً كثيرة في هذا المجال[٤]، ولعل المتأثّر بالقرآن الكريم منها يتمثّل في مدح شعراء الخوارج لإخوانهم المقاتلين في سبيل الله، فأضفوا عليهم الصفات التي انتزعوها من وصف الله تعالى لعباده المؤمنين، وخير ما يدلّ على ذلك وصف الطِّرِمَّاح[٥] لإخوانه مدحاً لهم، فيقول[٦]:

لِلهِ دَرُّ الشُّرَاةِ إِنَّهُمُ ... إِذَا الكَرَى مَالَ بِالطُّلَى أَرِقُوْا

يُرَجِّعُونَ الْحَنِيْنَ آونَةً ... وَإِنْ عَلَا سَاعَةً بِهِمْ شَهَقُوْا

خَوْفاً تَبِيْتُ الْقُلُوْبُ وَاجِفَةً ... تَكَادُ عَنْهَا الصُّدُورُ تَنْفَلِقُ

فهذه الأبيات مستمدة من الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٧].

---

(١) الأعراف: ١١٩.

(٢) إبراهيم: ٤٩.

(٣) آل عمران: ١٢٦.

(٤) ينظر: إبراهيم محمّد غماري المغربي، "شعر الفتوح الإسلامية في العصر الأموي"، ص١٣٥.

(٥) الطرماح بن حكيم بن الحكم الطائي، ويُكنّى أبا نَفْر وأبا ضبينة، نشأ بالشام واستوطن الكوفة، وتنقل في كرمان وقزوين وعمل مؤدباً في الري، ومدح بعض ولاة بني أمية وقوادهم، وكان بينه وبين الكميت صداقة على تباينهما في المذهب، وتوفي سنة ١٢٥ للهجرة، ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٢، ص٤٣ وما بعدها، وإحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٢٣٥، وأحمد حسن الزيات، **تاريخ الأدب العربي**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٥م، ص١٢٥-١٢٦.

(٦) الطرماح، **ديوانه**، تحقيق عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٨م، ص٥٧٨. الطلي: الأعناق، واحدتها الطلاة. واجفة: خافقة مضطربة من خوف الله.

(٧) الأنفال: ٢.

ويمدح قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللهِ[١] أصحابَه فيقول[٢]:

قَوْماً إذَا ذُكِّـــرُوْا بِـــاللهِ أَوْ ذَكَـــرُوْا خَرُّوا مِنَ الْخَوْفِ لِلْأَذْقَانِ وَالرُّكَـــبِ

يستلهم الشاعر في قوله هـــذا بقولـــه تعـــالى: ﴿....إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَانِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٣].

أمّا عيسى بن عاتك الخطّي في مدح إخوانه المجاهدين بأنهم يكثرون من العبادة ليلاً فقـــد تأثر بالآية الكريمة: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا....﴾[٤]، فقال[٥]:

إِذَا مَـــا اللَّيْـــلُ أظلـــــم كَـــــابَدُوْهُ فَيُسْـــفِرُ عَنْـــهُمُ وَهُـــــمُ رُكُـــــوْعُ

أَطَـــارَ الْخَـــوْفُ نَوْمَـــهُمُ فَقَـــامُوْا وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِـــــي الدُّنْيَـــا هُجُـــوْعُ

لهم تحـــت الظَّـــلَامِ وَهُـــمْ سُـــجُوْدٌ أَنِيـــنٌ مِنْـــهُ تَنْفَـــرِجُ الضلُـــوْعُ

يُعَـــالُوْنَ النَّحِيْـــبَ إِلَيْـــهِ شَـــــوْقاً وَإِنْ خَفَضُـــوْا فَرَبُّـــــهُمُ سَـــمِيْعُ

من هنا يتضح أن شعراء الجهاد في عصر صدر الإسلام لم يكثروا من المديـــح، إذ لـــم تتوافر لهم أسبابه ودواعيه؛ فالعصر الذي عاشوا فيه لم يكن عصراً يخصب فيه شـــعر المديـــح ويزدهر، لأنّه عصر تأصيل للعقيدة والمبدأ، ودعوة المشركين إلى الإسلام -كما سبق ذكـره- لا لتقريظ الأشخاص والسادة والعظماء، وبالتالي قلّ شعر المديح المتأثّر بالقرآن الكريم.

ومن خلال تلك القصائد أو المقطوعات المتأثّرة بالقرآن الكريم التي يمدح فيـــها الشـــاعر الرسول ﷺ أو المسلمين من الأنصار والمهاجرين، جعل الشاعر فكرة المديح جزءاً لا يتجزأ من الدعوة الإسلامية، وهو أيضاً جزء من إعلان الشّعراء التزامهم بـــــالعقيدة الإســـلامية والديـــن الإسلامي[٦].

---

(١) قيس بن عبد الله أحد بني عبد مناة بن بكر، كان شاعراً، وقد حارب مع عبيدة بن هلال، ولما قتـــل عبيـــدة كان هو في المستأمنة، وعاش حتى كف بصره. الآمدي، **المؤتلف والمختلف**، ص٥١، وابـــن أعثـــم، **كتـــاب الفتوح**، ج٧، ص٥٥.

(٢) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص١٨٥.

(٣) **مريم**: ٥٨.

(٤) السجدة: ١٦.

(٥) المبرد، **الكامل**، ج٣، ص١١٨٢، وإحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٥٦-٥٧.

(٦) تنظر: إبتسام مرهون الصفار، **الأمالي في الأدب الإسلامي**، ص١٨٢.

أمّا في العصر الأمويّ فإنه لا يظهر فيه أثر القرآن الكريم إلاّ ضعيفاً باهتاً، يتمثّل في مدح الشّعراء للخلفاء والأمراء والقادة والجند، وقد عاد بعض الشّعراء إلى المديح الكاذب والغلوّ في الإطراء، لا سيما في مدحهم للخلفاء، وغلبت عناية الشّعراء بالصفات الجاهليّة على عنايتهم بالصفات الإسلامية في تلك المدائح[1].

(١) ينظر: حسين عطوان، **الشّعر العربيّ بخراسان في العصر الأمويّ**، ص١٨٧، وص١٩٦، وصلاح مصيلحي علي عبد الله، **التقليد والتجديد في الشّعر العربي**، ص١٣٥-١٣٦.

المبحث السادس

الـــــفـــــخـــــر

الفخر هو التغنّي بالفضائل والمثل العليا، والتباهي بالسجايا النفسية والصفات القومية، والزهو بالفعال الطيبة، وألذّ أحاديث المرء عنده هو حديثه عن نفسه وخصاله وفِعاله، ويكره الناس الحديث عن النفس والتباهي بالخصال ويعدّونه غروراً وادعاءً إلاّ في الشّعر فإنه مقبول مستساغ[١]. وقد أشار إلى ذلك ابن رشيق بقوله: "ليس لأحد من الناس أن يُطْرِيَ نفسه ويمدحها في غير منافرة إلاّ أن يكون شاعراً، فإن ذلك جائز له في الشّعر غير مَعيب عليه"[٢]. ولعل ذلك أن القارئ للشعر يتعاطف مع الشاعر ويشاركه مشاعره حين يتغنى بالمثل العليا فيكون قد عبّر عن خواطر القارئ وأمنياته[٣].

وفي العصر الجاهلي فإن الكثرة الغالبة من الشّعراء انصبّ فخرهم على ما كرهه الإسلام وحرّمه، فكانوا يفخرون بالعصبية القبلية، وبدعوتهم للثأر، وبإقدامهم متى سمعوا هيعة، وبمعاقرتهم الخمور وركوب أسباب المجون[٤]. لكن حينما جاء الإسلام برسالته السمحة أضفى على الفخر من السمات ما أكسبه جِدّةً، تجعله يخالف الفخر الجاهلي كل المخالفة، فقد صار مناط الزهو إعلاء كلمة الله تعالى، وموضع الفخر هو الذود عن الإسلام، وسر التعالي والاعتداء يكمن في طاعة الرسول ﷺ والاقتداء به ومناصرته، ثمّ يأتي الفخر بالانتصار في القتال على أعداء الله، ولم تخلُ بعض مواقف الفخر من ذكرٍ للآباء والأجداد، ولكنه يختلف عن ذكر الجاهليَّة، إنه لا يفخر بهم من حيث الأصل والحسب والنسب، وإنما بسبب أعمال بطولية كمناصرة الله ورسوله وحفظ الدين وحسن البلاء في الحرب[٥].

والفخر في شعر الجهاد المتأثّر بالقرآن الكريم على نوعين: فردي ذاتي وجماعي. أمّا الفخر الفردي الذاتي فيبدو واضحاً عند بعض الشّعراء الّذين يفخرون بنعمة الله عليهم بأن هداهم للدين الحنيف[٦]، يقول النابغة الجعدي[٧]:

---

(١) يحيى الجبوري، **الشّعر الجاهلي خصائصه وفنونه**، ص٣٠٠-٣٠١.

(٢) ابن رشيق، **العمدة**، ج١، ص٢٥.

(٣) يحيى الجبوري، **المرجع نفسه**، ص٣٠١.

(٤) عبد الرحيم محمود زلط، **التأثير النفسي للإسلام في الشعر**، ص٥٩.

(٥) إخلاص فخري عمارة، **الإسلام والشعر**، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت، ص١٤٦.

(٦) وبهذا المعنى نفسه يفخر العباس بن مرداس، ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٤، ص٢٩٧. وكذلك عُرْوة بن الورد يوم القادسية، ينظر: عبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص١٣٠. وكذلك عامر بن عصمة بن شريح يفخر بإسلام عمه، ينظر: عبد العزيز بن محمّد الزير ومحمد بن عبد الله الأطرم، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص٧٦.

(٧) النابغة الجعدي، **ديوانه**، ص١٧٧. القوارع: الآيات القرآنية التي كانت تقرع سمع النبي ﷺ، أو آيات التهديد والوعيد التي يعد بها المشركين. السيب: العطاء.

وَعُمِرْتُ حَتّٰى جَاءَ أَحْمَـدُ بِالْـهُدٰى وَقَـوَارِعٍ تُتْلٰـى مِـنَ الْفُرْقَـانِ
وَلَبِسْتُ مِ الْإِسْـلَامِ ثَوْبـاً وَاسِـعاً مِـنْ سَـيْبِ لَا حَـرِمٍ وَلَا مَنَّـانِ

لعل الشاعرَ في قوله هذا ينظر إلـى الآيـة الكريمـة: ﴿هُوَالَّذِيٓأَرْسَلَ رَسُولَهُۥبِالْهُدَىوَدِينِ الْحَقِّ....﴾(١).

وفخر الشّعراء أيضاً بجهادهم في سبيل الله وبنصرتهم للإسلام(٢) كما هو واضح في قـول المِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ(٣):

أَنَا الْفَارِسُ الْمَشْهُوْرُ فِيْ كُلِّ مَوْطِـنٍ وَنَـاصِرُ دِيْـنٍ لِلنَّبِـيِّ مُحَمَّـدِ(٤)

فالشطر الثاني من البيت مشتقّ من قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ....﴾(٥).

وقد فخر عبد عمرو بنُ عبد جَبَل الكلبي(٦) بالدين الجديد والإيمان بـالله العلـي القديـر، فيقول(٧):

أَجَبْتُ رَسُوْلَ اللهِ إِذْ جَـاءَ بِالْـهُدٰى فَأَصْبَحْتُ بَعْـدَ الْجحـدِ لِلهِ أُوْجَـرَا
وَوَدَّعْتُ لَـذَّاتِ الْقِـدَاحِ وَقَـدْ أُرٰى بِهَا سَدِكاً عُمْرِيْ وَللـهوِ أَصْـوَرَا
وَآمَنْـتُ بِـاللهِ الْعَلِـيِّ مَكَانُـهُ وَأَصْبَحْتُ لِلْأَدْيَانِ مَا عِشْتُ مُنْكِـرَا

---

(١) التوبة: ٣٣.

(٢) وبهذا المعنى أيضاً يفخر سعد بن أبي وقّاص وعلي بن أبي طالب، ينظر: عبد الله بن حامد الحامد، **شـعر الدعوة الإسلامية**، ص٢٧٦ وص٢٧٨، وكذلك مالك بن الريب، ينظر: عبد العزيز بن محمّد الزير ومحمد بـن عبد الله الأطرم، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص٢٤٧.

(٣) المقداد بن الأسود الكندي الحَضْرَمِيّ، جرح أميراً في حضرموت، فطلب فسافر إلى مكّة، هاجر الـهجرتين، وشهد المشاهد كلها، وهو شجاع باسل وفارس مغوار، توفي سنة ٣٣ للهجرة عن ٧٠ عاماً. ابن عبـد الـبر، **الاستيعاب**، ج٤، ص٤٢-٤٣.

(٤) والواقدي، **فتوح الشام**، ج٢، ص٢٥٣.

(٥) الصف: ١٤.

(٦) عبد عَمرو بن عبد جَبَل الكلبي، مسلم له صحبة، وفد على النبي ﷺ وأسلم، ابـن حجـر، **الإصابـة**، ج٤، ص٣١٤.

(٧) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣١٥. سدكاً: مولعاً. أصور: مائل.

يبدو تأثّر الشاعر في بيته الثّالث بقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾(١).

وقال كعب بن مالك مفتخراً بقضاء الله وقدره وبقدرته التي لا تقف دونها قدرة، ولن يستطيع أحد أن يقف أمام قوته وجبروته، فيقول يوم بدر(٢):

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللهِ وَاللهُ قَادِرٌ ... عَلَى مَا أَرَادَ لَيْسَ لِلهِ قَاهِرُ

قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نُلَاقِيَ مَعْشَراً ... بَغَوْا وَسَبِيْلُ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ

يأخذ الشاعر مفهوم البيت الأوّل من قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣)، أو قوله تعالى: ﴿.... قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤).

ويفخر قيس بن المكشوح المرادي(٥) بأنه قتل عظيم الفرس رستم في القادسية، فيقول(٦):

فَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ جَالَتْ ... قَصَدْتُ لِمَوْقِفِ الْمَلِكِ الْهُمَامِ

فَأَضْرِبُ رَأْسَهُ فَهَوَى صَرِيعاً ... بِسَيْفٍ لَا أَفَلَّ وَلَا كَهَامِ

وَقَدْ أَبْلَى الْإِلٰهُ هُنَاكَ خَيْراً ... وَفِعْلُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللهِ نَامِ

ففي البيت الأخير استفاد الشاعر من قوله تعالى: ﴿....وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً....﴾(٧)، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٨).

---

(١) الحج: ٦٢.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٤. وكعب بن مالك، **ديوانه**، ص٤٦.

(٣) المائدة: ١٢٠.

(٤) البقرة: ٢٥٩.

(٥) قيس بن مكشوح هو قيس بن هبيرة الملقب بمكشوح بن بلال، صحابي من الشجعان الأبطال الشعراء، له مواقف في الفتوحات في زمن عمر وعثمان في القادسية وغيرها، وهو ابن أخت عمر بن معد يكرب، وتوفي سنة ٣٧ للهجرة. الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٦١.

(٦) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٢٦١.

(٧) المزمل: ٢٠.

(٨) البقرة: ٢٦١.

وأما الفخر الجماعي فيوضّح فيه الشاعر محاسن قومه ويجلّي مآثرهم ويشيد بهم، أو يتحدّث عن جماعة المسلمين الّذين آمنوا بالدين الجديد. ومن المعاني التي فخر بها الشّعراء المسلمون ذودهم المشركين عن الكفر وبإعانة الله المسلمين وحفظه لهم وهدايته لهم باتباع دين الإسلام، قال كعب بن مالك يوم الخندق[١]:

يَذُوْدُوْنَنَا عَنْ دِيْنِنَا وَنَذُوْدُهُم عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمٰنُ رَاءٍ وَسَامِعُ
إِذَا غَايَظُوْنَا فِيْ مَقَامٍ أَعَانَنَا عَلىٰ غيظِهم نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَاسِعُ
وَذٰلِكَ حِفْظُ اللهِ فِيْنَا وَفَضْلُه عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللهُ ضَائِعُ
هَدَانَا لِدِيْنِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلّٰهِ فَوْقَ الصَّانِعِيْنَ صَنَائِعُ

الشاعر في قوله: "والرحمن راءٍ وسامع" يشير إلى قوله تعالى: ﴿....إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٢]، وفي قوله: "تصر من الله واسع" يشير إلى قوله تعالى: ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٣]، ولعل البيت الثّالث متأثّر بقوله تعالى: ﴿....فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٤]. كما أن البيت الرابع ترديد لقوله تعالى: ﴿....وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ....﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿....وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[٦].

وفخر الشّعراء بمناصرة الله وحفظ الدين كما هو واضح في قول العباس بن مرداس يوم حنين[٧]:

قَوْمٌ هُمُ نَصَرُوا الرَّحْمٰنَ وَاتَّبَعُوْا دِيْنَ الرَّسُوْلِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ
الضَّارِبُوْنَ جُنُوْدَ الشِّرْكِ ضَاحِيَةً بِبَطْنِ مَكَّةَ وَالْأَرْوَاحُ تَبْتَدِرُ

فالشاعر ينظر إلى قوله تعالى: ﴿....وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٨].

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٦٣. يذودوننا: يدفعوننا ويمنعوننا.

(٢) الحج: ٧٥.

(٣) الروم: ٥.

(٤) يوسف: ٦٤.

(٥) الأعراف: ٤٣.

(٦) الأحزاب: ٢٧.

(٧) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٤٦٦-٤٦٧، والعباس بن مرداس، **ديوانه**، ص٥٤-٥٥. مشتجر: مختلف. ضاحية: منكشفة بارزة في أشعة الشمس.

(٨) الحشر: ٨.

وفخر الشّعراء أيضاً بكون الرسول ﷺ بينهم فهداهم إلى صراط مستقيم، قال عبد الله بن رواحة[١]:

وَفِينَا رَسُوْلُ اللهِ يَتْلُوْ كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ معروف مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَا الْهُدٰى بَعْدَ الْعَمٰى فَقُلُوْبُنَا ... بِهِ مُوْقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يبدو في البيتين التأثّرُ الواضحُ بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢].

ويفخر الأوسُ والخزرج بعد إسلامهم بأنهم آووا الرسول ﷺ ورحّبوا بقومه المهاجرين وآثروهم على أنفسهم وِفقاً لقوله تعالى: ﴿....وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ....﴾[٣]، وفي ذلك يقول النُّعمان بن العجلان[٤]:

نَصَرْنَا وَآوَيْنَا النَّبِيَّ وَلَمْ نَخَفْ ... صروفَ اللَّيَالِيْ وَالْعَظِيْمَ مِنَ الْأَمْرِ

وَقُلْنَا لِقَوْمٍ هَاجَرُوْا مَرْحَباً بِكُمْ ... وَأَهْلاً وَسَهْلاً قَدْ أَمِنْتُمْ مِنَ الْفَقْرِ

نُقَاسِمُكُمْ أَمْوَالَنَا وَدِيَارَنَا ... كَقِسْمَةِ أَيْسَارِ الْجُزورِ عَلَى الشَّطْرِ

وَنَكْفِيْكُمُ الْأَمْرَ الَّذِيْ تَكْرَهُوْنَهُ ... وَكُنَّا أُنَاساً نُذْهِبُ الْعُسْرَ بِالْيُسْرِ[٥]

ويستلهم الشاعر في البيت الأوّل قوله ﷻ: ﴿....وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٦].

ويفخر كعب بن مالك بصبر المسلمين[٧]، وتوكلهم على الله يومَ الخندق، فيقول[٨]:

---

(١) عبد الله بن رواحة، **ديوانه**، ص١٦٢.

(٢) الجمعة: ٢.

(٣) الحشر: ٩.

(٤) النعمان بن العَجلان الزُرْقِيّ الأنصاري، صحابي جليل وشاعر محسن وكان شاعر الأنصار. ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج٦، ص٣٥١، وابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٤، ص٦٤.

(٥) ابن عبد البر، **المصدر نفسه**، ج٤، ص٦٤.

(٦) الأنفال: ٧٤.

(٧) وبهذا المعنى أيضاً يفخر كعب يومَي بدر وأحد، ينظر: كعب بن مالك، **ديوانه**، ص٤٧، وص٧٤. وكذلك العباس بن مرداس، ينظر: عبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص٢٩٧.

(٨) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٥٥، وكعب بن مالك، **المصدر نفسه**، ص١٠٥. العِدل: النظير والمِثل. نابنا: حلّ بنا من مُصاب.

وَسَـائِلَةٍ تُسَـائِلُ مَـا لَقِينَـا وَلَـوْ شَـهِدَتْ رَأَتْنَـا صَابِرِينَـا
صَبَرْنَـا لَا نَـرَى لِلّٰهِ عِـدْلاً عَلَـى مَـا نَابَنَـا مُتَوَكِّلِينَـا

فالشاعر في قوله: "لا نرى لله عِدْلاً" يشير إلى قوله سبحانه: ﴿....لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١)، كما أن المعنى العام للبيتين ترديد لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٣).

ويفخر بتأييد الله والملائكة لهم في القتال وانتصار جند الله، فيقول(٤):

وَيَـوْمَ بَـدْرٍ لَقِينَـاكُمْ لَنَـا مَـدَدٌ فِيهِ مَعَ النَّصْـرِ مِيكَـالٌ وَجِـبْرِيلُ

ويقول أيضاً في يوم بدر(٥):

بِنَصْـرِ اللهِ رُوحُ الْقُـدْسِ فِيـهَا وَمِيكَـالٌ فَيَـا طِيـبَ المَـلَاءِ

في البيتين يظهر التأثّر بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٦).

ويفخر قطري بن الفجاءة بأن أصحابه فتية مؤمنون صالحون مجاهدون، فيقول(٧):

فَلَـوْ شَـهِدَتْنَا يَـوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَـا تُبِيـحُ مِـنَ الْكُفَّـارِ كُـلَّ حَرِيـمِ
رَأَتْ فِتْيَةً بَـاعُوا الْإِلٰـهَ نُفُوسَـهُم بِجَنَّـاتِ عَـدْنٍ عِنْـدَهُ وَنَعِيـمِ

---

(١) الشورى: ١١.

(٢) النحل: ٤٢.

(٣) التوبة: ٥١.

(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٤٧، وكعب بن مالك، **ديوانه**، ص٨٣.

(٥) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٢٦، وكعب بن مالك، **المصدر نفسه**، ص٢١. الملاء: أراد الملأ، وهم أشراف القوم وسادتهم.

(٦) الأنفال: ٩-١٠.

(٧) المبرد، **الكامل**، ج٣، ص١٢٢٧.

فمعنى البيت الثاني مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١].

وأما سُمَرَةُ بنُ الْجَعْدِ[٢] فيفخر بأن أصحابه أسود في النهار عبّاد في الليل، فيقول[٣]:

إِلَى عُصْبَةٍ أَمَّا النَّهَارُ فَإِنَّهُمْ ... هُمُ الْأُسْدُ أُسْدُ الْغِيلِ عِنْدَ التَّهَايِجِ

وَأَمَّا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ فَإِنَّهُمْ ... قِيَامٌ كَأَنْوَاحِ النِّسَاءِ النَّوَاشِجِ

لعل البيت الثاني متأثّر بقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا....﴾[٤].

فالفخر في شعر الجهاد -على مدى مدة موضوع الدراسة- شديد الاقتراب من الشّعر الجاهلي[٥]، وقد ظهرت العصبية وروح الحمية الجاهليَّة في بعض شعر الجهاد، وكان من الطبيعي أن تصطدم هذه النزعة وتتعارض مع تعاليم الإسلام[٦].

وبناء على هذا، يلاحظ أن شعر الجهاد المتأثر بالقرآن الكريم الذي قيل في الفخر قليل ضئيل إلى حدٍّ كبير، لأن الإسلام يدعو إلى التواضع ويرى أن العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن خُيَلاءَ الفرد وكبره معصية ومكروه. كما أن أثر القرآن الكريم في هذه الأشعار خافت ضعيف، يظهر في بيت أو أبيات من القصيدة ويدور حول الفخر بهداية الله، والدين الإسلامي وبالنصرة له وللمسلمين، وبالجهاد في سبيل الله والصبر فيه، وبتأييد الله والملائكة للمسلمين في القتال. ويبدو أن التطوّر قد طرأ على فخر بعض شعراء الخوارج -على قلّته- بأصحابهم المجاهدين، إذ يفخرون بهم بما وصف الله تعالى لعباده المؤمنين.

---

(١) النساء: ٧٤.

(٢) سُمَرة بن الجعد شاعر من الخوارج، وأحد القَعَدة منهم، كان في سمر الحجاج بن يوسف، عيّره بذلك قَطَري بن الفجاءة. ابن أعثم، **كتاب الفتوح**، ج٧، ص٣٤، وعزيزة فوال بابتي، **معجم الشّعراء المخضرمين والأمويّين**، ص١٩٦-١٩٧.

(٣) ابن أعثم، **المصدر نفسه**، ج٧، ص٣٦.

(٤) السجدة: ١٦.

(٥) ينظر: النعمان عبد المتعال القاضي، **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، ص٢٤٤، وحنا الفاخوري، **الفخر والحماسة**، ط٥، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٤٨.

(٦) يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص٣٢٨.

الفصل الثاني

استلهام الأفكار والمعاني القرآنية

بعد الاطّلاع على شعر الجهاد المتأثّر بالقرآن الكريم -على مدى مدة موضوع الدراسة- يبدو أن الأفكار والمعاني القرآنية التي استأثرت باهتمام شعراء المسلمين تتأطّر في بيان عوامل النصر كما بيّنها القرآن الكريم، وهذه العوامل لا بدّ للأمة الإسلامية من مراعاتها وتحقيقها لتنال النصر الذي وعدها الله تعالى على أعدائها، ففي هذا الفصل عرض لهذه الأفكار والمعاني.

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: عوامل النصر الأوّليّة

المبحث الثاني: عوامل النصر عند اللقاء

المبحث الأوّل
عوامل النصر الأوّليّة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: الإيمان بالله تعالى.

المطلب الثاني: التقـــــوى.

المطلب الثّالث: نصرة دين الله تعالى.

المطلب الأوّل: الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله تعالى إيماناً حقّاً يصدّقه العمل يدفع المؤمن إلى أن يقدّم نفسه وماله وكل ما يملك ابتغاء مرضاة الله ورغبة في مغفرته وحسن مثوبته، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[١]، وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٢].

هذا الإيمان الحق من أهمّ دعائم النصر وعوامله، لأنّه يمنح المسلم عزماً صادقاً وإرادة قوية وقوة روحية وبدنية وثقة إلهية وتوفيقات ربانية ونفحات سماوية، فيقبل على المعركة غير هياب ولا وجل، لا يتطرّق إليه يأس ولا يعتريه فتور. لا تخيفه قوة الأعداء ولا تزعجه معارك الأقوياء[٣]، لأنّه يستمدّ العون والقوّة من ربّ العالمين، ويطلب النصر من صاحب الحول والطول وواهب النصر ﴿....وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٤].

ولا أدلّ على أن الإيمان الحقّ من أهم أسباب النصر من أن الله تعالى قبل أن يأذن للمؤمنين في القتال وعدهم وعداً مؤكّداً بالدفاع عنه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٥].

وأكّد الله تعالى أن الإيمان من دعائم النصر بقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[٦]، أي إن الله تعالى يؤيّد وينصر رسله والمؤمنين بأن يجعلهم الغالبين لأعدائهم، القاهرين لهم في الدنيا، وفي الآخرة حين يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين بأن يشهدوا للرسل بإبلاغ رسالاتهم، وعلى الأمم بتكذيبهم[٧].

---

(١) الأنفال: ٢-٤.

(٢) الحجرات: ١٥.

(٣) محمّد جمعة عبد الله، **وسائل النصر من القرآن والسنة**، ص٧١-٧٢.

(٤) آل عمران: ١٢٦.

(٥) الحج: ٣٨-٣٩.

(٦) غافر: ٥١.

(٧) وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٤، ص١٤٢.

وأعلن الله مؤكّداً أنه مع المؤمنين ومن كان الله معه فلا غالبَ له[١]، فقال مخاطباً كفار قريش: ﴿....وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، أي إن الله تعالى مع المؤمنين ينصرهم على من خالفهم لأنهم حزب الله وحزب الله هم المفلحون ﴿....فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٣].

لقد خاض المسلمون معاركهم بهذه العقيدة، عقيدة الإيمان الحقّ بالله ربّ العالمين، فنصرهم الله لصدق إيمانهم وردّ كيد أعدائهم في نحورهم، وحقّق وعده لهم ﴿....وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، وأكبر شاهد على أثر الإيمان والمحافظة على تعاليم القرآن الكريم في النصر غزوة بدر الكبرى، فقد خاضها المسلمون وهم قلّة في العدد والعتاد، كانوا دون الثلث من عدوّهم[٥]، ونصرهم الله وهم أذلّة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ....﴾[٦]، أي قليلون وضعاف في كل شيء إلاّ في الإيمان بالله تعالى. بل إن كل المعارك التي خاضها المسلمون وانتصروا فيها انتصاراً حاسماً كاليرموك والقادسية ونهاوند كان المسلمون فيها دون الخمس وفي قلّة من الزاد والعتاد، ولكنهم بقوّة إيمانهم وصدق عقيدتهم وإخلاصهم لربهم انتصروا فيها بفضل الله تعالى[٧].

وكانت أصوات الشّعراء والفرسان تتعالى في سماء المعركة وهي تبيّن هذه الفكرة، فقال كعب بن مالك يوم الخندق[٨]:

بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ وَأَنَّ اللهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَا

---

(١) وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٩، ص٢٧٩.

(٢) الأنفال: ١٩.

(٣) المائدة: ٥٦.

(٤) الروم: ٤٧.

(٥) ينظر: محمود شيت خطاب، **جيش الرسول ﷺ**، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٣م، ص٤١.

(٦) آل عمران: ١٢٣.

(٧) ينظر: محمّد جمعة عبد الله، **وسائل النصر من القرآن والسنة**، ص٧٥.

(٨) كعب بن مالك، **ديوانه**، ص١٠٦. المولى: النصير.

فقد أخذ الشاعر معنى الشطر الأوّل من قوله تعالى: ﴿لا شَرِيكَ لَهُ....﴾[١]، وأخذ معنى الشطر الثاني من قوله تعالى: ﴿....وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، أو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا....﴾[٣]، فالله ﷻ ناصرهم وحافظهم.

كما أشار ثابت قطنة[٤] إلى هذه الفكرة في وصف انتصاره على الترك في استرداد حصن المسلمين "قصر الباهلي"، فقال[٥]:

أَكُرُّ بِهِ لَدَى الْغَمَرَاتِ حَتَّى ... تَجَلَّتْ لَا يضيقُ بِهَا مَقَامِيْ

فَلَوْلَا الله لَيْسَ لَهُ شَرِيْكٌ ... وَضَرْبِيْ قُوْنَسَ الْملكِ الْهُمَامِ

إِذاً لَسَعَتْ نِسَاءُ بَنِيْ دِثَارٍ ... أَمَامَ التُّرْكِ بَادِيَةَ الْخِدَامِ

وأما حسان بن ثابت فقد اعترف بأن الملك لله وحده لا شريك له، وأن أمره الذي يقدره كائن لا محالة، وواقع لا محيد عنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فقال يوم الخندق[٦]:

وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلهِ وَحْدَهُ ... وَأَنَّ قَضَاءَ اللهِ لَا بُدَّ وَاقِعُ

فمعنى صدر البيت وارد في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٧]، أو في قوله سبحانه: ﴿....وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ....﴾[٨]، وجاء معنى عجز البيت في قوله جلّ وعلا: ﴿....وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[٩].

---

(١) الأنعام: ١٦٣.

(٢) آل عمران: ٦٨.

(٣) محمّد: ١١.

(٤) ثابت قُطنة هو أبو العلاء ثابت بن كعب بن جابر العنكي الأزدي، من شجعان العرب وأشرافهم، شهد الوقائع في خراسان سنة ١٠٢ للهجرة فأصيبت عينه فجعل عليها قطنة، فعرف بها، وقد أغزاه أشرس بن عبد الله السلمي والي خراسان بلاد الترك فقاتلهم حتى استشهد سنة ١١٠ للهجرة. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص٨٢. وعبد العزيز بن محمّد الزير ومحمد بن عبد الله الأطرم، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص٨٦.

(٥) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٦، ص٦١١، وابن الأثير، علي بن محمّد بن محمّد (ت٦٣٠هـ)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق محمّد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٤، ص٣٤٩. القونس: أعلى الرأس. الخِدام: الخلاخيل، وإبداء الخلخال مثل كشف الساق، كناية عن الهرب.

(٦) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٧١.

(٧) النور: ٤٢.

(٨) الفرقان: ٢.

(٩) الأحزاب: ٣٨.

وقد صرّح بعض الشّعراء بتأييد الله ونصره للمسلمين في المعـــارك[١]، فَصَـــوَّرَ أحدهـــم انتصار المسلمين في محاربة المرتدّين من أهل البحرين مستلهماً قوله تعالى: ﴿....فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[٢]، فيقول[٣]:

لَا زَالَت البيضُ وَالْأَرْمَاحُ تـــأخذهم ... فتترك القـــومَ صَرْعَـــى لِلْعَرَانِيـــنِ

حَتّـــى اقْتَسَـــمْنَا بِدَارِيْنَـــا غَنَائِمَـــهَا ... مِنْ مَالِهَا مِنْ ذَوَاتِ الْخَـــزِّ وَالعِيْـــنِ

اللهُ أَيَّدَنَـــــــا وَاللهُ أَظْفَرَنَـــــــا ... بِالْقَوْمِ طُرّاً عَلَى عَـــزْمِ الملاعيـــنِ

كما رسم أحد المجاهدين فتح جرجان على يد يزيد بن المهلب، فأشار إلى إيمـــان الفـــاتح وثقته بالله تعالى ممّا كان سبباً في إحراز النصر والغلبة، فيقول[٤]:

فَتَـــحَ اللهُ لِلْأَمِـــيْرِ يَزِيْـــد ... ذِي الْمَعَالِيْ وَالْفَضْـــلِ وَالْإِحْسَـــانِ

بَلَـدَ الـتُّرْكِ وَالْأَعَـــاجِمِ طـــراً ... مِنْ قُـرى مَرْوِهَـا إِلَـى جُرْجَـانِ

كَمَـنَ الْقَـوْمُ بِالسِّـلَاحِ عَلَيْـــهِمْ ... كُـلُّ قَـوْمٍ مِـنَ القـرومِ هجـــانِ

وَلَقَـدْ وجّـــهَ الْجُنُـــودَ إِلَيْـــهِمْ ... وَاثِقـــاً بِالْمُـــهَيْمِنِ الْحَنَّـــــانِ

فَحَبَـاهُ الْإِلٰـــهُ بِـــالنَّصْرِ لَمَّـــا ... أَنْ رَمَـاهُمْ بِـــالنِّفطِ وَالنِّـــيْرَانِ

ففي صدر البيت الأخير يتّضح أثر قوله تعالى: ﴿....وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ....﴾[٥].

فيما سبق يلاحظ أن عقيدة المؤمنين بالنصر نابعة من إيمانهم بنصر الله وعزّه، مرتبطـــة بالثقة الأكيدة التي كان جند المؤمنين يتمتّعون بها، فالقتال ليس بالكثرة ولا بـــالعدّة، لأن الإيمـــان بالله تعالى عامل حاسم في كثير من الأحيان، وقوّة مقتدرة في كثير من المعـــارك الحاســـمة[٦]، وكثيراً ما كان القادة يؤكدون هذه الحقيقة عند بداية هجوم، أو القيام بتقدّم، فعندما قدم سعيد بـــن

---

(١) وفي هذا المعنى أيضاً يقول العباس بن مرداس يوم حنين، ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٦٩.

(٢) الصف: ١٤.

(٣) الواقدي، **كتاب الردة**، ص١٦٣. دارين: ميناء في البحرين.

(٤) ابن أعثم، **كتاب الفتوح**، ج٧، ص١٩٥-١٩٦. طَرّاً: يقال: "طرّهم بالسيف". القروم: جمع قـــرم، وهـــو السيد العظيم. الهجان من الناس: كرام النسب نقيّه.

(٥) الأنفال: ١٠.

(٦) ينظر: نوري حمّودي القيسي، **شعر الحرب حتى القرن الأوّل الهجريّ**، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٥٧.

عمرو الحَرَشِيّ خراسان والناس بإزاء العدو حثّهم على الجهاد، وقال: "إنكم لا تقاتلون عدوّ الإسلام بكثرة ولا بعُدّة، ولكن بنصر الله وعزّ الإسلام، فقولوا: "لا حول ولا قوة إلاّ بالله"[١].

المطلب الثاني: التقوى

التقوى هي أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربّه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربّه، من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه[٢].

والتقوى من أهمّ دعائم النصر لأن المتقي يخشى الله تعالى فينفذ كل تعاليمه، وخاصة في مواطن الجهاد وأماكن الاستشهاد التي يرى فيها الموت بعينيه وهو موقن بأن الله تعالى يراه فلا يولّي الأدبار ولا يقصر في وسائل الانتصار، بل يقبل على المعركة بشجاعة وإخلاص وقوّة ويخوضها في صبر وجلد وهو ينتظر إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

قال تعالى مؤكداً أن التقوى من أسباب النصر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٣]، أي إن الله تعالى مع المتقين بالنصر والحراسة والإعانة، وهذه المعية ملازمة للتقوى، فالله مع المؤمنين إذا التزموا أحكام شرعه ومن أهمّها إقامة الفرائض والسنن، والثبات والصبر والطاعة والنظام، وابتعدوا عن اختراق حدوده والتقصير في إعداد العدّة المناسبة لكل عصر وزمان ومكان[٤].

وبيّن القرآن الكريم أن من يتّق الله تعالى يجعل له من كل ضيّق مخرجاً ومن كل همّ فرجا، ويرزقه من وجه لا يخطر له على بالٍ في قوله تعالى: ﴿....وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ....﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿....وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[٦]، أي ومن

---

(١) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٦، ص٦٢٠-٦٢١.

(٢) ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن شهاب الدين (ت٧٩٥هـ)، **جامع العلوم والحِكم**، تحقيق محمّد الأحمدي أبي النور، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٨م، ج٢، ص٤٦٨. وينظر: عبد القادر بن عبد العزيز، **العمدة في إعداد العُدة للجهاد في سبيل الله تعالى**، ط١، دار البيارق، عمان، الأردن، ١٩٩٩م، ص٣٧٩، وسعيد حوّى، **جند الله ثقافةً وأخلاقاً**، ط٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٣٠٧ وما بعدها.

(٣) **التوبة**: ١٢٣.

(٤) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١١، ص٨١-٨٢.

(٥) الطلاق: ٢-٣.

(٦) الطلاق: ٤.

يتّق الله يجعل له من العسر يسراً ويُنِر له طريق الهدى في كل ما يعرض له من مشـــكلات ولا عسر أشدّ من عسر القتال، فالله يزيل عسره عنه وينصره فيه، فالتقوى هي السلاح الأقوى[١].

كما بيّن الله تعالى أن الفوز المحقّق للمتّقين في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٢]، ففي الآية بيان أن من يطع الله ورسوله فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه ويخش الله فيما صدر منه من الذنوب فيتوب منها ويقبل على الطاعة ويتّق الله تعالى في مستقبل أمـوره، فأولئك الّذين وصفوا بكل هذا هم الظافرون برضا الله وفضله في الدارين، والفائزون منصـورون لا محالة[٣].

وقد اتّضحت هذه الفكرة في أشعار شعراء المسلمين كقول حسان بن ثابت فـــي معـــرض تصويره لمعركة بدر[٤]:

وَعَلَوْنَـا يَـــوْمَ بَـــدْرٍ بِـــالتُّقَى ... طَاعَـــةَ اللهِ وَتَصْدِيْـــقَ الرُّسُـــلْ

ولعل خير مثال يدل على أهمية التزوّد بالتقوى في اقتحام المعركة قولُ كعب بن مالك فـي وصف السلاح الذي تقلّده المجاهدون وتزوّدوا به يوم الخندق[٥]:

فِي كُـــلِّ سَـــابِغَةٍ تَخُـــطُّ فُضُوْلُـــهَا ... كَالنَّـــهيِ هَبَّـــتْ رِيْحُـــهُ الْمُـــتَرَقْرِقِ

بَيْضَـــاءَ محكمـــةٍ كَـــأَنَّ قَتِيْرَهَـــا ... حَدَقُ الجَنَـــادِبِ ذَاتِ شَـــكٍّ مُوْثَـــقِ

جـــدلاءَ يَحْفِزُهَـــا نِجـــادُ مُـــــهَنَّدٍ ... صَافِي الْحَدِيْدَةِ صَـــارِمٍ ذِيْ رَوْنَـــقِ

تِلْكُم مَـــعَ التَّقْـــوَى تَكُـــوْنُ لِبَاسَـــنَا ... يَوْمَ الهِيَاجِ وَكُـــلَّ سَـــاعَةِ مَصْـــدَقِ

---

(١) ينظر: محمّد جمعة عبد الله، **وسائل النصر من القرآن والسنة**، ص٨٤.

(٢) النور: ٥٢.

(٣) ينظر: محمّد جمعة عبد الله، **المرجع نفسه**، ص٨٥.

(٤) حسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص٣٥٧. وقول الشاعر: "طاعةَ الله وتصديقَ الرسـل"، تقديـره أَعْنِي بالتقى طاعةَ الله وتصديقَ الرسل.

(٥) كعب بن مالك، **ديوانه**، ص٧٦. السابغة: الدروع الكاملة الواسعة. تخط: ينجر على الأرض مـا فضـل منها. النهى: الغدير من الماء. المترقرق: الذي تصفقه الريح فيذهب ويجـيء. القتـير: مسـامير الـدروع. الجنادب: ذكور الجراد. الشك: إحكام السرد. موثق: محكم. الجدلاء: الدرع المحكمة والمدورة الحلق. يحفزهـا: يرفعها ويشمّرها. النجاد: حمائل السيف. الهياج: الحرب.

فهذه هي الدروع لَبوس الحرب الماديّ، ولكن الشاعر لا يكتفي بوصف هذا اللّبوس، بل يقول: "تلكم مع التقوى تكون لباسنا" مستلهماً قوله تعالى: ﴿....وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ....﴾[١]. فالتزوّد للقتال في نظر الشاعر المسلم لا يكون بالعدّة فحسب، بل لا بد من العدّة المعنوية أيضاً وهي التقوى، وهي خير الزاد؛ ذلك أنّ السلاح وحده في المعركة قد يكون مصدر فتك وعدوان وتدمير، أمّا إذا صاحبته التقوى فهو بلا ريب مصدر حقّ وإنقاذ وتحرير[٢].

وقد لاحظ السهيلي أن هذا البيت من أجود الكلام، لأن الشاعر جعل لباس الدروع تَبَعاً للباس التقوى، لأن حرف "مع" يفيد أن ما بعده هو المتبوع وليس بتابع[٣].

وقبل هذا، لقد حضّ الشّعراء على التزوّد بالتقوى لخوض المعركة، يقول عُمَيْرُ بنُ الحُمَام مرتجزاً يوم بدر[٤]:

رَكْضاً إِلَى اللهِ بِغَيْرِ زَادِ
إِلاَّ التُّقَى وَعَمَلَ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرَ فِي اللهِ عَلَى الْجِهَادِ
وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرُ التُّقَى وَالبِرِّ وَالرَّشَادِ

يلاحظ أن الشاعر قد ركّز على فكرة التزوّد بالتقوى، فهذا الرجز يجسّد لما جاء في قوله سبحانه: ﴿....وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[٥].

وقد ذكر بعض الشّعراء أنهم خرجوا للقتال خوفاً من الله تعالى وتقواه، ولأنهم باعوا نفوسهم لله جلّ وعلا لقاءَ الجنة والثواب. قال أبو بلال مرداس بن أدية[٦]:

تَقْوَى الإِلَهِ وَخَوْفُ النَّارِ أَخْرَجَنِي وَبَيْعُ نَفْسِيْ بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنَا[٧]

---

(١) الأعراف: ٢٦.

(٢) ينظر: محمّد علي الهاشمي، **كعب بن مالك الأنصاري الصحابي الشاعر الأديب**، ص١٧٧-١٧٨.

(٣) ينظر: **الروض الأُنُف**، ج٣، ص٤٦٩.

(٤) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٢، ص٤٤٨، والأصفهاني، **الأغاني**، ج٤، ص١٩٥.

(٥) البقرة: ١٩٧.

(٦) **مرداس بن أُدَيَّةَ، وهي جدته، وأبوه حُدير بن عمرو بن عبيد التميمي، شهد مع علي صفين فأنكر التحكيم**، وشهد مع الخوارج النهروان، ولعله أكبر شخصية أثار فقدها أعمق الأسى لدى الخوارج، وهو مثال الرجل الزاهد، وقتل عند آسك. ينظر: المبرد، **الكامل**، ج٣، ص١٠٨٣، وإحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٤٨.

(٧) إحسان عباس، **المرجع نفسه**، ص٥١.

كما وَصَفَ أبو بلال مرداس أصحابه المقاتلين بأنهم أصحاب التقى، فدعا الله تعالى أن يمنحه هذه الصفة لتكون زاداً له في طلب الشهادة. قال الشاعر في معرض رثائه لعبد الله بن وهب الراسبي وزيد بن حِصنٍ ومالك بن الوضاح من زعماء الخوارج الّذين استشهدوا في معركة النهروان[١]:

أَبَعْدَ ابْنِ وَهْبٍ ذِيْ النَّزَاهَةِ وَالتُّقَى ... وَمَنْ خَاضَ فِيْ تِلْكَ الْحُرُوْبِ الْمَهَالِكَا

أُحِبُّ بَقَاءً أَوْ أُرَجِّيْ سَلَامَةً ... وَقَدْ قَتَلُوْا زَيْدَ بْنَ حِصْنٍ وَمَالِكَا

فَيَا رَبِّ سَلِّمْ نِيَّتِيْ وَبَصِيْرَتِيْ ... وَهَبْ لِيْ التُّقَى حَتَّى أُلَاقِيْ أُولَئِكَا

وفي المعركة نفسها قال الأخنس العيزار[٢] واصفاً إخوانه المجاهدين[٣]:

وَآلَوْا إِلَى التَّقْوَى وَلَمْ يَتْبَعُوْا الْهَوَى ... فَلَا يُبْعِدَنَّ اللهُ مَنْ كَانَ شَارِيَا

يبدو أن الشّعراء لم يكثروا من ذكر هذه الفكرة ولم يفصّلوا الكلام فيها، لعل ذلك يعود إلى أن الإيمان الكامل بالله تعالى في لسان الشرع يلتقي مع تقوى الله الشاملة[٤] فاكتفوا بالتفصيل عن أحدهما.

المطلب الثّالث: نصرة دين الله تعالى

من دعائم النصر الأوّليّة أيضاً نصرة دين الله تعالى وتطبيق شرعه والتزام أوامره واجتناب نواهيه، لذا كرّر الله تعالى هذا المعنى في القرآن الكريم، فقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٥]، أي يا أهل الإيمان بالله تعالى والقرآن الكريم والإسلام إن تنصروا دين الله ينصركم على أعدائكم، ويثبّت أقدامكم عند القتال في مواطن الحرب، حتى تتحقق الغلبة والعزّة والتفوّق لكم وتكون كلمة الله هي العليا[٦].

---

(١) المبرد، **الكامل**، ج٣، ص١١٧٦-١١٧٧.

(٢) الأخنس العيزار الطائي كان من أشد فرسان الخوارج وممن شهد يوم صفين وقاتل فيه، وقتل يوم النهروان. ينظر: ابن أعثم، **كتاب الفتوح**، ج٤، ص٢٧٣.

(٣) ابن أعثم، **المصدر نفسه**، ج٤، ص٢٧٣، وإحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٣٣.

(٤) وعلى سبيل المثال لا الحصر يُنظر قوله تعالى: ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾ [البقرة:١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفّرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم﴾ [المائدة:٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ [الأعراف: ٩٦].

(٥) محمّد: ٧.

(٦) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٦، ص٨٨.

وتأكيداً لذلك وتقوية لقلوب المؤمنين المجاهدين ذكر الله تعالى جزاء الكافرين بعد الآية السابقة، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[١]، أي وللكافرين بالله تعالى وبرسالة محمّد ﷺ الخيبة والخزي والشقاء، وقد أبطل الله تعالى أعمالهم وأحبطها، فلا ثوابَ لهم ولا خيرَ يرتجى منها في الآخرة، فقوله تعالى: ﴿فَتَعْسًا لَهُمْ﴾، مقابل تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله ﷺ[٢].

وقال تعالى أيضاً: ﴿....وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٣].

ففي الآية الأولى وعد الله تعالى المؤمنين أنه ينصر من ينصره، وأقسم على هذا وأكّد قسمه، فكان تأكيداً بعد تأكيد حتى يزداد المؤمنون إيماناً بأن الله تعالى معهم في البأساء والضراء وحين البأس، معهم في الجهاد ومواطن الاستشهاد بتوفيقه وعونه، ورعايته وجنده، معهم في ذلك بهذا كله وغيره متى نصروا الله، فالله تعالى قويّ على كل ما يريده، فبقوّته خلق كل شيء وقدّره تقديراً، عزيز لا يمانعه شيء ولا يدافعه، فبعزته لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب، بل كل شيء ذليل لديه فقير إليه، ومن كان القويّ العزيز ناصره فهو المنصور وعدوّه هو المقهور[٤]، فالمؤمنون الصادقون والمتقون المخلصون والناصرون لدين الله حقّ النصر معهم أقوى أسلحة النصر ووسائله.

وبيّن الله تعالى في الآية الثانية بعض صفات هؤلاء الّذين ينصرون دين الله، وهم الّذين إذا مكّن الله لهم من التصرّف في شؤون أهل الأرض وولاية أحكامهم وقيادة أمورهم فإنهم يحافظون على القيام بهذه الأمور الأربعة؛ إقام الصلاة التي تطهّر النفس وتصفّي الروح وتغوص في الإنسان عزّة الإيمان وتدرّبه على النظام والطاعة، وتصل العبد بالربّ فيستهين بالحياة وما فيها. وإيتاء الزكاة التي تقوّي الصلات بين الأغنياء والفقراء وتطهّر الإنسان من رذيلة الشحّ وتغرس المودّة والمحبّة بين أفراد المجتمع وتعوّده على التعاون والبذل الذي يدعم وحدة الصفّ وقوّته. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للقضاء على الرذائل ونشر الفضائل وتكوين

---

(١) محمّد: ٨.

(٢) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٦، ص٨٨.

(٣) الحج: ٤٠-٤١.

(٤) ينظر: محمّد جمعة عبد الله، **وسائل النصر من القرآن والسنة**، ص٩٠-٩١.

المجتمع الفاضل، ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ مردّها ونهايتها، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم[١].

و في ضوء الآيات القرآنية السابقة، يردّد شعراء المسلمين في قصائد كثيرة وجهة المسلمين في القتال، إنها في سبيل الله كي يستقيم أمر الدين ويقضي على معالم الشرك والوثنية. يقول حسان بن ثابت[٢]:

أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّيْ غَيْرُ تَارِكِهِمْ ... حَتَّى يُنِيْبُوْا مِنَ الْغَيَّاتِ لِلرَّشَدِ

وَيَتْرُكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْزِلَةٍ ... وَيَسْجُدُوْا كُلُّهُمْ لِلْخَالِقِ الصَّمَدِ

وَيَشْهَدُوْا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُوْلُ لَهُمْ ... حَقٌّ وَيُوْفُوْا بِعَهْدِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ

ففي البيت الثاني استلهم الشاعر روح الآية الكريمة: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾[٣]، وفي البيت الثالث ترديد لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ....﴾[٤].

ويقول كعب بن مالك حين أجمع الرسول ﷺ السّير إلى الطائف يريد فتحها[٥]:

لِأَمْرِ اللهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى ... يَقُوْمَ الدِّيْنُ مُعْتَدِلاً حَنِيْفَا

وَتُنْسَى اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَوَدٌّ ... وَنَسْلُبُهَا الْقَلَائِدَ وَالشُّنُوْفَا

فَأَمْسَوْا قَدْ أَقَرُّوْا وَاطْمَأَنُّوا ... وَمَنْ لَا يَمْتَنِعْ يُقْتَلْ خَسُوْفَا

ومعنى الأبيات يشير إلى معنى قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ....﴾[٦].

---

(١) ينظر: محمّد جمعة عبد الله، **وسائل النصر من القرآن والسنة**، ص٩٢.

(٢) حسان بن ثابت، **ديوانه**، ج١، ص٢٨٤.

(٣) النجم: ٦٢.

(٤) النساء: ١٧٠.

(٥) كعب بن مالك، **ديوانه**، ص٢٣٧. الشنوف: جمع شنف وهو القرط الذي يكون في أعلى الأذن. الخسوف: الذل.

(٦) الأنفال: ٣٩.

و في معنى آية الأنفال السابقة يقول خالد بن الوليد بعد انتهاء فتوح الشام وإعـــزاز ديـــن الله[١]:

وَإِنَّـــا لَقَـــوْمٌ لَا يَكِـــلُّ سُـــيُوْفُنَا ... مِنَ الضَّرْبِ فِيْ أَعْنَاقِ رُوقِ الْكَتَائِبِ
سُـــيُوْفُ دَخَرْنَاهَـــا لِقَتْـــلِ عَدُوِّنَـــا ... وَإِعْزَازِ دِيْنِ اللهِ مِـــنْ كُـــلِّ خَـــائِبِ
فَتَلْنَـــا بِـــهَا كُـــلَّ الْبَطَـــارِقِ عَنْـــوَةً ... جَلَاءً لِأَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ كُـــلِّ جَـــانِبِ
إِلَىٰ أَنْ مَلَكْنَا الشَّامَ قَـــهْراً وَغِلْظَـــةً ... وَصُلْنَا عَلَـــى أَعْدَائِنَـــا بِـــالْقَوَاضِبِ

ويفخر بعض الشّعراء بانتصار المسلمين على أعدائهم، فيُرْجعون سبب ذلك الانتصار إلـــى نبل هدفهم في القتال وهو الـذود عن الدين بنصره[٢]، يقول النعمان بن المنذر[٣]:

وَإِنَّا لَقَـــوْمٌ فِـــي الْحُـــرُوْبِ لُيُوْثُـــهَا ... وَتَنفِـــرُ عَنَّـــا عِنْـــدَ ذَاكَ أُسُـــوْدُهَا
نُحَامِيْ عَنِ الدِّيْنِ الْقَوِيْـــمِ بِنصـــرَةٍ ... وَنُرغِـــمُ آنَـــافَ الْعِـــدَىٰ وَنَذُوْدُهَـــا
مَلَكْنَـــا بِـــلَادَ الشَّـــامِ ثُـــمَّ مُلُوْكَـــهَا ... إِلَىٰ أَنْ تَبَـــدَّىٰ بِالنِّكَـــالِ عَدِيْدُهَـــا[٤]

لعل الشاعر في البيت الثاني يتذكّر وعد الله تعالى بـــالنصر لمـــن ينصـــره فـــي قولـــه: ﴿....وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٥].

ومن معاني نصر دين الله امتثال أوامر الله، ومن تلك الأوامر إيتاء الزكاة وطاعـــة أولـــي الأمر، و في هذا المعنى يقول زياد بن لبيد البياضي في محاربة المرتدّين من أهل كندة[٦]:

نُقَـــاتِلُكُمْ فِـــــي اللهِ وَاللهُ غَـــالِبٌ ... عَلَىٰ أَمْرِهِ حَتَّىٰ تُطِيْعُـــوْا أَبَـــا بَكْـــرِ
وَحَتَّىٰ تَقُوْلُـــوْا بَعْـــدَ خِـــزْيٍ وَذِلَّـــةٍ ... رَضِيْنَا بِإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ عَلَى الْقَسْـــرِ

---

(١) الواقدي، **فتوح الشام**، ج٢، ص١٢٠. الروق: جمع أروق وهو الفرس الذي يمد الفارس بين أذنيه الرمـــح. البطارق: جمع بطريق وهو القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل. العنوة: القهر.

(٢) وفي هذا المعنى يقول خالد بن الوليد وقتادة بن أيشم الكناني وعمار بن ياسر. ينظر: عبد الله بـــن حـــامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص١٦٦، و١٦٧، و١٧٧.

(٣) النعمان بن المنذر مجاهد شجاع، شارك المسلمين في فتح قرقيسيا، وقتل ملكها شهرياض. ينظر: الواقـــدي، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١١٤.

(٤) الواقدي، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١١٤. وعبد الله بن حامد الحامد، **المرجع نفسه**، ص٢٨٨.

(٥) الحج: ٤٠.

(٦) الواقدي، **كتاب الردة**، ص١٧٣.

وَحَتّـــى تَقُولُـــوْا بَعْـــدَ كُفْـــرٍ وَرِدَّةٍ بِأَنَّا أُنَـــاسٌ لَا نَعُـــوْدُ إِلَـــى الْكُفْـــرِ

يبدو أن الشاعر في البيت الأوّل يطلب من المرتدّين العودة إلى طاعة الخليفة أبـــي بكـــر الصديق أولي أمور المسلمين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ....﴾[١]، كما أن البيت الثاني مشتقّ من قوله جلّ جلاله: ﴿....وَآتُوا الزَّكَاةَ....﴾[٢].

وقد تعالـــت أصـــوات بعـــض الشّـــعراء تعبّـــر عـــن جهـــادهم في ســـبيل الغـــاية المثلى التي يناضـــلون لأجلهـــا، والتـــي يجسّـــمونها في قولـــهم أبـــداً: "لا حكـــم إلاّ لله" انطلاقـــاً من قوله تعالى: ﴿....إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ....﴾[٣]، فمن اتّبع الحقّ آزروه ونصـــروه، ومن جار وابتعد عن النهج القويم فلا بدّ من تقويمه بحدّ السيف، وفي هذا الصدد يقـــول فـــروة بـــن نوفل[٤]:

نُقَـــاتِلُ مَـــنْ يُقَاتِلُنَـــا وَنَرْضَـــى بِحُكْـــمِ اللهِ لَا حُكْـــمِ الرِّجَـــالِ[٥]

ويقول عبيدةُ بنُ هلال اليشكري[٦] حين هدّد عمـــرُو بـــنُ عبـــدِ الله التميمـــي الأزارقـــةَ بمحاربتهم[٧]:

فَلَسْـــنَا بِأنكـــاسٍ قِصـــارٍ رِمَاحُنَـــا وَلَا نَحْنُ نَخْشَـــى وَثْبَـــةَ المتوثـــبِ

وَلَكِـــنْ نَقُـــوْلُ الحُكْـــمُ لِلهِ وَحْـــدَهُ وَبِـــاللهِ نَرْضَـــى وَالنَّبِـــيِّ الْمُقَـــرَّبِ

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) البقرة: ٤٣.

(٣) الأنعام: ٥٧.

(٤) فروة بن نوفل الأشجعي من شعراء الخوارج، لما بلغه أمر الصلح بين الحسن ومعاوية وولاية معاوية، قـــال لأصحابه: "قد جاء من لا نرتاب بأن الحق في قتاله"، وأقبل فنزل النخيلة، فندب معاوية أهل الكوفة لقتاله، فجـــاءه قومه وأدخلوه الكوفة وحبسوه، ثمّ هرب من حبسه، وخرج على المغيرة بن شعبة فقاتله وقتل فروة وأصحابـــه. إحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٤٢-٤٣، ويحيى شامي، **موسوعة شعراء العرب**، ط١، دار الفكر العربـــي، بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص٢١٤.

(٥) المقدسي، مطهّر بن طاهر (ت٣٢٢هـــ)، **البدء والتاريخ**، مطبعة برطرند، مدينـــة شـــالون، ١٩١٦م، ج٥، ص١٣٧.

(٦) عبيدة بن هلال اليشكري من شعراء الخوارج، وكان في أصحابه من الدين والجهاد بمكـــان، لـــه مواقـــف مشهورة في حروب الخوارج والمهلب، وهو الذي صرع المغيرة بن المهلب. يحيى شامي، **المرجـــع نفســـه**، ج١، ص٣٦٣، وإحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٩١.

(٧) إحسان عباس، **المرجع نفسه**، ص٩٤.

ويبيّن الأخنس العيزار الطائي وجهة إخوانهم في القتال، فيقول[١]:

يُنَادُوْنَ لَا لَا حُكْمَ إِلاَّ لِرَبِّنَا حَنَانَيْكَ فَاغْفِرْ حَوْبَنَا وَالْمَسَاوِيَا

فهذه هي عوامل النصر الأوّلية التي يجب أن يكون عليها المجاهدون ليقبلوا على الجهاد وبأيديهم سلاح لا يفلّ، وفي عقولهم فكر سديد، وفي قلوبهم عقيدة لا تتزعزع بأن النصر ليس راجعاً إلى قوّتهم وشجاعتهم وسلاحهم وتدبيرهم بل هو راجع إلى الله تعالى وإلى عونه وتوفيقه وتأييده.

---

(١) ابن أعثم، **كتاب الفتوح**، ج٤، ص٢٧٣.

المبحث الثاني

عوامل النصر عند اللقاء

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأوّل: الصبر والمصابرة.

المطلب الثاني: الإخلاص.

المطلب الثّالث: طاعة الله ورسوله.

المطلب الرابع: الإيمان بحتمية الموت.

المطلب الخامس: التوكل الكامل على الله تعالى.

المطلب السادس: الإكثار من ذكر الله والدعاء.

المطلب السابع: الإمداد بالملائكة.

المطلب الأوّل: الصبر والمصابرة

القتال في سبيل الله من أشقّ التكاليف الشرعية، ولا بد من الصبر على مقارعة الأبطال، وتحمّل أهوال المعركة للظفر بالنصر والفوز بالأجر. وقد قدّم الله ﷻ الأمر بالصبر على الأمر بالرباط لينبّه على أهمية الصبر، وأنه لا بد منه في الجهاد والرباط[١].

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]، فهذه الآية الكريمة تدعو المؤمنين إلى الصبر على طاعة الله تعالى، ومصابرة أعداء الله في الجهاد، بأن يغالبوهم في الصبر على شدائد القتال وأن لا يكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً. وأمرَ الله المؤمنين بالمصابرة بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصاً لشدتها وصعوبتها[٣].

ووعد الله تعالى الصابرين بالعون والتأييد في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٤]، فهذه الآية تدعو المؤمنين إلى طلب المعونة على إقامة دينهم والدفاع عن الإسلام وبلاده والجهاد في سبيل الله وعلى كل ما يشق عليهم من شؤون الحياة بالصبر وتوطين النفس على احتمال المكاره، وبالصلاة التي تكبر بها الثقة بالله وتسهل بمناجاته فيها كل مشاقّ الحياة، والآية الكريمة أطلقت ما يستعان عليه بالصبر والصلاة فيشمل كل ما يشقّ من جميع أمور الحياة وشؤونها، وتبيّن الآية أيضاً أن الله تعالى ناصر الصابرين مجيب دعائهم ومفرّج كروبهم[٥].

وبيّن الله ﷻ أنه يحب الصابرين ولا يتخلى عنهم، قال تعالى: ﴿...وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٦]، كما بشّرهم بالنصر ولو كانوا أقلّ من عدوهم عدداً وعدّة، فقال سبحانه: ﴿...كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٧]. فالمؤمنون معرضون لمكائد الأعداء ومؤامراتهم، ولقد مرّ بأهل الحق من المؤمنين الأوّلين ضروب من الشدّة والعذاب وأحاطت بهم المصائب والنوائب

---

(١) ينظر: عمر أحمد عمر، **الجهاد في سبيل الله**، ص٢١٥.

(٢) آل عمران: ٢٠٠.

(٣) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٤٨٨-٤٨٩، وعبد القادر بن عبد العزيز، **العمدة في إعداد العدة**، ص٣٨٢.

(٤) البقرة: ١٥٣.

(٥) ينظر: محمّد جمعة عبد الله، **وسائل النصر من القرآن والسنة**، ص١٠٢.

(٦) آل عمران: ١٤٦.

(٧) البقرة: ٢٤٩.

من كل جانب وتكالبت عليهم الفئات الشريرة والمنافقون والمشركون وكان مصيرهم في كفة القدر لكنهم ما وهنوا لما أصابهم ولا استكانوا ولا عرف اليأسُ إلى قلوبهم سبيلاً بل صبروا وثبتوا وضحّوا بأرواحهم وأنفسهم وأموالهم في سبيل الله حتى جاء الحقّ وظهر أمر الله وعلت كلمته فكانت العليا، وزهق الباطل ودنت كلمته فكانت السفلى.

وقد تناول الشّعراء من معاني الآيات السابقة وضمّنوها أشعارهم لبيان أهميّة الصبر والمصابرة في مقاومة الأعداء لإحراز النصر عليهم.

يقول كعب بن مالك موضّحاً دور الرجال الّذين ساروا للقاء أعدائهم صابرين غير هيابين ولا وجلين يوم بدر(١):

فَلَمَّا لَقِيْنَاهُمْ وَكُلٌّ مُجَاهِدٍ ... لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرُ

والصبر ساعة البأس والشدّة والكرب من تمام الشجاعة التي حلّى بها كعب بن مالك جيد قومه، فنوّه بصبرهم وجَلَدهم، وأبرز الصبر فيهم سجية قديمة وعادة متوارثة وطبعاً أصيلاً، وليس خليقة مكتسبة أو متكلّفة، فيقول يوم أحد(٢):

أَلاَ أَبْلِغَا فهراً عَلَى نَأْيِ دَارِهَا ... وعِنْدَهُمُ مِن عِلمِنَا اليَوْمَ مَصْدَقُ

بِأَنَّا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبٍ ... صَبَرْنَا وَرَايَاتُ الْمَنِيَّةِ تَخْفِقُ

صَبَرْنَا لَهُمْ وَالصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةٌ ... إِذَا طَارَتِ الْأَبْرَامُ نَسْمُوْ وَنَرْتَقُ

عَلَى عَادَةٍ تلكمْ جَرَيْنَا بِصَبْرِنَا ... وَقدماً لَدَى الْغَايَاتِ نَجْرِيْ فَنَسْبِقُ

فكأن الشاعر بقوله هذا يتذكّر قوله تعالى في مدح الصابرين وقت الشدّة والضرر وأثناء القتال مع الأعداء: ﴿....وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٣).

ومن تنويه كعب بصبر قومه أيضاً هذا المطلع المثير والاستهلال البارع الذي بدأ به قصيدته النونية التي يردّ فيها على ضرار بن الخطاب يوم الخندق، فيقول(٤):

وَسَائِلَةٍ تُسَائِلُ مَا لَقِيْنَا ... وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِيْنَا

---

(١) كعب بن مالك، **ديوانه**، ص٤٧. مستبسل النفس: موطّنها للموت.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٤٤. السفح: جانب الجبل. تخفق: تضطرب وتتحول. السجية: العادة. الأبرام: اللئام. نرتق: نسد ونصلح.

(٣) البقرة: ١٧٧.

(٤) كعب بن مالك، **المصدر نفسه**، ص١٠٥.

صَبَرْنَا لَا نَرَى لِلهِ عِدْلاً عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا

فقد خاض المسلمون المعركة صابرين صبرَ أصحاب العقيدة الّذين لا يرون لله تعالى نِدّاً ولا شريكاً ﴿....لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١]، صبرَ المؤمنين المتوكلين على ربهم ﴿....وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٢].

ويقول العباس بن مرداس في مقاتلة قومه بني سليم مشيراً إلى صبرهم يومَ حنين بزعامة فارسهم الضحّاك بن سفيان[٣]:

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنٌ إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالنُّفُوسِ الْأَضَالِعُ

صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لَا يَسْتَفِزَنَا قِرَاعُ الْأَعَادِيْ مِنْهُمُ وَالْوَقَائِعُ

وجاهد عُروة بن الورد[٤] في القادسية جهاد الأبطال المغاوير الثابتين يوم الجزع غير مستخفّين ولا متأخّرين، فسجّل صبره وجهاده، وحمد ربّه على نعمائه، وللتأكيد على أهميّة الاستمساك بالصبر لتحقيق النصر كرّر لفظة "الصبر"، فيقول[٥]:

صَبَرْتُ لِأَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ مُعْلِماً وَمِثْلِيْ -إِذَا لَمْ يَصْبِرِ الْقِرنُ- يَصْبِرُ

حَمَدْتُ إِلَهِيْ إِذْ هَدَانِيْ لِدِينِهِ فَلِلّٰهِ أَسْعَى مَا حَيِيْتُ وَأَشْكُرُ

ويتغنى مالك بن الريب[٦] بفروسيته وفُتُوّته وصبره قبل أن يسقمه المرض ويقهره الموت، فقد كان يصبر في اللقاء إذا احتدم الصراع، يقول[٧]:

---

(١) الشورى: ١١.

(٢) المائدة: ١١.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٦٤، والعباس بن مِرْداس، **ديوانه**، ص٨١. لا يستفزنا: لا يستخفنا.

(٤) عروة بن الورد فارسٌ من فرسان المسلمين يوم القادسية. ينظر: الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص١٢٥.

(٥) الدينوري، **المصدر نفسه**، ص١٢٥.

(٦) مالك بن الريب التميمي: شاعر ظريف فاتك، كان من قطاع الطرق، ثمّ تابَ وغزا خراسان مع سعيد بن عثمان بن عفان، فشهد فتح سمرقند، ومرض في مرو، ولما أحسّ بالموت قال قصيدته اليائية المعروفة، وكانت وفاته حوالي سنة ٦٠ للهجرة. الأصفهاني، **الأغاني**، ج٢٢، ص٢٨٨، وعبد العزيز بن محمّد الزير ومحمد بن عبد الله الأطرم، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص٣٧.

(٧) القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ)، **ذيل الأمالي والنوادر**، ط٣، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ، ص١٣٦. القِرن: الكفء في الشجاعة. الواني: المقصر أي أنه يحجم عن شتم أبناء عشيرته.

أَلَمْ تَرَنِيْ بِعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَأَصْبَحْتُ فِيْ جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا

إلى أن يقول:

وَقَدْ كُنْتُ صَبَّاراً عَلَى الْقِرْنِ فِي الْوَغَى وَعَنْ شَتْمِيَ ابْنَ الْعَمِّ وَالْجَارَ وَانِيَا

وأما الشاعر أعشى همدان[١] فقد أغزاه الحجاج ببلاد الدَّيْلَم ونواحي دَسْتَبَى فأسر، وظل مدّة أسيراً في أيدي الدَّيْلَم حتى هرب بمساعدة إحدى بنات الأعداء، فقال قصيدة أوصى فيها بالصبر في مواجهة كل مصيبة قائلاً[٢]:

وَإِذَا تُصِبْكَ مِنَ الْحَوَادِثِ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ فَكُلُّ مُصِيْبَةٍ سَتَكَشَّفُ

فالشاعر بقوله هذا يردد قوله سبحانه: ﴿....وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ...﴾[٣].

ويفخر قطري بن الفجاءة المازني بصبر إخوانه المجاهدين في مواجهة فرسان المهلّب، فيقول[٤]:

نُجَاهِدُ فُرْسَانَ الْمُهَلَّبِ كُلَّنَا صبورٌ عَلَى وَقْعِ السُّيُوْفِ الْبَوَاتِرِ

من الملاحظ أن الشّعراء قد أكثروا من الحديث عن الصبر والمصابرة كما أوصى بهما الله تعالى المسلمين، لأن الأعمال الفردية والجماعية العظيمة لا تحقّق ثمارها إلاّ بالثبات والكفاح الدائم، وعدّة ذلك كله الصبر، فكأن الشّعراء بل كل المؤمنين المجاهدين نقشوا في قلوبهم الآية الكريمة التي تحث على الصبر والاستعانة به في مواجهة شدائد الجهاد في سبيل الله وأهواله، فيعرضونها دائماً على عقولهم، متدبّرين فيها، متفهّمين مراميها.

---

(١) أعشى همدان هو عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني، شاعر اليمن بالكوفة وفارسهم في عصره، كان أحد الفقهاء القراء، وله غزوات في الديلم أيام الحجاج، وقال في غزواته شعراً كثيراً، وخرج على الحجاج مع ابن الأشعث، فلماانهزم ابن الأشعث أمر به الحجاج فضربت عنقه، وكان ذلك سنة ٨٣ للهجرة. الأصفهاني، **الأغاني**، ج٦، ص٤١، والزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص٨٤.

(٢) الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ج٦، ص٤١.

(٣) لقمان: ١٧.

(٤) إحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص١٢٠.

المطلب الثاني: الإخـــــلاص

الإخلاص هو قصد الله تعالى وحده لا شريك له بالعبادة بالتبري مـــن كـــل مـــا دون الله، وتخليص القصد والنية من كل غرض دنيوي، فالإخلاص هو تخليص النية والعمل من شـــوائب الشرك(١).

ولقد قرن الله تعالى العبادة بالإخلاص في كثير من الآيات القرآنية للدلالة على أن العبـــادة مع علوّ شأنها وعظيم فضلها لا تكون مقبولة عند الله إلاّ بالإخلاص(٢)، قال ســـبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾(٣)، وقال سبحانه أيضـــاً: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾(٤).

وإنما شرط الله تعالى الإخلاص لقبول الطاعات لأن الله ﷻ يريد أن يباعد بين المؤمنيـــن وبين الرياء والنفاق والمخادعة، وأنه يريد منهم الطهر الخالص والصفـــاء الخـــالص والجمـــال الخالص، فلا يخادعون أنفسهم ولا يخادعون الناس، ويريدهم أن يكونوا متّصلين به في أعمالـــهم حتى يكون الله تعالى لهم عوناً وسنداً(٥).

فالإخلاص لله تعالى في الجهاد والقيام به احتساباً له يدفع المجاهد إلى بذل كل مقدوراتـــه ومنتـــهى طاقاته ليحصل على إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، ومتى تضافرت قـــوى المجـــاهدين علـــى ذلـــك تحقق النصر للكل بأمر الله، والشهادة لبعضهم، ولذا قال الله تعالى محذّراً من البطر والكبريـــاء والعجـــب والخيلاء والصدّ عن سبيل الله، وداعياً إلى الجهاد خالصـــاً لوجـــه الله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(٦).

---

(١) عبد القادر بن عبد العزيز، **العمدة في إعداد العدة**، ص١٣، وينظر: سعيد حوّى، **المستخلص فـــي تزكيـــة الأنفس**، ط٧، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٦٦، وحسن البنا، "رسالة التعاليم"، في **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، دار الشهاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٣٥٩، والشوكاني، محمّد بن علي (ت١٢٥٥هـــ)، **نيـــل الأوطار**، تحقيق وهبة الزحيلي، ط٢، دار الخير، دمشق، ١٩٩٨م، ج٧، ص٢٣٥.

(٢) ينظر: عبد الله غوشة، **الجهاد طريق النصر**، ص٧٩، ومحمد يوســـف الجـــاهوش، "الجـــهاد... بالنيـــة"، **المجتمع**، العدد ١٤١٢، الكويت، ٢٠٠٠م، ص٥٦.

(٣) الزمر: ٢.

(٤) البينة: ٥.

(٥) عبد الله غوشة، **المرجع نفسه**، ص٨٠.

(٦) الأنفال: ٤٧.

بيّن الله تعالى في هذه الآية عاملاً من عوامل النصر، وهو على المسلمين المجـــاهدين أن يمتثلوا ما أمروا به وينتهوا عما نُهوا عنه، وأن لا يكونوا كأعدائهم المشركين الّذين خرجوا مـــن ديارهم في مكّة وغيرها من الأماكن التي استنفروا منها بطرين بما أوتوا من قوة ونعم، مرائيـــن الناس بها ليعجبوا بها ويثنوا عليهم بالغنى والقوة والشجاعة والفتوة، وهم بخروجهم هذا يصدّون عن سبيل الله وهو الإسلام، بحملهم الناس على عداوة الرسول ﷺ وصدّهم عن دعوته والحيلولة بينه وبين تبليغ رسالته، وتعذيب من أجابها إذا لم يكن لهم من يمنعهم ويحميهم مـــن قرابـــة أو حلف أو جوار، والله عليم بما جاءوا لأجله وهو مجازيهم عليه في الدنيا والآخرة بمقتضى سننه في ترتيب الجزاء على الأعمال وصفات النفوس(١).

وفي هذا زجر وتهديد على البطر والعجب والخيلاء، والله سيجزيهم على ذلك أشد الجزاء، وأمرهم بالتقوى والإخلاص، لأن النهي عن الشيء مستلزم الأمر بضده(٢).

وقد حاول الشّعراء تصوير مدى إخلاص المجاهدين في القتال، فبيّنوا أن جهادهم ليس إلاّ ابتغاء مرضاة الله، يقول كعب بن مالك في معرض رثائه لحمزة بن عبد المطلب(٣):

فَقَـدْ كَـــانَ عِـــزاً لِأَيْتَامِنَـــا وَلَيْـــثَ الملاحـــم فـــي الـــبِزَّةِ

يُرِيـْـدُ بِـــذَاكَ رِضَـــا أَحْمَـــدٍ وَرِضْـــوَانَ ذِي الْعَـــرْشِ وَالْعِـــزَّةِ

فالبيت الثاني ترديد لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(٤)، أو قوله سبحانه في بيان أن من كان مؤمناً فليرض الله تعالى ورسوله ﷺ: ﴿....وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٥).

و في ضوء هذه الآية يقول العباس بن مرداس في جهاد قومه بني سليم في يوم حنين(٦):

---

(١) ينظر: محمّد جمعة عبد الله، **وسائل النصر من القرآن والسنة**، ص١٠٦، ووهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٠، ص٢٩.

(٢) محمّد جمعة عبد الله، **المرجع نفسه**، ص١٠٦.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٥٨. الملاحم: جمع ملحمة، وهي الحرب التي يكـــثر القتـــل فيـــها. البزة: السلاح أو الهيئة في الحرب.

(٤) البقرة: ٢٠٧.

(٥) التوبة: ٦٢.

(٦) العباس بن مرداس، **ديوانه**، ص٨٩-٩٠. الحلف: المحالفة، وهو أن يحالف القبيل على أن يكونوا يدا واحدة في جمع أمورهم. الهام: الرؤوس. نقطف: نقطع. ملحب: مقطع اللحم.

وَسَوْفَ يُنَبِّيْهَا الْخَبِيْرُ بِأَنَّنَا ... أبينا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبِّنَا حِلْفَا

إلى أن يقول:

بِبِيْضٍ نُطِيرُ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا ... وَنَقْطِفُ أَعْنَاقَ الْكُمَاةِ بِهَا قَطْفَا

فكائن تَرَكْنَا مِنْ قتيلٍ مُلَحَّبٍ ... وَأَرْمَلَةٍ تَدْعُوْ عَلَى بَعْلِهَا لَهْفَا

رِضَا اللهِ نَنْوِيْ لَا رِضَا النَّاسِ ... وَلِلّٰهِ مَا يَبْدُوْ جَمِيْعاً وَمَا يَخْفَى

وقد صرّح الشّعراء المجاهدون في أشعارهم أيضاً بأنهم لا يبتغون من وراء القتال ثروة الدنيا وزخرفها، فقد باعوا كل شيء فيها بثواب الله، برغم ما تدفعه الدنيا إليهم من كنوزها، فلا يغريهم كل هذا، لأنهم في سبيل الله وحده، وما قيمة الدنيا والمنايا فاغرة أفواهها محدّقة بهم من كل جانب، فهذه الفكرة مستمدة من عشرات الآيات القرآنية التي تحث المسلمين على الجهاد في سبيل الحق والعدالة، كقوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١]، يقول عروة بن زيد الخيل الطائي[٢] وهو يخوض غمار معارك القادسية متأثراً بهذه الآية الكريمة[٣]:

وَأَصْبَحَ هَمِّيْ فِي الْجِهَادِ وَنِيَّتِيْ ... فَلِلّٰهِ نَفْسٌ أَدْبَرَتْ وَتَوَلَّتْ

فَلَا ثَرْوَةَ الدُّنْيَا نُرِيْدُ اكْتِسَابَهَا ... أَلَا إِنَّهَا عَنْ وَفْرِهَا قَدْ تَجَلَّتْ

وَمَاذَا أُرَجِّيْ مِنْ كُنُوْزٍ جَمَعْتُهَا ... وَهٰذِي الْمَنَايَا شُرَّعاً قَدْ أَظَلَّتْ

كما صوّر بشير بن عبد الله[٤] جهاد ثابت بن قيس بن شمّاس الأنصاري يوم اليمامة وكان خطيب الرسول ﷺ والأنصار، فقال[٥]:

يَمْضِيْ إِلَى اللهِ قَدْماً لَا يُرِيْدُ بِهِ ... دُنْياً وَلَا يَبْتَغِيْ حَمْداً مِنَ النَّاسِ

---

(١) النساء: ٧٤.

(٢) عروة بن زيد الخيل بن مهلهل: قائد شاعر، من رجال الفتوح في صدر الإسلام، عاش مدة في الجاهليّة، وأسلم، ثمّ عاش إلى خلافة علي وشهد معه صفين. الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص١٧-١٨.

(٣) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص١٣٨.

(٤) بشير بن عبد الله الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج، استشهد يوم اليمامة سنة ١٢ للهجرة، بعد أن أبلي أحسن بلاء. ينظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج١، ص٢٥٥.

(٥) الواقدي، **كتاب الردة**، ص١٣٢. الذي قد كان أمّله: الشهادة في سبيل الله.

حَتَّى أَصَابَ الَّذِيْ قَدْ كَانَ أَمَّلَهُ أَعْظِمْ بِمَا نَالَهُ الْمَرْءُ ابْنُ شَمَّاسِ

ويتغنّى بعض الشّعراء بما أعدّ الله تعالى للمجاهدين من ثواب وأجر ودخول الجنة يوم الجزاء وهو الفوز العظيم، فكأنهم يشهدون الجنة بين أسنّة الرماح وعوالي السيوف، وقد تمثّلت في أذهانهم الآية الكريمة: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١]، يقول جُنْدُبُ بْنُ عَامِرِ بنِ الطفيل[٢] قبل استشهاده بدقائق معدودة في يوم اليرموك[٣]:

سَأَبْذُلُ مُهْجَتِيْ أَبَداً لِأَنِّيْ أُرِيْدُ الْفَوْزَ مِنْ رَبٍّ كَرِيْمِ
وَأَضْرِبُ فِي الْعِدَا جَهْدِيْ بِسَيْفِيْ وَأَقْتُلُ كُلَّ جَبَّارٍ لَئِيْمِ
فَإِنَّ الْخُلْدَ فِي الْجَنَّاتِ حَقٌّ تُبَاحُ لِكُلِّ مِقْدَامٍ سَلِيْمِ

ويصف جروة بن يزيد[٤] المجاهدين المخلصين في قتال التُّرك، فيقول[٥]:

يَرَوْنَ عَلَيْهِمْ لِلّهِ حَقّاً مُقَارَعَةَ الطَّمَاطِمَةِ الطِّغَامِ
يُرِيْدُوْنَ الْمَثُوْبَةَ مِنْ إِلٰهٍ بَصِيْرٍ تَحْتَ قَسْطَالِ الْقَتَامِ
وَكُلُّهُمْ يُرَادِي التُّرْكَ قِدْماً وبحوي مُنْفِساً فِيْ كُلِّ عَامِ
وَيَرْجُو اللهَ لَا يَرْجُوْ سِوَاهُ وَرَاجِي اللهِ يَرْجِعُ بِالسَّلَامِ

---

(١) التوبة: ٨٨-٨٩.

(٢) جندب بن عامر بن الطفيل كان يجاهد مع أبيه يوم اليرموك واستُشْهِدا فيه على يد جبلة بن الأيهم، وكان شجاعاً نجيباً، ينظر: الواقدي، **فتوح الشام**، ج١، ص٢١٠.

(٣) الواقدي، **المصدر نفسه**، ج١، ص٢١٠، وعبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص١٦٧-١٦٨. العداء: الشوط الواحد من العدو. السليم: الجريح المشفي على الهلكة.

(٤) جروة بن يزيد الطائي نزل خراسان، وقاتل فيها الترك سنين طويلة، وكان سخياً شجاعاً كثير الغزوة وعمّر طويلاً حتى استشهد في غزو الترك سنة ١١٢ للهجرة. السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمّد بن عثمان (ت٢٥٠هـ)، **المعمّرون والوصايا**، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م، ص٦٧.

(٥) السجستاني، **المصدر نفسه**، ص٦٩، الطماطمة: الأعاجم، الطغام: الأوغاد، القسطال: الغبار، يراديهم: يطلب رداهم، المنفس: نفيس المال وخياره.

وما دام المجاهدون إنّما يبتغون فضل الله ورضاه فهم جنوده في الأرض وأنصاره، يقول سبحانه: ﴿....وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[١]، وبهذا يقول زياد بن حنظلة[٢] ذاكراً فتح الشام مسمّياً جنود المسلمين الفاتحين بجنود الله[٣]:

تَذَكَّرْتُ حَرْبَ الرُّوْمِ لَمَّا تَطَاوَلَتْ ... وَإِذْ نَحْنُ فِيْ عَامٍ كَثِيْرٍ نَزَائِلُهْ

وَإِذْ نَحْنُ فِيْ أَرْضِ الْحِجَازِ وَبَيْنَنَا ... مسيرةُ شَهْرٍ بَيْنَهُنَّ بَلَابِلُهْ

وَإِذْ أَرْطَبُوْنُ الرُّوْمِ يَحْمِيْ بِلَادَهُ ... يُحَاوِلُهُ قَوْمٌ هُنَاكَ يُسَاجِلُهْ

فَلَمَّا رَأَى الْفَارُوْق أَزْمَانَ فَتْحِهَا ... سَمَا بِجُنُوْدِ اللهِ كَيْمَا يُصَاوِلُهْ

وعلا صوتُ امرأة من بني سليط مُرَدِّداً مدى إخلاص المجاهدين في القتال، فتقول[٤]:

فَكُلُّهُمْ قَدْ جَادَ لِلهِ مُخْلِصاً ... بِمُهْجَتِهِ عِنْدَ الْتِقَاءِ الْعَسَاكِر

من هنا اتضح أن الشّعراء قد حاولوا من خلال أشعارهم توضيح أهمية إخلاص النية في الجهاد، فهو حبل الرجاء الذي يربطه أصحابه بمدد السماء، ويقوّي عزائمهم على المضي في خوض المعارك، مستشعرين لطف الله وتأييده، وهذا الرجاء الصادق هو السبب الرئيسُ في التفوق والتغلّب على الأعداء، إنه السلاح الفعّال الذي أحرزه المؤمنون وخلت منه ذخيرة العدو[٥].

المطلب الثّالث: طاعة الله ورسوله ﷺ

طاعة الله ورسوله سبب للنصر ومفتاح لكل خير، وإن معصية الله ورسوله سبب للضلال والخسران، وإن النصر ليتأخر عن المؤمنين بسبب تقصيرهم في شيء ممّا يأمر به الله

---

(١) الفتح: ٤.

(٢) زياد بن حنظلة التميمي له صحبة، وهو الذي بعثه الرسول ﷺ إلى قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر ليتعاونوا على مسيلمة الكذاب وطليحة والأسود، ، وقد عمل للرسول ﷺ، وكان منقطعاً إلى علي ﷺ وشهد معه مشاهده كلها. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٢، ص١٠٦. وينظر: إميل بديع يعقوب، **المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ج١، ص٩٤ و١٠٥.

(٣) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٦١٢-٦١٣.

(٤) إحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٥٣.

(٥) ينظر: محمّد يوسف الجاهوش، "الجهاد... بالنية"، **مرجع سابق**، ص٥٦.

ورسوله أو ترك شيء من السنن والمندوبات[١]. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ....﴾[٢]، فالرسول ﷺ هو القائد الأعظم في القتال، فطاعته جماع النظام، والنظام ركن من أركان الظفر، وهو المشارك للمؤمنين في الرأي والتدبير والاستشارة في الأمور، فعلى المؤمنين طاعة الله ورسوله في كل ما يأتون وما يذرون، ففي ذلك الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

كما أن طاعة الله والرسول من عوامل النصر فكذلك طاعة الإمام وأولي الأمر والقائد كما بيّنته الآية السابقة، لأن الطاعة من أهم أسباب اجتماع كلمة المسلمين ووحدتهم، ففي طاعتهم حسم لاختلاف الآراء التي تؤدي إلى التنازع والشقاق وذهاب الشوكة، وقد نهى الله تعالى عن المعصية والنزاع بعد أمره بطاعته وطاعة رسوله في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣].

وطاعة الإمام وأولي الأمر والقائد التي يأمر بها الإسلام هي الطاعة المنبثقة من طاعة الله ورسوله، وليست الطاعة الصمّاء فحسب، فيجب على الإمام وأولي الأمر والقائد أن يكونوا أنفسهم طائعين لله في كل أحوالهم مستقيمين في سيرهم وأخلاقهم بعيدين عن كل ريبة أو شك[٤].

ومما يؤيد أن طاعة القائد سلاح مهمٌّ في تحقيق النصر، ومخالفته سبب أساسي في الهزيمة ما حدث في غزوة بدر وغزوة أحد؛ ففي غزوة بدر نفّذت أوامر القائد الأعظم ﷺ بدقة وعناية فكان النصر للمسلمين، وفي أُحُد خولفت أوامره ونسيت التعليمات فحلّت الهزيمة التي كادت أن تقضي على المسلمين[٥]، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

---

(١) ينظر: عمر أحمد عمر، **الجهاد في سبيل الله**، ص٢٢٠.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) الأنفال: ٤٦.

(٤) ينظر: محمّد بن ناصر الجعوان، **القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته**، ط٢، مطابع المدينة، الرياض، ١٩٨٣م، ص٥٣، وعبدالكريم زيدان، **المفصل في أحكام المرأة**، ج٤، ص٤٣١.

(٥) ينظر: حسين الحسني، **النصر في القرآن**، ط١، دار المجتبى، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٢١، ومحمد جمعة عبد الله، **وسائل النصر من القرآن والسنة**، ص٩٨.

(٦) آل عمران: ١٥٢.

وقد صوّر الشّعراء في وضوح قتالهم في سبيل الله، إنّما هو في سبيل طاعتهم لأمـــر الله، وفي هذا المعنى يقول زهير بن عبد شمس البجلي[١] في معرض فخره بنصـــر المســلمين يـــوم القادسية وبقتل عظيم الفرس[٢]:

أَنَـا زُهَـيْرٌ وَابْـنُ عَبْـدِ شَـمْسِ أرديـتُ بِالسَّـيْفِ عَظِيْـمَ الْفُـرْسِ
رُسْـتُمَ ذَا النَّخْـوَةِ وَالدِّمَقْـسِ أَطَعْـتُ رَبِّـيْ وَشَـفيتُ نَفْسِـيْ

وفي الحادثة نفسها يصوّر شاعر آخر بلاءه وبلاءَ قومِهِ فيها، ويشيد بـأحد القـواد الـذي اندفع عقب القادسية لغزو قرى السّواد وفارس في حماسٍ رائع، ولا همَّ له إلاّ الجـهاد وطاعـة الرحمن، فيقول[٣]:

والقادسـية حَيْـثُ زَاحَـمَ رُسْـتُمُ كُنَّـا الْحُمَـاةَ بِـهِنَّ كَالْأَشْـطَانِ
الضَّـارِبِيْنَ بِكُـلِّ أَبْيَـضَ مِخْـذَمٍ وَالطَّـاعِنِيْنَ مَجَـامِعَ الْأَضْغَـانِ
وَمَضْـى رَبِيْـعٌ بِـالْجُنُوْدِ مُشَـرِّقاً يَنْوِي الْجِـهَادَ وَطَاعَـةَ الرَّحْمٰـنِ
حَتّٰى اسْتَبَاحَ قُرٰى السَّوَادِ وَفَـارِسٍ وَالسَّـهْلِ وَالأجبـال مِـنْ مَكْـرَانِ

ووصف الجعد بن ضمام الدوسي[٤] إخوانه المجاهدين بأنهم أطاعوا الله ويخافونه ويرجون رحمته، فيقول[٥]:

شَبَابٌ أَطَـاعُوا اللهَ حَتّٰـى أَحَبَّـهُم وَكُلُّـهُمُ شَـارٍ يَخَـافُ وَيَطْمَـعُ

وقد عبّر الشّعراء أيضاً عن طاعتهم وطاعة المؤمنين للرسول ﷺ القائد الأعظم، فكأنـهم يريدون من خلال قصائدهم أن يبثّوا فكرة أن طاعة الرسول ﷺ من أسباب إحراز النصـر فـي القتال كما بينته الآية القرآنية السابقة. فهذا عبد الله بن رواحة يشير إلى نصرة الأنصار للنبـي

---

(١) زهير بن عبد شمس بن عوف البجلي: فارس من فرسان المسلمين يوم القادسية. ينظر: البلاذري، **فتـوح البلدان**، ص٣٦٣، وابن أعثم، **كتاب الفتوح**، ج١، ص١٦٧.

(٢) البلاذري، **المصدر نفسه**، ص٣٦٣.

(٣) القالي، **ذيل الأمالي والنوادر**، ص١٤٦.

(٤) الجعد بن ضمام الدوسي: من شعراء الخوارج ولم تذكر المصادر من ترجمته سوى أنه شاعر إسلامي مـن الشّعراء الأمويّين. ينظر: عزيزة فوال بابتي، **معجم الشّعراء المخضرمين والأمويّين**، ص٨٢.

(٥) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٤٥٩.

ﷺ وفدائهم له بالأنفس والأموال، وطاعتهم له فهم لا يؤثرون عليه أحداً؛ فقد جاءهم شهاباً هادياً من الظلمات إلى النور. يقول ابن رواحة[١]:

فَإِنِّيْ وَإِنْ عَنَّفْتُمُوْنِيْ لَقَائِلٌ ... فِدىً لِرَسُوْلِ اللهِ أَهْلِيْ وَمَالِيَا

أَطَعْنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بِغَيْرِهِ ... شِهَاباً لَنَا فِيْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

وفي الأبيات التالية يصوّر كعب بن مالك اعتزازه بطاعة المسلمين للرسول ﷺ ومسارعتهم إلى نصرته عند الشدّة، ويؤكّد الشاعر أن هذا شأنهم دوماً، متى سمعوا نداءَ الرسول ﷺ للشدائد أتوها مسرعين ومتى رأوا حومات القتال تعجُّ بالأبطال كانوا السابقين إليها، ثمّ يبيّن الشاعر أن اتباع أمر الرسول ﷺ وطاعته من سرّ النصر والعزّة، يقول الشاعر يوم الخندق[٢]:

وَنُطِيْعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيْبُهُ ... وَإِذَا دَعَا لِكَرِيْهَةٍ لَمْ نُسْبَقِ

وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِهَا ... وَمَتَى نَرَ الْحَوْمَاتِ فِيْهَا نُعْنِقِ

مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ ... فِيْنَا مُطَاعُ الْأَمْرِ حَقٌّ مُصَدَّقِ

فَبِذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا ... وَيُصِيْبُنَا مِنْ نَيْلِ ذَاكَ بِمِرْفَقِ

ويردد حسان بن ثابت هذه الفكرة[٣] في معرض رثائه لسَعد بن معاذ وغيره من الشهداء في قتال بني قريظة، فيقول[٤]:

دَعَا فَأَجَابُوْهُ بِحَقٍّ وَكُلُّهُم ... مُطِيْعٌ لَهُ فِيْ كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ

فَمَا نَكَلُوْا حَتَّى تَوَلَّوْا جَمَاعَةً ... وَلَا يقطع الآجالَ إِلاَّ الْمُصَارِعُ

ويذكر كعب بن مالك حين سار الرسول ﷺ إلى الطائف يريد فتحها طاعةَ المسلمين لله تعالى ولرسول ﷺ بعد حديثه عن قائدهم الأعلى محمّد ﷺ الجريء الصلب الرشيد ووصفِه بخصاله وسجاياه قائلاً[٥]:

---

(١) عبد الله بن رواحة، **ديوانه**، ص١٣٨.

(٢) كعب بن مالك، **ديوانه**، ص٧٨-٧٩. نعنق: نسرع ونسبق، حقّ مصدّق: من باب إضافة الأوّل إلى الثاني أي مصدق حقاً.

(٣) لقد أشار بجير بن زهير إلى هذه الفكرة أيضاً في قصيدة قالها في فتح مكة، ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٢٦، وكذلك العباس بن مرداس في مدحه للأنصار، ينظر: **ديوانه**، ص١٠٢، وفي مدحه لقومه بني سليم يوم حنين، ينظر: **ديوانه**، ص٨٩، وعبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص٢٩٤.

(٤) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٢٧٠. نكلوا: رجعوا هائبين. المصارع: مصارع القتلى.

(٥) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٤٨٠. العزوف: المنصرف عن الشيء زهداً فيه مع إعجابه به. النزق: الكثير الطيش والخفة.

رَئِيْسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْباً ... نَقِيَّ الْقَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوْفَا
رَشِيْدُ الْأَمْرِ ذُوْ حُكْمٍ وَعِلْمٍ ... وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقاً خَفِيْفَا
نُطِيْعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيْعُ رَبّاً ... هُوَ الرَّحْمٰنُ كَانَ بِنَا رَؤُوْفَا[١]

يلاحظ في الأبيات السابقة أن الشّعراء قد ركّزوا على ذكر طاعتهم وطاعة المسلمين لله تعالى ورسوله ﷺ متأثّرين بالآيات القرآنية التي تدعو إلى طاعتهما، كما يلاحظ أن الشّعراء لم يشيروا إلى طاعتهم أو طاعة المسلمين للقائد -غير الرسول ﷺ- والإمام وأولي الأمر، وكان من المفروض أن يشيروا إلى هذه الفكرة في قصائدهم لا سيما بعد وفاة الرسول ﷺ وأصبح المسلمون يخوضون معارك الجهاد في سبيل الحق والعدالة تحت قيادتهم، ولعل ذلك يعود إلى أن نصرهم على الأعداء يدل على طاعتهم للقائد أو ولي الأمر أو الإمام، فأغناهم ذلك عن ذكرها والتصريح بها في أشعارهم.

المطلب الرابع: الإيمان بحتمية الموت

الإيمان بحتمية الموت من أسباب الحصول على النصر والتغلّب على الأعداء فهو دعامة كبيرة للمجاهدين؛ فالإنسان عندما يؤمن بأن الموت حق لا مفرّ منه، ولا ينجو منه أحد ولو كان في قصر محصّنٍ منيع مرتفع مشيَّد، كما قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ....﴾[٢]، يهون عليه الجهاد بل يحلو له ويطلبه، لأنّه يؤمن بأن ملك الموت لا تحجزه حواجز ولا تعوقه عوائق، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ....﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ....﴾[٤]، وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٥]، فالإنسان سواء جاهد أو لم يجاهد، فإن له أجلاً محتوماً ومقاماً مقسوماً، وكم من محاربٍ نجا، وقاعدٍ على فراشه عن الحرب مات حتف أنفه.

---

(١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿....والله رؤوف بالعباد﴾، البقرة: ٢٠٧.
(٢) النساء: ٧٨.
(٣) آل عمران: ١٨٥.
(٤) الأنبياء: ٣٤.
(٥) الرحمن: ٢٦.

وقد حرص الشّعراء على تمكين هذه الحقيقة في نفوسهم ونفوس المسلمين متأثّرين بالآيات السابقة لينطلقوا إلى الجهاد. يقول ضرار بن الأزور[١] مرتجزاً في إحدى الفتوحات الشامية[٢]:

المَوْتُ حَقٌّ أَيْنَ لِـــيْ مِنْـــهُ الْمَفَـــرْ
وَجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ خَـــيْرُ الْمُسْـــتَقَرْ[٣]

ويقول الحسين بن علي[٤] ليلة استشهاده مؤكّداً أن الموت غاية كل حيّ[٥]:

وَالْأَمْـــرُ فِـــيْ ذَاكَ إِلَـــى الْجَلِيْـــلِ
وَكُـــلُّ حَـــيٍّ سَـــالِكُ السَّـــــــبِيْلِ

ويؤكّد قطري بن الفجاءة المازني هذه الفكرة من خلال هجائه لِسُمَرَة بن الجعـــد يتلوّمـــه على خِذلانه، فيقول[٦]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَـــوْتَ لَا شَـــكَّ نَـــازِلٌ وَلَا بَعْثَ إِلَّا لِلْأُلَـــى فِـــي الْمَقَـــابِرِ

ويرى مجاهد من الخوارج أن كأس الموت سيدور على الجميع وسينهلون منه إن عـــاجلاً أم آجلاً[٧]:

وَالْمَـــوْتُ أَمْـــرٌ لَا مَحَالَـــةَ وَاقِـــعٌ مَـــنْ لَا يُصَبِّحْـــهُ نَـــهَاراً يَطْـــرُقِ

وقد أخبر سبحانه أنه لا يموت أحد إلاّ بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي حددها الله تعالى له، فقال عزّ من قائل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا....﴾[٨]. وهذه الآيـــة مثـــل

---

(١) ضرار بن الأزور شاعر فارس شجاع، شهد يوم اليمامة وأبلى فيه بلاء عظيماً، وقيل إنه ممّن نزل حـــران من أرض الجزيرة، وإنه شهد اليرموك وفتح دمشق. ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٢، ص٤٧٠.

(٢) الواقدي، **فتوح الشام**، ج١، ص٤٤.

(٣) ترديد لقوله تعالى: ﴿إن الّذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾، الكهف: ١٠٧.

(٤) الحسين بن علي، سِبْطُ رسول الله ﷺ، استشهد في الطف (كربلاء) في العاشر من محرم سنة ٦١ للهجرة. ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٨، ص٥٤٥.

(٥) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمّد (ت٣٥٦هـ)، **مقاتل الطالبيين**، شرح وتحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت، ص١١٣.

(٦) إحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص١٢٠.

(٧) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص٢٧٤.

(٨) آل عمران: ١٤٥.

قوله تعالى: ﴿....وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ...﴾[١]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا....﴾[٢]، فالأعمار محدودة، والآجال محتومة، والأقدار هي الحاكمة، والله وحده هو المتصرّف في كل شيء، فيأذن بقبض كل نفس وفق علمه دون تأخير ولا تقديم، سواء في الحرب أو في السلم[٣].

ففي هذه الآيات تشجيع للمسلمين وترغيب لهم في القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه، وقد تمثّل الشّعراء هذا المعنى وضمنّوه أشعارهم. يقول حسان بن ثابت فيمعرض رثائه لشهداء بئر معونة[٤]:

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهِلِّي ... بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحّاً غَيْرَ نَزْرِ

عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لَاقَوْا ... مَنَايَاهُمْ وَلَاقَتْهُمْ بِقَدْرِ

ويقول أبو محجن الثقفي[٥] في رثائه للشهداء الّذين سقطوا في ساحة المعركة بين الفرس والمسلمين في قُسٍّ النّاطِف القريب من الكوفة مبيّناً أن لكل نفس أجلاً لا يتقدم عنها[٦]:

وَمَا لُمْتُ نَفْسِيْ فِيْهِمُ غَيْرَ أَنَّهَا ... لَهَا أَجَلٌ لَمْ يَأْتِهَا وَهُوَ عَاجِلُ

ويردد مالك بن الريب المعنى السابق في قصيدة له قالها رادّاً على ابنته حين أراد أن يخرج إلى الجهاد[٧]:

أَنَا فِيْ قَبْضَةِ الْإِلٰهِ إِذَا كُنْتُ ... بَعِيْداً أَوْ كُنْتُ مِنْكِ قَرِيْبَا

كَمْ رَأَيْنَا امْرَءاً أَتَى مِنْ بَعِيْدٍ ... وَمُقِيْماً عَلَى الْفِرَاشِ أُصِيْبَا

---

(١) فاطر: ١١.

(٢) الأنعام: ٢.

(٣) وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٤، ص١١٢.

(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٨٩. استهلي: أسبلي دمعك. السح: الصب. النزر: القليل.

(٥) أبو محجن الثقفي هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير أحد الأبطال الشّعراء الكرماء في الجاهليّة والإسلام، أسلم سنة ٩ للهجرة، وروى عدة أحاديث، وكان منهمكاً في شرب النبيذ، فحده عمر مراراً، ثمّ نفاه إلى جزيرة بالبحر، قاتل مع سعد بن أبي وقاص في القادسية ، توفي بأذربيجان أو بجرجان سنة ٣٠ للهجرة. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٩، ص٣ وما بعدها.

(٦) الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ج١٩، ص١٣.

(٧) الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ج٢٢، ص٢٩٧.

ويؤكد البهلول بن بشر[١] المعنى نفسه قائلاً[٢]:

فَلاَ التَّقَدُّمُ فِـــي الْـهَيْجَاءِ يُعْجِلُنِـيْ وَلاَ الْحِذَارُ يُنَجِّيْنِـــيْ مِـنَ الْأَجَـلِ

فالأبيات السابقة مهما اختلفت عباراتها فإنها تفيد أنّ أجل موت الإنسان ومنتهى عمـــره لا يتقدم ولا يتأخّر ساعة واحدة أو لحظة واحدة، متأثرةٌ بقوله ﷻ: ﴿....فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣].

ولما كان الموت أمراً لا مهرب منه ولا مفرّ من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ....﴾[٤]، فإن المسلمين يستميتون في القتال لأنهم يؤمنون بأن كل إنســـان مقتـــولٍ أو غيرِ مقتولٍ ميّت إذا بلغ أجله المكتوب له، يقول عبد الله بن رواحة يوم الخندق مصوّراً النهايـــةَ التي لا رجوعَ عنها[٥]:

يَـا نَفْـسُ إِنْ لَـمْ تُقْتَلِـيْ تَمُوْتِـيْ
هٰذَا حمـــامُ الْمَـوْتِ قَـدْ صَلَيْـتِ
إِنْ تَسْـلَمِي الْيَـوْمَ فَلَـنْ تَفُوْتِـــي
أَوْ تُبْتَلَـيْ فَطَالَمَـــا عُوْفِيْـــتِ
وَمَـا تَمَنَّيْـتِ فَقَـــدْ أُعْطِيْـــتِ
إِنْ تَفْعَلِـيْ فِعْلَـــهُمَا هُدِيْـــتِ
وَإِنْ تَـــأَخَّرْتِ فَقَـــدْ شَقِيْـــتِ

---

(١) البهلول بن بِشر الشيباني ثائر من الزعماء الشجعان، خرج على أمير العراق خالد بن عبـــد الله القســري، فهزم جيشه، واستفحل أمره، وأزمع المسير إلى الشام لقتال الخليفة هشام بن عبد الملك، فاجتمعت عليه الجيـــوش قبل ذهابه إلى الشام، فقتل البهلول بعد عراك هائل وذلك سنة ١١٩ للهجرة، وكان سهلاً ليّن السيرة لا يقـــاتل إلاّ من قاتله، ولا يعرض لأحدٍ. الزركلي، **الأعلام**، ج٢، ص٥٥.

(٢) إحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٢٠١. الهيجاء: الحرب.

(٣) النحل: ٦١.

(٤) الجمعة: ٨.

(٥) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد الله بن يحيى (ت٢٨٤هـ)، **الحماسة**، تحقيـــق كمـــال مصطفـــى، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٢٩م، ص٢، وابن عساكر، علي بن الحسن بـــن هبـــة الله (ت٥٧١هـــ)، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، تهذيب وترتيب عبد القادر بدران، ط٣، دار إحيـــاء الـــتراث العربـــيّ، بـــيروت، ١٩٨٧م، ج٧، ص٣٩٤، وعبد الله بن رواحة، **ديوانه**، ص١٥٤. صليت: قاســـيت النـــار والحـــر. فعلـــهما: صاحبيه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب.

كما يتهافت قطري بن الفجاءة على الشهادة لشدة إيمانه بوقوع الموت، فينتظر مقتله وكأنه محبوبته[١]، فيقول[٢]:

حَتَّى مَتَى تُخْطِئُنِي الشَّهَادَهْ
وَالْمَوْتُ فِيْ أَعْنَاقِنَا قَلَادَهْ
لَيْسَ الْفِرَارُ فِي الْوَغَى بِعَادَهْ

فالفرار من لقاء الموت أو القتل في ميدان المعركة لن ينفع المقاتلين، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٣] لأن فرارهم ذلك لا يؤخّر آجالهم ولا يطوّل أعمارهم، فإن المقدّر كائن لا محالة، انطلاقاً من هذه الآية وهذا المعنى يخوض المجاهدون غمرات الموت بلا خوف ولا وجل متّخذين سبيل الجهاد طريقاً إلى الجنة، يقول خالد بن الوليد في قتال الروم[٤]:

اليَوْمَ يَوْمٌ فَازَ فِيْهِ مَنْ صَدَقْ
لَا أَرهبُ الْمَوْتَ إِذَا الْمَوْتُ طَرَقْ
لأروِيَنَّ الرُّمْحَ مِن ذَوِي الْحَدَقْ
عَسَى أَرَى غَداً مَقَامَ مَنْ صَدَقْ
فِيْ جَنَّةِ الْخُلْدِ وَأَلْقَى مَنْ سَبَقْ

ويصف ابنُ مفرّغ الحِمْيَرِيّ[٥] مقاتلي المسلمين في قتال الروم أيضاً، فهم يتوجّهون إلى

---

(١) ويتهافت عمّار بن ياسر أيضاً على الشهادة حين قاتل مع علي بن أبي طالب في صفّين. ينظر: نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ)، **وقعة صفّين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٨٢هـ، ص٣٢٠.

(٢) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص٢٧٧.

(٣) الأحزاب: ١٦.

(٤) الواقدي، **فتوح الشام**، ج١، ص٤٥.

(٥) ابن مفرّغ الحميري هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، أبو عثمان شاعر هجاء من شعراء العصر الأمويّ، وكان يهجو زياد بن أبيه وأولاده هجاء مقزعاً. وتوفي نحو ٦٩ للهجرة. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٨، ص٢٦٢ وما بعدها، وعبد العزيز بن محمّد الزير ومحمد بن عبد الله الأطرم، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص١٥٩.

الموت بلا خوف ولا جبنٍ ولا نكصٍ، يقول الشاعر[١]:

كَمْ بِالدروبِ وأرض الرومِ من قَـدم ... وَمِـن جَمَـاجِم قَتْلَـى مَـا هُـمُ قُـبِرُوْا

وَمِـنْ سَـرَابِيل أبطـال مضرَّجـة ... سَارُوْا إِلَى الْمَوْتِ مَا خَـامُوْا وَلَا ذعـرُوْا

مِن كل هذا يبدو أن الإيمان بحتمية الموت قد استغرق الكثير من شعر الجهاد؛ في الرثـاء والهجاء والحماسة والوصف، وهذا الإيمان جعل الشّعراء والمؤمنين يتغنّون بـالنصر والشـهادة ويسعون إليهما، فلا خشية لهم من الجهاد في سبيل الله.

المطلب الخامس: التوكّل الكامل على الله تعالى

التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفـع المضـارِّ مـن أمور الدنيا والآخرة كلها، وكِلَةُ الأمورِ كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطـي ولا يمنـع ولا يضر ولا ينفع سواه جلّ وعلا[٢].

ولا يتم هذا الاعتماد إلاّ إذا اعتقد المتوكل في الوكيل تمام العلم والقدرة والعناية والرحمـة، فإذا أيقن المسلم بهذا في الله تعالى وحده اتكل قلبه عليه وحده، وإذا ضعف هذا اليقيـن فـي الله تعالى ضعف التوكّل[٣].

ولما كان التوكل الحق على الله تعالى وترك الاغترار بما سواه عاملاً مهماً في النصر فقـد أمر الله تعالى المسلمين به وحثهم عليه، قال سبحانه: ﴿....وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٤]، ففي هذه الآية جعل الله تعالى التوكل عليه شرطاً في الإيمان[٥]، وفي آية أخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[٦]، فجعل دليل صحة الإسلام التوكل[٧].

---

(١) ابن مفرغ الحميري، **ديوانه**، جمع وتقديم داود سلوم، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٦٨م، ص٧٩. سـرابيل: جمع السربال وهو القميص أو الدروع أو كل ما لبس وقد تسربل به وسربلته. مضرّجة: ضرّجـه أي لطّخـه فتضرّج بالدم. ما خاموا: ما نكصوا وما جبنوا.

(٢) ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحِكم**، ج٣، ص١٢٦٦.

(٣) ينظر: الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد (ت٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الديـن**، ط٣، دار الخـير، بـيروت، ١٩٩٤م، ج٥، ص١٣٦-١٣٧، وعبد القادر بن عبد العزيز، **العمدة في إعداد العدّة**، ص٣٩٠.

(٤) المائدة: ٢٣.

(٥) والإيمان الحق من أهم عوامل النصر الأوّلية، كما سبق ذكره.

(٦) يونس: ٨٤.

(٧) ينظر: عبد القادر بن عبد العزيز، **المرجع نفسه**، ص٣٩١.

وليس المراد بالتوكل على الله أن يُلقي المرء الأمور على عواهنها ويترك السعي والعمل ويفوّض الأمر إلى الله، فالتوكل الحق على الله لا ينافي السعي في الأسباب التي قدّر الله ﷻ المقدورات بها وجرت سنّته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل؛ فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به(١).

ففي جهاد الأعداء أمرَ الله تعالى بإعداد العدّة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ....﴾(٢)، وأمر سبحانه بأخذ الحذر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ....﴾(٣)، ولبس الرسول ﷺ الدرع وحفر الخندق وبعث الطلائع والعيون، مع قوله تعالى: ﴿....وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ....﴾(٤)، ولذلك لما ظنّ المسلمون ترتّب النصر على الأسباب هزموا كما حدث في حنين، قال تعالى: ﴿....وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾(٥)، فردهم سبحانه إلى الأمر الأوّل وهو ﴿....وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ....﴾، حيث نصرهم الله نصراً عزيزاً على العدد الغفير من الكفار بعد أن ذاب الشعور بالغرور وثبتت عصبةٌ مؤمنة(٦)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾(٧).

فالأخذ بالأسباب من سنن الأنبياء، والأخذ بالأسباب واجب مع ترك الاعتماد عليها، بل الاعتماد على الله وحده لا شريك له في حصول المقصود بعد الأخذ بالأسباب. يقول حسان بن ثابت يوم بدر مشيراً إلى توكل المسلمين على الله وإلى سيوفهم(٨):

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللهِ قَوْماً ... وَإِنْ كَثُرُوا وَأُجْمِعَتِ الزُّحُوفُ

---

(١) ينظر: ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، ج٣، ص١٢٦٧-١٢٦٨، وابن تيمية، **مكارم الأخلاق**، تحقيق عبد الله بدران ومحمد عمر الحاجي، ط١، دار الخير، بيروت، ١٩٩٤م، ص٢٣٢.

(٢) الأنفال: ٦٠.

(٣) النساء: ٧١.

(٤) الأنفال: ١٠.

(٥) التوبة: ٢٥.

(٦) ينظر: شوقي أبو خليل، **حنين والطائف**، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م، ص١٤٢-١٤٥.

(٧) التوبة: ٢٦.

(٨) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٣. الزحوف: جمع زحف وهي الجماعة تزحف إلى مثلها، أي تسرع وتسبق. المآثر: جمع مأثرة، وهي ما يتحدث به عن الإنسان من خير أو فعل حسن. المعقل: الممتنع الذي يلجأ إليه.

إلى أن يقول:

وَلٰكِنَّـــا تَوَكَّلْنَـــا وَقُلْنَـــا مَآثِرُنَـــا وَمَعْقِلُنَـــا السُّـــيُوْفُ

ويتناول كعب بن مالك المعنى نفسه، وذلك في قوله يومَ أُحُدٍ[١]:

وَلٰكِـنْ خُـذُوْا أَسْـيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُـوْا عَلَـى اللهِ إِنَّ الْأَمْـرَ لِلّٰهِ أَجْمَـعُ

ويلاحظ أن الشطر الثاني من البيت يشير إلى قوله تعالى: ﴿....وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٢].

وفي غزوة الخندق كان المسلمون فيها قليلين وضعافاً في كل شيء؛ في الزاد والعتـاد إلاّ التوكل على واهب النصر، فنصرهم الله فيها، ويردّد كعب بن مالك مؤكّداً توكلهم على الله، ممّـا كان سبباً في حصولهم على النصر وظفرهم على الأعداء في تلك الغزوة، يقول الشـاعر بُعَيْـدَ فرار الأحزاب[٣]:

إِذَا قَـالَتْ لَنَـا النُّـذُرُ اسْـتَعِدُّوْا تَوَكَّلْنَـا عَلٰـى رَبِّ الْعِبَـادِ

وَقُلْنَـا لَـنْ يُفَـرِّجَ مَـا لَقِينَـا سِوٰى ضَـرْبِ الْقَوَانِـسِ وَالْجِـهَادِ

وفي الحادثة نفسها يكرّر الشاعر الفكرة عينها[٤]:

صَبَرْنَـا لَا نَـرٰى لِلّٰهِ عِـدْلاً عَلٰـى مَـا نَابَنَـا مُتَوَكِّلِيْنَـا

ويصرّح عبد الله بن حذف[٥] بأن النصر للمتوكلين في قولـه حيـن قـاتل أهـل الـردة بالبحرين[٦]:

تَوَكَّلْنَـا عَلَـى الرَّحْمٰـنِ إِنَّـا وَجَدْنَـا النَّصْـرَ لِلْمُتَوَكِّلِيْنَـا

لعل الشاعر بقوله هذا يتأثّر بالآية الكريمة: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٧].

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٣٤.

(٢) البقرة: ٢١٠.

(٣) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٢٦٥. القوانس: أعالي بيض الحديد.

(٤) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٢٥٦.

(٥) عبد الله بن حَذَف: رجل صالح من بني أبي بكر بن كلاب. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٥، ص٢٤٨.

(٦) الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ج١٥، ص٢٤٨.

(٧) آل عمران: ١٦٠.

وفي التوكل أيضاً، قال الله تعالى: ﴿....فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١]، أي فإذا عقدْتَ القلب على فعل شيء وإمضائه، فتوكلْ على الله وفوّض الأمر إليه بعد استكمال العدّة ومراعاة الأسباب التي جعلها الله وسيلة للوصول إلى المسبّبات، فإن الله يحبّ المتوكلين المعتمدين عليه الواثقين به، وإذا كان يحبّهم فإنه ينصرهم ويوفّقهم إلى ما فيه خيرهم كما تقتضيه محبته لهم، يقول أبو الأسود الدؤلي[٢] متأثراً بالآية السابقة[٣]:

إِذَا كُنْتَ مَعْنِيّاً بِأَمْرٍ تُرِيْدُه ... فَمَا لِلمَضَاءِ وَالتَّوَكُّلِ مِنْ مِثْلِ

تَوَكَّلْ وَحَمِّلْ أَمْرَكَ اللهَ إِنَّ مَا ... تُرَادُ بِهِ آتِيْكَ فَاقْنَعْ بِذِيْ الفَضْلِ[٤]

هكذا حاول الشّعراء تركيز مفهوم التوكل على الله تعالى في النفوس حتى يزرعوا في المسلمين الثقة التي تمنحهم القوة والعزة في وقت هم أحوج ما يكونون إليهما لكي يرهبوا بهما عدوّهم الذي يفوقهم عدداً وعُدّة، إنها القوة النفسية التي تنتزع النصر، وليست الكثرة العددية أو القوة العُدّية.

المطلب السادس: الإكثار من ذكر الله والدعاء

أمر الله تعالى المؤمنين عند لقاء العدو بالاشتغال بذكر الله بعد الأمر بالثبات، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥]، فعلى المؤمنين أن يكثروا من ذكر الله تعالى أثناء القتال في قلوبهم بذكر قدرته ووعده بنصر رسله والمؤمنين ونصر كل من يتبع سنتهم بنصر دينه وإقامة سننه، وبذكر نهيه لهم عن اليأس مهما اشتدّ البأس وحَمِيَ الْوَطِيْسُ، وبذكر أن النصر بيده ومن عنده، فمن ذكر هذا لا تهوله قوة الأعداء مهما تعظم وتشتدّ لإيمانه بأن الله أقوى منه. وعلى المؤمنين أيضاً أن يذكروا الله تعالى بألسنتهم

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) أبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني واضع علم النحو، من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم، سكن البصرة خلافة عمر وولي إمارتها أيام علي وشهد معه صفين ثمّ قصد معاوية فأكرمه وهو أول من نقط المصحف في أكثر الأقوال، توفي بالبصرة نحو ٦٩ للهجرة. الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٢، ص٣٤٦ وما بعدها.

(٣) الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ج١٢، ص٣٥٨، وأبو الأسود الدؤلي، **ديوانه**، صنعة السُّكّري، أبي سعيد الحسن بن الحسين (ت٢٩٠هـ)، تحقيق محمّد حسن آل ياسين، ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٨م، ص٤٩.

(٤) في الديوان "يراد له آتيك أنت له مُخْلِ" أي خِلْوٌ لا شيء يحول بينه وبينك.

(٥) الأنفال: ٤٥.

موافقة لقلوبهم بالتسبيح والتهليل والتكبير والدعاء والتضرّع إليه وطلب النصر والظفر منه مع التيقن بأنه لا يعجزه شيء ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١].

فذكر الله تعالى في القتال يحقّق معنى العبودية لله ﷻ[٢]، ويشعر بمعنى الإيمان والتفويض لله والتوكل عليه، ويقوّي الروح المعنوية، فبذكره تطمئنّ القلوب، ويؤمّل النصر والفرج، وبدعائه تتبدّد الكروب والمخاوف[٣]، فيقول المجاهد: ﴿....رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٤]، ففي يوم الخندق كان الرسول ﷺ والمسلمون يحفرون الخندق، وهم يرتجزون بشعر عبد الله بن رواحة المتأثر بهذه الآية الكريمة[٥]، فيه دعاء وتوسّل[٦]:

تَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

الكَافِرُوْنَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوْا فِتْنَةً أَبَيْنَا

إِنَّا إِذَا صِيْحَ بِنَا أَتَيْنَا ... وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوْا عَلَيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا ... وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَأَنْزِلَنْ سَكِيْنَةً عَلَيْنَا ... وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا

والدعاء سلاح عظيم ماضٍ بتّار لا يخطئ أبداً، وسهم لا يخيب أبداً، وهو حصن حصين يلجأ إليه المؤمن من كيد الكائدين وبطش الباطشين وجبروت المتجبّرين، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ

---

(١) يس: ٨٢.

(٢) ينظر: محمّد سعيد رمضان البوطي، **فقه السيرة النبوية**، ط١١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م، ص١٦٢-١٦٣.

(٣) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٠، ص٢٤.

(٤) البقرة: ٢٥٠. وهذا دعاء عظيم في مثل هذا الموقف الرهيب، وفيه حكمة وعقل، إذ الصبر سبب الثبات، والثبات سبب النصر، وأحقّ الناس بالنصر هم المؤمنون. ينظر: وهبة الزحيلي، **المرجع نفسه**، ج٢، ص٤٢٩.

(٥) وقد ارتجز عامر بن سنان يوم خيبر متأثراً بهذه الآية أيضاً. ينظر: الواقدي، محمّد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)، **كتاب المغازي**، تحقيق مارسدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد، د.ت، ج٢، ص٦٣٨.

(٦) **عبد الله بن رواحة، ديوانه**، ص١٣٩-١٤٠، عولوا علينا: استغيثوا بنا، واستفزعونا للقتال.

فداء لك: الخطاب للنبي ﷺ.

رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ....﴾[١]، ويقول العباس بن مرداس في معرض حديثه عن فتح مكّة مدحاً للرسول ﷺ[٢]:

دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللهَ وَحْدَهُ فَأَصْبَحَ قَدْ وُفِّى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا

وفي قتال الروم وفتح دمشق يتضرع ضرار بن الأزور إلى الله تعالى أن يغفر ذنبه ويوفّقه إلى خير العمل، وأن يمحو عنه كل الزلل، فيقول[٣]:

عَلَيْكَ رَبِّيْ فِي الْأُمُوْرِ الْمُتَّكَلْ
اغْفِرْ ذُنُوْبِيْ إِنْ دَنَا مِنِّيْ الْأَجَلْ
يَا رَبِّ وَفِّقْنِيْ إِلَى خَيْرِ الْعَمَلْ
وَعَنِّيَ امْحُ سَيِّدِيْ كُلَّ الزَّلَلْ
أَنَا ضِرَارُ الْفَارِسُ الْقِرْمُ الْبَطَلْ
مَا لِيْ سِوَاكَ فِي الْأُمُوْرِ مِنْ أَمَلْ

يبدو تأثر الشاعر بالقرآن الكريم، فالشطر الأوّل مقتبس من قوله تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ....﴾[٤]، كما أن الشطرين الثاني والرابع متأثران بقوله عزّ وجلّ على لسان المتفكّرين الذاكرين: ﴿....رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[٥].

وفي يوم الحَرَّة اشتدّ القتال، فيقول شاعر مجاهد داعياً الله تعالى أن يبعث جنوداً يقاتلون معه[٦]:

يَا رَبِّ إِنَّ جُنُوْدَ الشَّامِ قَدْ كَثُرُوْا وَهَتَكُوْا مِنْ حِجَابِ اللَّيْلِ أَسْتَارَا

---

(١) غافر: ٦٠.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٦٩، والعباس بن مرداس، **ديوانه**، ص١٠١.

(٣) الواقدي، **فتوح الشام**، ج٢، ص٢٣٨.

(٤) هود: ٥٦.

(٥) آل عمران: ١٩٣.

(٦) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)، **أنساب الأشراف**، تحقيق إحسان عباس، دار النشر فرانتس شتاينز، بيروت، ١٩٧٩م، ج٤، ص٣٤٦.

يَا رَبِّ إِنِّيْ ضَعِيْفُ الركنِ مُضْطَـهدُ فَابْعَثْ إِلَيَّ جُنُـوْداً مِنْـكَ أَنْصَـارَا

فالشاعر بقوله: "فابعث إليَّ جنوداً منك أنصارا" يتذكر قولـه سـبحانه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾"(١).

فذكر الله تعالى عند لقاء العدو يؤدّي وظائف شتى: إنه الاتصال بـالقوة التـي لا تغلـب، والثقة بالله الذي يَنصر أولياءه، وهو في الوقت نفسـه اسـتحضار حقيقـة المعركـة وبواعثـها وأهدافها، فهي معركة لله، لتقرير ألوهيته في الأرض، وطرد الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية؛ فهي إذاً معركة لتكون كلمة الله هي العليا، لا للسيطرة، ولا للمغنم، ولا للاستعلاء الشـخصي أو القومي(٢).

كما اتضح في الأبيات السابقة أن المجاهدين في سبيل الله لم يتوانَوا وهم في ساحات القتـال عن ذكر الله تعالى واستمداد العون منه والتوكل عليه والتوجه إليه والتضـرع إليـه إلاّ أن أثـر القرآن الكريم في تلك الأشعار القليلة ضعيف فاتر يتمثل في شطر أو بيت من أبيات القصيدة.

المطلب السابع: الإمداد بالملائكة

لله ﷻ جنود لا يعلم عددهم غيره كما بيّنه في الآية الكريمـة: ﴿....وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ....﴾(٣)، وقد أعدّ الله تعالى جنداً من الملائكة لمشاركة المسلمين في القتال، كما هو ظـاهر من قوله تعالى للملائكة: ﴿....فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾(٤)، فلتمييز قتيلـهم عـن قتيل المسلمين أمر الله تعالى الملائكة بقطع أطراف أصابعه من اليدين والرجلين وقطع رأسه من اتصاله بالرقبة بحيث تبقى الرقبة في البدن، وهو أمر صعب للغاية أن تأتي الضربة فـي ذلـك المكان حتى في القتل صبراً، ولم ينقله التاريخ بهذا الوصف للغفلة عنه(٥).

ومهمة الملائكة في ميدان المعركة في الدرجة الأوّلى هي تثبيت المؤمنين؛ قال الله تعـالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا....﴾(٦)، فتثبيـت الملائكـة للمؤمـن المقـاتل

---

(١) الفتح: ٧.

(٢) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٥٢٨.

(٣) المدثر: ٣١.

(٤) الأنفال: ١٢.

(٥) ينظر: حسين الحسني، **النصر في القرآن**، ص١٣٢.

(٦) الأنفال: ١٢.

تحصينه من الفرار من الزحف خاصة في المعارك الشديدة[١].

وقد قرن الله تعالى نزول الملائكة بالاستغاثة، يقول ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٢]، هذا في بدر مع أن الله جل جلاله قادر على نصر المؤمنين من دون إنزال الملائكة، ولكنه أمدّهم بهم ليستبشروا بالنصر وتطمئن قلوبهم بنزولهم. إذ الإنسان معتاد على التعلق بالأسباب[٣]، ولهذا كان عدد الملائكة في تلك الغزوة مثل عدد المشركين، مع أن مَلَكاً واحداً قادر على القضاء عليهم بإذن الله، والنصر من عنده وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤].

وفي أُحد أيضاً بشّر النبي ﷺ أصحابه بنزول ملائكة يبلغ عددهم مثل جيش المشركين في تلك الغزوة أو يزيد عليهم، قال سبحانه: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٥]، فهذا وعد في أُحد، ولم يتحقق لعدم تحقق الشرط وهو الصبر والتقوى؛ إذ ترك بعض الرماة أماكنهم لجمع الغنائم، ممّا مكّن المشركين من الالتفاف حولهم وقتل سبعين منهم[٦].

وقد استفاد الشّعراء من الآيات السابقة في بيان سبب نصرهم وظفرهم في المعركة؛ فالله تعالى ينصر المسلمين ويؤيّدهم بالملائكة المسوّمين، ويكفي أن يكون بين صفوفهم روح القدس جبريل عليه السلام وأخوه ميكائيل من البررة الطائعين، يقول كعب بن مالك يوم بدر[٧]:

بِنَصْرِ اللهِ رُوْحُ الْقُدسِ فِيْهَا ... وَمِيْكَالٌ فَيَا طِيْبَ الْمَلَاءِ

ويقول أيضاً[٨]:

---

(١) لمزيد من التفصيل، ينظر: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، م٥، ج١٥، ص٤٦٣.

(٢) الأنفال: ٩.

(٣) ينظر: عمر أحمد عمر، **الجهاد في سبيل الله**، ص٢٢٤.

(٤) الأنفال: ١٠.

(٥) آل عمران: ١٢٤-١٢٥.

(٦) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١١٣.

(٧) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٦. وفي الحادثة نفسها أشار حمزة بن عبد المطلب إلى تأييد الله للمسلمين بالملائكة. ينظر: ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٩.

(٨) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص١٤٧.

وَيَـوْمَ بَـدْرٍ لَقِيْنَـاكُمْ لَنَـا مَـدَدٌ فِيْهِ مَعَ النَّصْـرِ مِيْكَـالٌ وَجِـبْرِيْلُ

وفي فتح مكّة يقول حسان بن ثابت[١]:

وَجِـبْرِيْلٌ رَسُـوْلُ اللهِ فِيْنَـا وَرُوْحُ الْقُـدْسِ لَيْسَ لَـهُ كِفَـاءُ

يبدو أن الشاعِرَينِ قد جعلا تأييد الملائكة للمسلمين في المعركة مجالاً لفخرهما على أعداء المسلمين.

وقد بيّن شاعر هوَازِنيّ سرّ انتصار الجيش الإسلامي يوم حنين، ويتلخّص في نزول الملائكة من السماء يشاركون المسلمين في ميدان القتال، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا....﴾[٢]، فقال الشاعر في معرض إعلان إسلام قومه[٣]:

ثُمَّـتَ نُـزِّلَ جِـبْرِيْلٌ بِنَصْرِهِـمْ مِـنَ السَّـمَاءِ فَمَـهْزُوْمٌ وَمُعْتَنَـقُ

مِنَّا وَلَـوْ غَـيْرُ جِـبْرِيْلٍ يُقَاتِلُنَـا[٤] لَمَنَّعَتْنَـا إِذَنْ أَسْـيَافُنَا الْعُنُـقُ

أمّا الفرزدق فقد قرن فروسية الحجّاج بن يوسف الثقفي وبسالته بأهل بدر ونزول الملائكة على جيشه يؤيدونه اكتساباً لنصره على جيش ابن الأشعث[٥] في معركة دير الجماجم، فيقول[٦]:

لَقِيْتُمْ مَـعَ الْحَجَّـاجِ قَوْمـاً أَعِـزَّةً غِلَاظاً عَلَىٰ مَنْ كَانَ فِـي الدِّيْـنِ أَجْـوَرَا

بِـهِم يَـوْمَ بَـدْرٍ أَيَّـدَ اللهُ نَصْـرَهُ وَسَـوّى مِـنَ الْقَتْلَـى الرِّكِـيَّ الْمُعَـوَّرَا

جُنُوْداً دَعَا الْحَجَّـاجُ حِيْـنَ أَعَانَـهُ بِـهِمْ إِذْ دَعَـا رَبَّ الْعِبَـادِ لِيَنْصُـرَا

---

(١) حسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص٥٩. كِفاء: نظير.

(٢) التوبة: ٢٦.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٧٥. معتنق: أسير. العُتُق: جميع عتيق وهو النفيس.

(٤) نزول الملائكة يوم حنين لتقوية روح المؤمنين وتثبيتهم وإضعاف الكافرين بما يقذفون في قلوبهم من الخوف والجبن من حيث لا يرونهم، فالملائكة لم يقاتلوا في هذه المعركة. ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٠، ص١٦٠.

(٥) ابن الأشعث هو عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث الكندي قائد أموي، ثار على الحجاج وأبى الخضوع لأوامر الخليفة عبد الملك بن مروان، استولى على الكوفة، هزمه الحجاج في معركة دير الجماجم، وتتابعت هزائمه حتى قتل. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص٩٨-٩٩، والمسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق عبد الأمير علي مهنّا، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١م، ج٣، ص١٤٨ وما بعدها.

(٦) الفرزدق، **ديوانه**، ج١، ص٢٤٢. الركّي: الآبار. المعوّر: من عور البئر إذا كبسها بالتراب حتى نضب ماؤها.

فقد استلهم الشاعر في بيتيه الثاني والثالث قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(١).

بعد عرض أهمّ الأفكار والمعاني القرآنية التي تناولها الشّعراء في شعر الجهاد، يتبين أن الشّعراء قد ركّزوا على مقوّمات الجهاد المعنوية لشدة إيمانهم بأن القرآن الكريم يعطي الأهميّة الأوّلى لنوعية المقاتلين من الناحية العَقديَّة لا العسكرية؛ لإن الكثرة العددية وتوفّر القوّة والمعدّات العسكرية الكاملة والمتطوّرة ليست هي وحدها التي تقرّر مصير المعركة، بل قد تكون غثاء كغثاء السيل وسبباً من أسباب الوهن والضعف والهزيمة، فلا بد من القوة المعنوية.

ومع ذلك يلاحظ أن الشّعراء بعامة لم يطيلوا الوقوف عند تلك الأفكار والمعاني القرآنية إلاّ في أبيات قليلة تأتي ضمن القصيدة، ويبدو كذلك أن تأثّر الشّعراء في عصر صدر الإسلام بالقرآن الكريم في معالجة تلك الأفكار والمعاني أكثرُ وضوحاً منه في العصر الأمويّ، ولعل سبب ذلك يعود إلى أثر القرآن الكريم نفسه في نفوس مجاهدي الصدر الأوّل؛ فهم يقرأونه أو يُقرأ عليهم فيملأ نفوسهم روعةً وقلوبهم إيماناً(٢)، فينعكس ذلك على أشعارهم(٣)، فضلاً عن أنهم كانوا أكثر صحبة للرسول ﷺ وأشدَّ التصاقاً به، فيتلقّون منه الصقل والتهذيب والتوجيه والتسديد والرعاية(٤). ولم يكونوا متكسّبين بالشعر(٥) فيعبّرون عن عاطفة صحيحة.

أمّا في العصر الأمويّ فقد كان الجانب الكبير من شعر الجهاد هو الشعر الذي قاله شعراء الأحزاب السياسية من شيعة وخوارج وزبيريين وأمويين، وكل منهم يوضح وجهة نظرة في أحقية الخلافة لحزبه وكان أكثرهم -إلاّ شعراء الخوارج- يتكسَّبون بالشعر، فجاء شعرهم لا يعبِّر عن عاطفة صحيحة في معظم الأحيان، والدليل على ذلك تلك المبالغات التي لم يدفع أولئك

---

(١) الأنفال: ٩.

(٢) ينظر: طه حسين، **المجموعة الكاملة لمؤلّفات طه حسين**، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢م، ج٧، ص٣١٩، ومصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط١، دار المنار، القاهرة، ومكتبة فياض، المنصورة، ١٩٩٧م، ص١٣٠-١٣١.

(٣) ينظر: شكري فيصل، **المجتمعات الإسلامية في القرن الأوّل**، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٢م، ص٣١٥، وص٣٢٢-٣٢٣. وصلاح مصيلحي علي عبد الله، **التقليد والتجديد في الشّعر العربي**، ص٩٢. ومجاهد مصطفى بهجت، **التيار الإسلامي في شعر العصر العباسيّ الأوّل**، ط١، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٨٢م، ص٢٤.

(٤) ينظر: ظافر القاسمي، **نظرات في الشّعر الإسلامي والأمويّ**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٧م، ص٢١، ويحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص١١٧-١١٩، و ص٣٥٠.

(٥) ينظر: يحيى الجبوري، **المرجع نفسه**، ص٣٥٧.

الشّعراءَ إليها إلاّ الطمعُ في أن يزيدَ ما ينالونه على قصائدهم من عطاء الأمويّين[١]، فعاد معظم شعر الجهاد في العصر الأمويّ أشبهَ بالشعر الجاهلي في طريقته وطبيعته، كما كان جانب كبير من الشّعر الجاهلي متعلّقاً بالحياة القبلية، وبالتالي فترت اللمسة القرآنية في معالجة تلك الأفكار والمعاني المذكورة في هذا العصر.

(١) ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥م، ج١، ص ٣٧١.

الفصل الثالث
الصور القرآنية في شعر الجهاد

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد: تعريف الصورة

المبحث الأول: صورة المعارك الإسلامية

المبحث الثاني: صور أخرى

المبحث الأول

صورة المعارك الإسلامية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صورة الغزوات في زمن الرسول ﷺ

المطلب الثاني: صورة المعارك الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين والأمويين

تمهيد:

الصورة مصطلح من المصطلحات التي لم يتمَّ الاتفاق عليها قديماً وحديثاً، فتعدَّد مفهومُها في النقد القديم والحديث، ولعلّ التعريف العامّ أو المطلق لها هو ما يتماثل بوساطة الكلام للمتلقّي من مدرَكات حسّاً، ومعقولاتٍ فهماً، ومتخيَّلات تصوّراً، وموهومات تخميناً، وأحاسيس وجداناً، وما إلى ذلك من الأشياء والأُمور التي تفضي إليها هذه القوة أو تلك من القوى المركَّبة في الإنسان وعياً ومن غير وعي[١]، أو كما قال داود سلوم في كتابه "النقد الأدبي" بأن الصورة هي امتزاج المعنى والألفاظ والخيال كلها[٢].

إن الكلام الذي يمثِّل الصورة على هذا النحو قد يكون كلمة مفردة، وقد يكون جملة مركّبة، وقد يكون فقرة ممتدّة، وقد يكون نصّاً مؤتلفاً[٣].

ويرجع الحكم على جمال الصورة ودقّتها إلى مدى ما استطاعت أن تحقّقه من تناسب بين حالة الأديب الداخلية وما يصوِّره في الخارج تصويراً دقيقاً خالياً من الجفوة والتعقيد، فيه روح الأديب وقلبه[٤].

والصورة ليست شيئاً جديداً، فإن الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر[٥]. فقدرة الشاعر وموهبته تقاسان بمدى تمكّنه من التفكير، ونقل التجربة الشعورية عن طريق الصور[٦]، لأن الشعور يظلّ مبهماً في نفس الشاعر، فلا يتّضح للمتلقّي إلا بعد أن يتشكّل في صورة[٧].

---

(١) كامل حسن البصير، **بناء الصورة الفنية في البيان العربي**، ص٢٦٧.

(٢) نقلاً عن: كامل حسن البصير، **المرجع نفسه**، ص١٧١.

(٣) كامل حسان البصير، **المرجع نفسه**، ص٢٦٧.

(٤) ينظر: أحمد الشائب، **أصول النقد الأدبي**، ط١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٤٩-٢٥٠، وعبد الفتاح صالح نافع، **الصورة في شعر بشار بن برد**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٣م، ص٥١، ورامية محفوض، "الصورة الفنية في شعر ذي الرمّة"، رسالة الدكتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سوريا، ١٩٩٨م، ص١.

(٥) إحسان عباس، **فنّ الشعر**، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م، ص٢٣٠.

(٦) محمد ناصر بوحجّام، "أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث (١٩٢٥م-١٩٧٦م)"، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٩٨٧م، ص١٨٨.

(٧) ينظر: عز الدين إسماعيل، **التفسير النفسي للأدب**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٧٢، **والشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م، ص١٣٦.

والصورة أيضاً وسيلة مهمَّة للإقناع[١]، كما أن جميع الأساليب التي يتوخّاها القرآن الكريم للإقناع، تعتمد على التصوير وسيلة لإيصال فكرة، أو تقرير حقيقة، أو إعطاء درسٍ، أو تقديم عبرة....، مهما اختلفت الموضوعات، وتنوَّعت الاهتمامات، لِما للتصوير من فعاليّة في التشخيص والإيضاح[٢]، يقول سيد قطب: "التصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن. فهو يعبِّر بالصورة المحسّة المتخيّلة عن المعنى الذهنيّ، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية"[٣].

فقد حاول الشعراء المسلمون استلهام الصور القرآنية بالاقتباس والتضمين، وفيما يلي نماذج لهذا الاستلهام في إبراز الصور المستخدمة في شعرهم الجهادي.

المطلب الأول: صورة الغزوات في زمن الرسول ﷺ

سجّل الشعراء الغزوات التي خاضها المسلمون ضدَّ جحافل الشِّرك وطغيان الجبابرة تسجيلاً مشرباً بالفخر عندما ينتصر المسلمون، ومشرباً بمرارة الإخفاق في غير ذلك، لقد كانت أوَّلُ غزوة ثبتت فيها قوة المسلمين وفرضت هيبتهم على الأعداء المشركين غزوة بدر، فقد كانت هزيمة منكرة لقريش، حيث رجعت من المعركة خائبة مندحرة تنوح على قتلاها وتهجو المسلمين، وقد كثرت الأشعار التي تدور حول هذه الغزوة؛ إذ أثلج نصرُ المسلمين فيها صدورَ شعرائهم، فراحوا ينظمون القوافي في التغنِّي بهذا النصر.

وقد نزلت عقب هذه الغزوة سورة الأنفال، تناولت المعركةَ وصوَّرتْها من كل وجه وبأسلوب قرآنيّ لا يرقى إليه أُسلوب، وقد حاول الشعر أن يستفيد من هذه السورة، فوفَّق في جانب وفاتته جوانب كثيرة[٤].

قال حسان بن ثابت يصوِّر فضلَ الله تعالى على المؤمنين في هذه المعركة وتسديد خطاهم ونصرهم مع قلَّتهم على المشركين مع كثرتهم[٥]:

---

(١) ينظر: جابر عصفور، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م، ص٣٣٢، ومحمد ناصر بو حجام، "أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث"، ص١٩٣.

(٢) ينظر: محمد ناصر بوحجّام، **المرجع نفسه**، ص١٩٤.

(٣) سيد قطب، **التصوير الفنِّيُّ في القرآن**، ط١١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٣٤.

(٤) ينظر: يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص٣٧٠.

(٥) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٢-٢٣. الزحوف: جمع زحف وهي الجماعة تزحف إلى مثلها، أي تسرع وتسبق. ألّبوا: جمعوا. ما تضعضعنا: ما تذلنا ولا تنقص من شجاعتنا. الحتوف: جمع حتف وهو الموت. لقحت: حملت. الكشوف: الناقة التي يضربها الفحل في الوقت الذي لا تشتهي فيه الضراب، فاستعار هنا للحرب. لقحت الحرب: إذا هاجت بعد سكون.

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللهِ قَوْماً ... وَإِنْ كَثُرُوْا وَأُجْمِعَتِ الزُّحُوْفُ

إِذَا مَا أَلَبُّوْا جمعاً عَلَيْنَا ... كَفَانَا حَدَّهُمْ رَبٌّ رَءُوْفُ

سَمَوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالْعَوَالِيْ ... سِرَاعاً مَا تُضَعْضِعُنَا الْحُتُوْفُ

فَلَمْ تَرَ عُصْبَةٌ فِي النَّاسِ أَنْكَى ... لِمَنْ عَادَوْا إِذَا لَقِحَتْ كَشُوْفُ

وَلٰكِنَّا تَوَكَّلْنَا وَقُلْنَا ... مَآثِرُنَا وَمَعْقِلُنَا السُّيُوْفُ

لَقِيْنَاهُمْ بِهَا لَمَّا سَمَوْنَا ... وَنَحْنُ عِصَابَةٌ وَهُمْ أُلُوْفُ

ففي هذه الأبيات صورة المعركة المقتبسةُ من بعض الآيات القرآنية في سورة الأنفال؛ فقد أخذ الشاعر معنى بيته الأول: ﴿وَإِذْ يُرِيكَهُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾(١).

وينهي الشاعر الأبيات متأثّراً بما في الآية الكريمة: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢). فحقّاً لقد كان عدد المؤمنين رجالاً لا يزيد على الثلاثمائة، بينما كان عدد المشركين كما أوضح ابن هشام يربو على ألف مقاتل، وذلك حين سأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلين لأبي سفيان عثر عليهما المسلمون قبيل المعركة فسألهما: كم القوم؟، قالا: كثير، قال: ما عِدّتهم؟، قالا: لا ندري: قال كم ينحرون كل يوم؟، قالا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً، فقال رسول الله ﷺ: القوم فيما بين التسع مئة والألف(٣)، وكذلك الشاعر في بيته هذا ينظر إلى قوله تعالى: ﴿....كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٤).

ويصوّر كعب بن مالك أسباب النصر، وتتلخّص في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم الصادق الوعد الأمين الشجاع الذي يمضي أمام الجنود يقودهم بعون الله ليضرب بيد الله تعالى، فكانوا له طائعين عملاً بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(٥)،

---

(١) الأنفال: ٤٤.

(٢) الأنفال: ٢٦.

(٣) ينظر: السيرة النبوية، ق١، ص٦١٧.

(٤) البقرة: ٢٤٩.

(٥) النساء: ٥٩.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[١]، فهذا تأثّر واضح للشاعر بآيات القرآن الكريم في قوله[٢]:

فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ ثُمَّ يتبعُهُ ... نُورٌ مُضِيءٌ لَهُ فَضْلٌ على الشهبِ

الحَقُّ مَنْطِقُهُ وَالْعَدْلُ سِيْرَتُهُ ... فَمَنْ يُجِبْهُ إِلَيْهِ يَنْجُ مِنْ تَبَبِ

نَجْدُ المقدَّم مَاضِي الْهَمِّ مُعْتَزِمٌ ... حِيْنَ القلوب على رَجْفٍ مِنَ الرُّعبِ

بَدَا لَنَا فَاتَّبَعْنَاهُ نُصَدِّقُهُ ... وَكَذَّبُوْهُ فَكُنَّا أَسْعَدَ الْعَرَبِ

جَالُوْا وَجُلْنَا فَمَا فَاءُوْا وَمَا رَجَعُوْا ... وَنَحْنُ نَثْفِنُهُمْ لَمْ نَأْلُ فِي الطَّلَبِ

لَيْسَا سَوَاءً وَشَتَّى بَيْنَ أَمْرِهِمَا ... حِزْبُ الْإِلٰهِ وَأَهْلُ الشِّرْكِ وَالنُّصُبِ

وفي البيت الأخير يبيّن الشاعر الفرق الشاسع بين حزب الله وحزب الشيطان مستلهماً صورَ المعاني القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿....أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤]، وقوله: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٥].

أما حمزة بن عبد المطلب[٦] فاستعان بقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٧] في تصوير عامل من عوامل النصر يوم بدر وهو نزول الملائكة جنودِ الله يقاتلون مع المسلمين فقال[٨]:

وَفِينَا جُنُوْدُ اللهِ حِيْنَ يُمِدُّنَا ... بِهِمْ فِيْ مَقَامٍ ثُمَّ مُسْتَوْضَحِ الذِّكْرِ

---

(١) النور: ٥٢.

(٢) كعب بن مالك، **ديوانه**، ص١٧٤-١٧٥. تبب: خسران وهلاك. نجد المقدّم: شجاع. الرجف: التحرك والاضطراب. الرعب: الفزع. جالوا: تحرّكوا. نثفنهم: نطردهم ونتبعهم. لم نألُ: لم نقصر. النصب: حجارة كانوا يذبحون لها ويعظّمونها في الجاهلية.

(٣) المائدة: ٥٦.

(٤) المجادلة: ٢٢.

(٥) المجادلة: ١٩.

(٦) حمزة بن عبد المطلب الهاشمي القرشي عم النبي ﷺ، سيّد، بطل، أسلم وناصر الإسلام مناصرة عظيمة وهاجر واستشهد يوم أحد. ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج٢، ص١٠٥-١٠٧.

(٧) الأنفال: ٩.

(٨) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٩.

فَشَـدَّ بِـهِمْ جِـبْرِيْلُ تَحْتَ لِوَائِنَـا لَـدَى مَـأْزِقٍ فِيْـهِ مَنَايَـاهُمُ تَجْـرِيْ

ومهما كان الشعر الذي قيل يوم بدر موفّقاً في تصوير المعركة، فإنه لم يبلغ به التوفيق أن يفيد الإفادة الكاملة من سورة الأنفال[١]، فالصور التي تناولها الشعر كانت عامّة، ولم يتوصَّل الشعراء إلى إدراك المعاني البعيدة الرائعة التي صوَّرتها سورة الأنفال وفهمها، لقد ردّد الشعر بعض ما جاء في السورة إلا أنه ترديد ليس بذي خطر كبير[٢].

وأما معركة أُحد فقد كانت امتحاناً لعقيدة المسلمين واختباراً لثباتهم وهي في الوقت نفسه هزّة عنيفة لكيانهم، وقد انتهت المعركة العسكرية باستشهاد عددٍ غير قليل من المسلمين، فبدأت المعركة الشعرية بين المشركين الذين غرّتهم زهوة النصر وخدعهم بريقه المؤقّت والمسلمين الذين حاولوا تخفيف وطأة الهزيمة على نفوس المسلمين، وحاولوا إخبارهم أن الحرب سِجال، وأن الدهر يومان، وهكذا تأتي قصيدة كعب بن مالك التي ردَّ بها على هبيرة بن أبي وهب[٣] الذي قال في مطلع قصيدته بعد المعركة[٤]:

مَا بالُ همٍّ عميدٍ باتَ يَطْرُقُنِـيْ بِالوُدِّ مِن هندَ إذ تَعْدُوْ عَوَادِيْـها

فأجابه كعب بن مالك الذي شهد المعركة وأدّى فيها دوره الذي سجّل في سجل الجهاد والنضال، فقال قصيدته التي وصلت إلى ثمانية وأربعين بيتاً بدأها بقوله[٥]:

أَلَا هَلْ أَتَىٰ غَسَّـانَ عَنَّـا ودونَـهمْ مِن الأرضِ خَرْقٌ سَـيْرُهُ مُتَتَعْتِـعُ

ثم يصوّر كعب بن مالك ما حدث قبل الغزوة من إصرار القوم على الخروج لملاقاة الأعداء، وهو الموقف الذي استشار الرسول صلى الله عليه وسلم فيه أصحابه عندما علم بمقدم قريش، والذي رأى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أن الغالبية من الشباب يودّون الخروج لملاقاة عدوهم، فسجّل الشاعر هذا الموقف، وسجّل كذلك حث الرسول صلى الله عليه وسلم لجنوده في أبيات تتضح فيها أمارات الإيمان بالله تعالى وبرسوله ودلائل اليقين الذي ملأ قلوبهم

---

(١) الآيات ٥-٦٥.

(٢) ينظر: يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص٢٦٨-٢٦٩.

(٣) هبيرة بن أبي وهب من شعراء قريش المعروفين بشعرهم في الجاهلية، وكان شديد الخصومة لرسول الله ﷺ والمسلمين، ناضل بسيفه ولسانه، وقد بقي مكابراً معتزاً بالإثم، فلم يُسلِم ولم يمسّ الإيمان قلبه. ينظر: ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ص٢٥٧، ويحيى الجبوري، **المرجع نفسه**، ص١٤٤ وما بعدها.

(٤) ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٢٩-١٣٠. العميد: المؤلم الموجع. العوادي: الشواغل.

(٥) ينظر: ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص١٣٢-١٣٥. الخرق: الفلاة الواسعة التي تتخرق فيها الريح. متتعنع: مضطرب، وروي "منتعتع أي متردّد".

بحبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعة أمره، لأنه يتدلّى عليه وحي الله من السماء، يقول الشاعر[١]:

وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعَرْضِ قَالَ سَرَاتُنَا ... عَلَامَ إِذَا لَمْ تمنَع العِرض نزرعُ

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ ... إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا نَتَطَلَّعُ

تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوْحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ... يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ

نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وقصرُنا ... إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَّا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ

وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ لَمَّا بَدَوْا لَنَا ... ذَرُوْا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوْا

وَكُوْنُوْا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقَرُّباً ... إِلَى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ

وَلٰكِنْ خُذُوْا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوْا ... عَلَى اللهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلهِ أَجْمَعُ

تبدو السمات الإيمانية في الأبيات السابقة وتأثّر الشاعر بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿....وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٢]، وفي البيت السادس يسترشد الشاعر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣]، ويختم الشاعر حديثه بإشارة عظيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن المؤمنَ الحق هو الذي يأخذ بالأسباب ثم يترك النتائج إلى الله سبحانه وتعالى كما جاء في قوله جلّ وعلا: ﴿....وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٤]، فالمؤمن يتوكّل على الله ولا يتّكل على غيره، لذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر المؤمنين أن يستعدّوا للقاء الأعداء، وأن يتسلّحوا بالسلاح الذي يكفل لهم مواجهة هؤلاء المعتدين، ثم بعد ذلك عليهم أن يتوكّلوا على الله تعالى.

---

(١) ابن هشام: **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٣٣. ابتنوا: ضربوا أبنيتهم. العرض: واحد أعراض المدينة وهي قراها التي في أوديتها. سراتنا: خيارنا. لا نتطلّع: لا ننظر إليه إجلالاً وهيبة له. الروح: جبريل عليه السلام. قصرنا: غايتنا. يشري: يبيع.

(٢) آل عمران: ١٥٩-١٦٠.

(٣) آل عمران: ١٦٩.

(٤) البقرة: ٢١٠.

ويستمرّ كعب بن مالك يتحدَّث عن هول هذه المعركة مؤكّداً أن الله إذا قدَّر أمراً فلا رادّ لقضائه وأمره، قال جلّ جلاله: ﴿....وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[١]، يقول الشاعر[٢]:

فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرَّحَى ... وَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ مَدْفَعُ

ثم يصوّر كعب بن مالك النتائج التي أسفرت عنها المعركة، ويبدو أن هذا الشاعر لا يدفع غلبة المشركين كما دفعها حسان بن ثابت بذكر انتصار المسلمين في معركة بدر[٣]، بل يُقرُّ بها، ثم يوجّهها توجيه الرجل المؤمن الذي يرى أن ما عند الله خير وأبقى، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿...وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٤]، يقول الشاعر[٥]:

فَنِلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرُبَّمَا ... فَعَلْنَا وَلٰكِنْ مَا لَدَى اللهِ أَوْسَعُ

فهذا البيت يصوّر أن النصر لم يكن حليف المسلمين في هذه الموقعة، وهو يوحي أيضاً بأن أول المعركة كان للمسلمين وآخرها كان عليهم.

والملاحظ أن كعباً قد حاول الاستفادة من بعض الآيات القرآنية الستّين من سورة آل عمران التي تتحدَّث عن قصَّة أحد[٦]، ولكنه لم يستطع أن يفيد الإفادة التامّة منها في تصوير أحداث هذه المعركة، فهذه الآيات القرآنية قد تناولت كل ظروف المعركة وملابساتها، دقائقها وتفصيلاتها، فقد بيّنت أسباب الهزيمة، وعيّنت في الوقت نفسه طريق النصر، وعاتبت المسلمين

---

(١) الأحزاب: ٣٨.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٣٤. رحى الحرب: معظم موضع القتال فيها. حمّه الله: قدّره.

(٣) على سبيل المثال، تنظر الأبيات الآتية التي قالها راداً على هبيرة بن أبي وهب:

سُقْتُمْ كنانةَ جَهْلاً من سفاهتكم ... إلى الرسولِ فجندُ الله مُخْزِيها

أَوْرَدْتموها حياضَ الموتِ ضاحيةً ... فالنار موعدها والقتلُ لاقيها

جَمَّعْتموها أحابيشاً بلا حَسَبٍ ... أئمَّةَ الكفرِ غرّتكم طواغيها

ألا اعتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللهِ إذْ قتلتْ ... أهلَ القَليب ومَن ألقَيْنَه فيها

كم من أسيرٍ فككناه بلا ثَمَنٍ ... وجَزّ ناصيةٍ كُنّا مواليها

ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص١٣٢.

(٤) الشورى: ٣٦.

(٥) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص١٣٥.

(٦) الآيات: ١٢١-١٨٠، وتتحدث عن غزوة بدر أيضاً.

وعنفتهم حيناً، ثم التمست لهم العذر في حين آخر، ووصفت القتال وبيّنت هول المعركة وفزع الناس، ثم مسحت على قلوب المؤمنين بالطمأنينة والأمن[١].

وفي غزوة الخندق وبني قريظة، كان نصيب الأحزاب[٢] الفشل والخذلان، وكان نصيب بني قريظة القتل والإذلال[٣]، وقد قيل في هذه الغزوة شعر كثير، ففي قصيدة كعب بن مالك القافيّة التي مطلعها[٤]:

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بَعْضُه ... بَعْضاً كَمَعْمَعَةِ الْأبَاءِ الْمُحْرَقِ

صوّر كعب بن مالك في هذه القصيدة المعدّات الحربية لدى المسلمين من الكَتِيْبة والخيل والفرسان والسلاح في معرض فخره بشجاعة المسلمين وقوّتهم وقدرتهم على دَحْرِ الشرك وأهله، ثم وقف في ختامها يُجلِّي الغاية من إعداد هذه الكتيبة ألَا وهي: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ....﴾[٥]، وفي ضوء هذه الآية يقول الشاعر[٦]:

أَمَرَ الْإِلٰهُ بِرَبْطِهَا لِعَدُوِّهِ ... فِي الْحَرْبِ إِنَّ اللهَ خَيْرُ مُوَفِّقِ

لِتَكُوْنَ غَيْظاً لِلْعَدُوِّ وَحُيَّطاً ... لِلدَّارِ إِنْ دَلَفَتْ خُيُوْلُ النُّزَّقِ

فتلك المعدّات الحربية ليست لاعتداء، ولا أخذاً بثأر، ولا استجابة لنزوة طائشة من نزوات النفوس، وإنما هي تنفيذ لأمر الله، لتكون رباطاً للجهاد، ولتكون غيظاً للكفار، وحماية للذمار.

---

(١) ينظر: يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص٢٧٦-٢٧٩.

(٢) الأحزاب هم قريش بقيادة أبي سفيان، وغطفان بقيادة عيينة بن حصن، وبنو أسد بإمرة طليحة، وبنو عامر بزعامة عامر بن الطفيل، وبنو سُليم يقودهم أبو الأعور السلمي، وبنو النضير من اليهود برئاسة حُيَيّ بن أخطب وأبناء أبي الحقيق، وبنو قريظة من اليهود أيضاً وسيدهم كعب بن أسد، وقد نقض هؤلاء اليهود عهدهم مع النبي ﷺ وتواطأوا مع قريش. وبلغ مجموع الأحزاب عشرة آلاف، أو زهاء اثني عشر ألفاً. ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢١٤-٢١٥. ووهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢١، ص٢٥٨، وصفيُّ الرحمن المباركفوري، **الرحيق المختوم**، ط١، دار السلام، الرياض، ١٤١٨هـ، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٣) ينظر: ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٢٣٣-٢٥٤.

(٤) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٢٦١. المعمعة: صوت التهاب النار وصريفها. الأباء: القصب واحدها أباءة. معمعة الأباء: صوت الحريق في القصب.

(٥) الأنفال: ٦٠.

(٦) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٢٦٢. حُيَّط: جمع حائط وهو اسم الفاعل من "حاط يحوط". دلفت: قربت. النزق: الغاضبون السيئو الخلق؛ الواحد: نازق.

وصوّر كعب بن مالك في قصيدة أخرى له ما آل إليه أمر هذه المعركة من هزيمة المشركين بعد أن عرض لاستشهاد سَعْد بن معاذ[١] فيها، فيقول[٢]:

فَإِمَّا تَقْتُلُوْا سَعْداً سَفَاهاً ... فَإِنَّ اللهَ خَيْرُ الْقَادِرِيْنَا

سَيُدْخِلُهُ جِنَاناً طَيِّبَاتٍ ... تَكُوْنُ مُقَامَةً لِلصَّالِحِيْنَا

كَمَا قَدْ رَدَّكُم فَلاًّ شَرِيْداً ... بِغَيْظِكُمُ خَزَايَا خَائِبِيْنَا

خَزَايَا لَمْ تَنَالُوْا ثَمَّ خَيْراً ... وَكِدْتُمْ أَنْ تَكُوْنُوْا دَامِرِيْنَا

بِرِيْحٍ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ ... فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّهِيْنَا

يتوجّه كعب إلى المشركين، فيَصْفَعُهم صفعاتٍ أليماتٍ موجعات، معلِناً لهم أنهم إن قتلوا سعد بن معاذ سفهاً وعدواناً، فإن الله العزيز القادر سيدخله جنات عدن، كما ردّ قَتَلَتَه على أعقابهم خزايا خائبين خاسرين مع غيظهم، لم يحقّقوا أمراً، ولم ينالوا أي خير من غنيمة أو أسر أو نصر حاسم، هالكين بريح عاصف، أرسلها الله تعالى عليهم فأعمى بها منهم الأبصار، فالصورة في أبياته الأخيرة مقتبسة من قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا.... ﴾[٤].

ويستفيد حسان بن ثابت من الآيتين الكريمتين السابقتين في قصيدته التي مطلعها[٥]:

هَلْ رَسْمُ دَارِسَةِ الْمُقَامِ يَبَابِ ... مُتَكَلِّمٌ لِمُحَاوِرٍ بِجَوَابِ

---

(١) سعد بن معاذ بن النعمان شهد بدراً وأحداً والخندق، مات شهيداً إثر انفجار جرحه بعد انقضاء شأن بني قريظة، وكان قد رماه حِبّان بن العَرِقة بسهم يوم الخندق فعاش بعد إصابته شهراً واحداً، قال عنه الرسول ﷺ: "لقد اهتزّ العرش لوفاة سعد بن معاذ". ينظر: المَزّي، أبو الحجّاج يوسف (ت٧٤٢هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق بشار بن عواد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م، ج٣، ص١٢٨-١٢٩، والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١، ص٢٧٩.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٥٦. الفَلّ: القوم المنهزمون. الشريد: الطريد النافر من الخوف والفزع. دامرين: هالكين. المتكمّه: الأعمى الذي لا يبصر.

(٣) الأحزاب: ٩.

(٤) الأحزاب: ٢٥.

(٥) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٢٥٨. اليباب: القَفْر أي الذي ليس فيه أحد. المحاور: الذي يراجعك ويتكلم معك.

فيها يبيّن أن الذين جاءوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتهاب الغنائم، قد ردّ الله تعالى كيدَهم، وأرسل عليهم ريحاً عاصفاً وجنوداً لم يروها، فرّقت جمعَهم، فيقول[١]:

حَتَّى إِذَا وَرَدُوْا المَدِيْنَـــةَ وارْتَجَـــوْا ... قَتْـــلَ النَبِـــيِّ ومَغْنَـــمَ الأسْـــــلابِ

وغَـــدَوْا عَلَيْنَـــا قَـــادِرِيْنَ بِـــأيْدِهِمْ ... رُدُّوا بِغَيْظِـــهِمُ عَلَـــى الأعْقَـــــابِ

بِهُبُوبِ مُعْصِفَـــةٍ تُفَـــرِّقُ جَمْعَـــهُم ... وجُنُـــوْدِ رَبِّـــكَ سَـــيِّدِ الأَرْبَـــــابِ

فَكَفَـــى الإلَـــهُ لِلْمُؤمِنِيْـــنَ قِتالَـــهُمْ ... وأَثَابَهُمْ فِي الأجْـــرِ خَـــيْرَ ثَـــوَابِ

مِنْ بَعْدِ ما قَنَطوا ففَـــرَّقَ جَمْعَـــهُم ... تَـــنْزِيْلُ نَصْـــرِ مَلِيْكِنَـــا الوَهَّـــــابِ

ويبدو أن حسّاناً قد تأثّر بآية قرآنية أُخرى؛ فصدر البيت الرابع كأنه منقول نقلاً من قـــول الحق جلّ وعلا: ﴿....وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ....﴾[٢]، وأما عجز البيت فهو ترديد لما ورد فـــي قوله تعـــالى: ﴿....فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[٣].

وهكذا صوَّر الشعر غزوة الخندق وبني قريظة متأثّراً ببعض الآيات القرآنية من ســـورة الأحزاب ومِن غيرها، ولقد تناولت سورة الأحزاب[٤] كل صغيرة وكبيرة من أمـــر الأحـــزاب والمنافقين والمؤمنين، فصوّرت هذه الغزوةَ أحسن تصوير[٥]، أما الشـــعر فلـــم يصوّرهـــا إلا تصويراً قوامه الفخر وإبراز قوّة المسلمين الماديَّة والمعنويَّة، وأن الله ﷻ من ورائهم ينصرهـــم على أعدائهم، ويردّ عنهم كيد المعتدين.

من العرض السابق يلاحظ أن الشعر الذي قيل في تصوير الغزوات في زمن الرسول ﷺ أفاد من الآيات القرآنية التي نزلت في تلك الأحداث، إلا أن تلك الإفادة كانت بقدر ضئيل وفـــي حدود معينة.

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٥٨-٢٥٩. الأسلاب: جمع سلب وهو ما يأخذه أحد القرنيـــن فـــي الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابة. الأيد: القوة. بغيظهم: مغتـــاظين. المعصفـــة: الريح الشديدة.

(٢) الأحزاب: ٢٥.

(٣) آل عمران: ١٩٥.

(٤) الآيات: ٩-٢٧.

(٥) ينظر: يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص٢٨٣-٢٨٥، ووهبة الزحيلـــي، **التفســـير المنير**، ج٢١، ص٢٦٥-٢٨٠.

المطلب الثاني: صورة المعارك الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين والأمويين

استمرّ شعراء المسلمين في اقتباس الصور القرآنية في تصويرهم للمعارك الإسلامية التي حدثت في زمن الخلفاء الراشدين والأمويين.

ولما كانت حركة الردَّة خطراً داهماً هدَّدَ كيان الدين، فقد رأى أَوْسُ بْنُ بُجَيْر الطائي[١] أن في جهاد المسلمين سوط عذاب سلّطه الله تعالى على رقاب أعداء دينه، فيقول[٢]:

وَلَيْتَ أَبَا بَكْرٍ يَرَى فِي سُيُوْفِنَا ... وَمَا نَجْتَلِيْ مِنْ أَذْرُعٍ وَرِقَابِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... يَصُبُّ عَلَى الْكُفَّارِ سَوْطَ عَذَابِ

فالعذاب الذي سلّطه الله تعالى على المرتدّين عبَّر عنه الشاعر بما يوحي بوقعه الأليم وشدَّة التنكيل، فعبّر عنه بصبّ سوط العذاب عليهم، أخذ الشاعر هذه الصورة من قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[٣]، فالله تعالى أنزل العذاب وأفرغه على المرتدّين إفراغاً كما أفرغه على قوم عاد وثمود وفرعون من الطغاة والجبابرة الذين أظهروا الفساد في الأرض حتى يذيبهم ويفنيهم كالخسف والصعق والغرق[٤].

وبعد القضاء على حركة الردّة انطلق المسلمون ينشرون دين الله فيما حولهم من البلاد، وبدأت حركة الفتوح، ففي فتوح الشام كانت المعركة الدائرة بين جحافل الإيمان وجحافل الشرك شديدة عنيفة، وحين أراد المقداد بن الأسود الكندي أن يصف ما آل إليه أمر هذه المعركة من هزيمة جحافل الشرك بحث عن العبارة أو الصورة التي تسعفه في الكشف عن هذه الهزيمة الفظيعة فلم يجدها إلا في عبارة "صرعى كأعجاز نخل" فقال[٥]:

أَنَا الْمِقْدَادُ فِيْ يَوْمِ النِّزَالِ ... أُبِيْدُ الضِّدَّ بِالسُّمْرِ الْعَوَالِيْ

إلى أن يقول:

فَيَا وَيْلَ الْعِدَا وَالرُّوْمُ مِنَّا ... إِذَا الْتَحَمَ الْفَوَارِسُ فِي الْقِتَالِ

---

(١) أوس بن بجير الطائي شهد وقعة بُزَاخَة مع خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر. ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج١، ص٣٥٧.

(٢) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج١، ص٣٥٧.

(٣) الفجر: ١٣.

(٤) تنظر: العنكبوت: ٤٠.

(٥) **الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص٢٢٦.** النصال: جمع نَصل؛ حديدة الرمح والسهم.

وَهُمْ صَرْعَى كَأَعْجَازٍ لِنَخْلٍ بقعها الفوارس بِالنِّصَالِ

فأصبح أولئك الأعداء مصروعينَ بالأرض موتى مطروحينَ هالكينَ كأنهم أصولُ نخلٍ ساقطةٍ، والصورة نَقْلٌ لما جاء في قولهِ تبارك وتعالى: ﴿....فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(١).

وفي معركة القادسية حاول الشعراء المجاهدون أن يصفوا ضخامة جيش الفرس، فشبّهها بِشْرُ بْنُ ربيعة الخَثْعمي(٢) بالجبال، كما وصف الله تعالى في كتابه العزيز الموجَ في عظم حجمها وارتفاعها كالجبال الشامخة الشاهقة: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ....﴾(٣)، يقول الشاعر(٤):

أَنَخْتُ بِبَابِ الْقَادِسِيَّةِ نَاقَتِيْ وَسَعْدُ بْنُ وَقَّاصٍ عَلَيَّ أَمِيْرُ

إلى أن يقول:

تَذَكَّرْ هَدَاكَ اللهُ وَقْعَ سُيُوْفِنَا بِبَابِ قُدَيْس وَالْمَكَرُّ عَسِيْرُ
عَشِيةَ وَدَّ الْقَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُعَارُ جَنَاحَيْ طَائِرٍ فَيَطِيْرُ
إِذَا مَا فَرَغْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتِيْبَةٍ دَلَفْنَا لِأُخرى كَالْجِبَالِ تَسِيْرُ

وفي هذه القصيدة أيضاً كأن الشاعر يريد أن يوضّح مصير ذلك الجيش الضخم من الهزيمة والهلاك، فلجأ الشاعر إلى صورة قدّمها القرآن الكريم في سياق وصف ما يصاحب قيام القيامة، ومِن بينه سيرُ الجبال سيراً عن وجه الأرض، فتصيرُ هَباءً منثوراً(٥)، قال الله جلّ جلاله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾(٦)، فأسند الشاعر إلى الجبال الفعلَ "تسير" أي كالجبال تسير،

---

(١) الحاقة: ٧.

(٢) بشر بن ربيعة بن عمرو الخثعمي مصريٌّ له صحبة، وقيل من أهل الشام، وشهد القادسية. ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج١، ص٤٢٨، وص٤٣٩، وص٤٦٧، وابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٣٩١.

(٣) هود: ٤٢.

(٤) الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٥، ص٢٣٣-٢٣٤. قُديس: موضع بناحية القادسية. دَلَفْنا: تقدّمنا.

(٥) **ينظر: الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر (ت١٠٦٩هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٦، ص١٨٥. وج٨، ص٦٠٧. وج٩، ص٦٦.

(٦) الطور: ١٠.

ليمنحه الطاقةَ التصويرية الكافية. كل ذلك ليؤكّد شجاعة مجاهِدي المسلمين وبسالتهم وقوة بأسهم، الذين استطاعوا أن ينتصروا على جيش الأعداء الكافرين.

وفي معركة القادسية نفسها، أراد القعقاع بن عمرو التميمي[١] أن يصوّر طعنه القويّ الشديد، فقال معلِناً ثباته واستبساله رغبة منه في ثواب الجنّة[٢]:

أُزْعِجُهُمْ عمداً بِهَا إِزْعَاجَا
أَطْعُنُ طَعْناً صَائِباً ثَجَّاجَا
أَرْجُو بِهِ مِنْ جَنَّةٍ أَفْوَاجَا

استخدم الشاعر الفعلْ "أَطْعُنُ" الذي تغلِب عليه القوّةُ والشدّةُ، ولأجلِ تأكيدِ معناه حدَّد نوعيَّةَ هذا الطعنِ بِـ "ثجّاجاً"؛ بما يمنح الصورة حركةً أقوى، فطعنُهُ قويٌّ شديدٌ عميقٌ كثيرٌ متتابِع منصَبٌّ على الأعداء، وقد اعتمد الشاعر في تصويره هذا على ما جاء في التنزيل العزيز في وصف المطرِ الصبّابِ الكثيرِ الهَطولِ، قال عزّ من قائل: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾[٣].

أما في وقعة صِفّين فقد كانت ضرباتُ أنصارِ عليٍّ بن أبي طالب قويةً شديدةً، وللتعبير عنها وجد عمّار بن ياسر[٤] في القرآن الكريم ضالّته، وما يَرْوي غليلَه، فيقتبسُ منه وصفَ الله تعالى لأهوالِ يومِ القيامة، يقول عَمّارٌ منذّداً بما يراه من اغتصاب معاوية بن أبي سفيان للخلافة وظلمِه لعليّ، ومؤكداً على أحقية عليٍّ بقتاله، يقول مخاطباً معاوية وأنصارَه[٥].

نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

---

(١) القعقاع بن عمرو التميمي أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام، شهد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع الفرس، وسكن الكوفة، فأدرك وقعة صفين فحضرها مع علي ﷺ، وكان شاعراً فحلاً. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٤٨-٤٩.

(٢) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٥٤٦.

(٣) النبأ: ١٤.

(٤) عمار بن ياسر أبو اليقظان العَنْسيّ مولى بني مخزوم، صحابي مكي جليل، ومقاتل شجاع، عذّب هو وأله في ذات الله بمكة، وكان يوم صفين من أنصار علي رضي الله عنه، وقتل بصفين عام ٣٧هـ عن ٩٣ سنة. ينظر: المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج٥، ص٣١٩-٣٢٢. وعبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص٧٧-٧٨.

(٥) **نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين**، ص٣٤١. الهام: جمع هامة وهي الرأس. مقيل الرأس: محل نومه نصف النهار، مستعار من موضع القائلة، فهو كناية عن محل الراحة؛ إذ النوم أعظم راحة، أو شبه به العنق بجامع أنه محل الاستراحة، أي يزيل الرأس عن العنق. الذهول: الغفلة عن الشيء مع دهشة.

فَـالْيَوْمَ نَضْرِبُكُـمْ عَلَـى تَأْوِيْلِـهِ
ضَرْباً يُزِيْـلُ الْـهَامَ عَـنْ مَقِيْلِـهِ
وَيُذْهِـلُ الْخَلِيْـلَ عَـنْ خَلِيْلِـهِ
أَوْ يَرْجِـعُ الْحَـقُّ إِلَـى سَـبِيْلِهِ

فإنّ وقعَ معركة صفين وتأثيرَها على النفس شديدُ الأثر، حتى لتكون ضربات أنصار علي ابن أبي طالب القوية الشديدة مذهلة الخليل عن خليله، كما أن وقع القيامة وتأثيرها على النفس شديد الأثر، حتى لتكون زلزلتها مذهلة الأم الحنون عن طفلها الرضيع، قال تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ....﴾[١]، فيجد المقاتلُ نفسَه وحيداً وسط هذا الخِضَمّ الحاشد من المقاتلينَ المتراكضينَ الفَزِعينَ.

وفي العصر الأموي امتدَّت رُقعَةُ الفتوح الإسلامية إلى الصين شرقاً، وإسبانيا غرباً، والمناطق الواقعة جنوب الاتحاد السوفياتي مقابل الأطراف الشمالية من تركيا وإيران، فيما كان يعرف بأقاليم أرمينية وأذربَيْجان والخَزَر، وكان من نتيجتها كذلك أن دفعت الروم عن آسيا الصغرى شمالاً، وامتدَّت لتطال العاصمة البيزنطية أكثر من مرة[٢].

وقد مضى الشعر يواكب حركة الفتوح في هذه المناطق متأثّراً ببعض الصور القرآنية، ففي إحدى الحملات العسكرية على بلاد الروم، يصف بعض الشعراء قلق الأعداء وفزعهم من جيش المسلمين. يقول جرير في معرض مدحه لعبدِ العزيزِ بنِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ من أبرز القادة في تلك الحملات[٣]:

وَلِلتُّرْكِ مِنْ عَبْـدِ الْعَزِيْـزِ وَقِيْعَـةٌ وَلِلـرُّوْمِ يَـوْمٌ مَـا تُتِـمُّ حَوَامِلُـهْ

استمدّ الشاعر صورته من وصف الله عزّ وجلّ لبعض أهوال القيامة وهي سقوط الجنين من بطن الحامل من شدة الهول والخوف والفزع، يقول تعالى: ﴿....وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا....﴾[٤].

واستخدم جرير عبارة "خرّوا سجّداً" في تصوير حالة الخوف والفزع التي حاقتْ بالروم حين افتتح معاويةُ بنُ هشام بنِ عبد الملك أحدَ حصونهم، فقال[٥]:

---

(١) الحج: ١-٢.

(٢) ينظر: إبراهيم محمد غماري المغربي، "شعر الفتوح الإسلامية في العصر الأموي"، (المقدمة).

(٣) جرير، **ديوانه**، ص٣٤٩. ما تتمّ حواملُه: أي تسقط فيه الحوامل أجنتها.

(٤) الحج: ٢.

(٥) جرير، **المصدر نفسه**، ص١٤٣.

لَمَّا رَأَتْكَ عَلَـــى العُقَـــابِ مُلُوْكُـــهُمْ أَلْقَـــوْا سِـــلَاحَهُمُ وَخَـــرُّوْا سُـــجَّدَا

وهذه العبارة "خرّوا سُجَّداً" اقتبسها الشاعر من القرآن الكريم حين أبان الله تعالى حال أهل الإيمان في الدنيا في قولـــه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا....﴾[١]، أي ســقطوا ساجدين خوفاً من عذاب الله[٢].

وأشاد جرير في قصيدة أخرى له بأهم العوامل التي ساعدت معاويةَ بنَ هشام على تحقيق هذا النصر الباهر وهي شجاعته وتقواه وقوة إيمانه، فانقاد له ملوك الروم صـــاغرين مقرَّنيـــن بالأغلال والأصفاد، قال الشاعر[٣]:

إِلَـــى مُعَاوِيَـــةَ الْمَنْصُـــوْرِ إِنَّ لَـــهُ دِيْنـــاً وَثِيْقـــاً وَقَلْبـــاً غَـــيْرَ حَيَّـــادِ
مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَا ارْتَدَّتْ بَصَـــائِرُهُمْ مِنْ خَوْفِ قَـــوْمٍ وَلَا هَمُّـــوْا بِإِلْحَـــادِ
حَتَّى أَتَتْكَ مُلُوْكُ الـــرُّوْمِ صَـــاغِرَةً مُقَرَّنِيْـــنَ بِـــأَغْلَالٍ وَأَصْفَـــادِ
يـــومَ أذلَّ رقـــابَ الـــرومِ وقْعَتُـــهُ بُشْرى لمن كان في غَـــوْرٍ وأنجـــادِ

يلاحظ أن الشاعر قد لجأ إلى التفصيل في تصويره عن مصير ملوك الروم نتيجة هزيمتهم على يد جحافل الإيمان تحت قيادة معاوية بن هشام، فعمد الشاعر إلى صورٍ متعدِّدة استمدَّها من عدَّة آيات الذكر الحكيم؛ فصدر البيت الثالث مقتبس من قوله تعالى في وصف انقلاب فرعـــون وقومه صاغرين أذلّةً بما لحقهم من عار الهزيمة والخيبة والخذلان أمام النبـــي موســـى عليه السلام: ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾[٤]، وأما عجز البيت فمأخوذ من الآية الكريمة في وصف المجرميـــن وهم الذين أجرموا بكفرهم وفسادهم مقيَّدين بعضهم إلى بعض في الأغلال أو القيود يوم القيامة[٥]، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾[٦]، وفي البيت الأخير جعل الشـــاعر هزيمـــة الروم الفظيعة بشرى لجميع المسلمين، كما جعل الله تعالى إمداد المسلمين بالملائكة في القتـــال

---

(١) السجدة: ١٥.

(٢) ينظر: الشهاب الخفاجي، **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، ج٧، ص٤٤٨. ووهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢١، ص٢٠٣.

(٣) جرير، **ديوانه**، ص١٢٣.

(٤) الأعراف: ١١٩.

(٥) ينظر: وهبة الزحيلي، **المرجع نفسه**، ج١٣، ص٢٧٧.

(٦) إبراهيم: ٤٩.

بشـــارةً للمسلمين بأنهم ينتصرون، قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ....﴾[١].

وقد أكّد بعض الشعراء سنّة الله تعالى القاضية بهزيمة الباطل وأهله. قال النابغة الشيباني في وصف هزيمة الروم في طوانة[٢]:

وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهَا أَبْطَالُ ذِيْ لَجَبٍ ... كَمَا أَحَاطَ بِرَأْسِ النَّخْلَةِ اللِّيْفُ

حَتَّى عَلَوْا سُوْرَهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ... وَحَانَ مَنْ كَانَ فِيْهَا فَهْوَ مَلْهُوْفُ

فَأَهْلُهَا بَيْنَ مَقْتُوْلٍ وَمُسْتَلَبٍ ... وَمِنْهُمُ مُوْثَقٌ فِي الْقِدِّ مَكْتُوْفُ

يَا أَيُّهَا الْأَجْدَعُ الْبَاكِيْ لِمَهْلِكِهِمْ ... هَلْ بَأْسُ رَبِّكَ عَمَّنْ رَامَ مَصْرُوْفُ

ففي قول الشاعر "هل بأس ربك عمن رام مصروف" وصفُ قدرة الله تعالى المطلقة على العذاب، وقد ورد هذا الوصف في التنزيل العزيز: ﴿....وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ....﴾[٣]، فالله تعالى إذا أراد بقوم سوءاً من فقرٍ أو مرضٍ أو هزيمة أو نحوها من أنواع البلاء، فلا يستطيع أحد أن يدفع ذلك عنهم[٤] وورد هذا الوصف أيضاً في قوله تعالى: ﴿....وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٥].

والملاحظ أن الشعراء لم يكثروا من تصوير ساعة اللقاء بين الجيش الإسلامي والجيش المُعادِي، ففي الأبيات التالية صورة لمعركة خاضها المسلمون في بلاد الخَزَر أيام هشام بن عبد الملك، صوّرها أحد الشعراء المجاهدين فيها، ويبرز الشاعر في هذه الأبيات صورة مشرقة تظهر كيف أن جند الله الذين يقاتلون في سبيله هم الغالبون في النهاية مهما بلغت قوة الباطل، يقول الشاعر في معرض مدحه لسَعِيْدِ بنِ عمرو الحرشي قائدِ المسلمينَ في تلكَ المعركةِ[٦]:

---

(١) آل عمران: ١٢٦.

(٢) النابغة الشيباني، **ديوانه**، ص١٣٢. اللجب: الضوضاء الشديدة، والمراد بقوله "ذي لجب": الجيش الكبير. الأجدع: مقطوع الأنف.

(٣) الرعد: ١١.

(٤) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٣، ص١٢٤.

(٥) الأنعام: ١٤٧.

(٦) ابن عساكر، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، ج٦، ص١٦٦. يوم أسراب: معركة بين المسلمين والخزر. العصار: الغبار الشديد. الإعصار: الريح الشديد.

وَيَوْمَ أَسْرَابَ إِذْ جَاشَتْ جُمُوعُهُمْ ... وَأَسْعَرُوْا نَارَ حَرْبٍ أَيَّ إِسْعَارِ
وَأَقْبَلُوْا كَالْتِمَاعِ الْبَرْقِ بيضُهُمْ ... لَهُم عُصَارٌ تَرَاهُ بَعْدَ إِعْصَارِ
فَسِرْتَ بِالْخَيْلِ وَالرَّايَاتُ تُقَدِّمُهَا ... بِخِيْرَةٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَخْيَارِ
أَمَدَّكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ بِهِم ... مُسَوَّمِيْنَ أَمَامَ النَّاسِ أَنْصَارِ
فَأَهْلَكَ اللهُ جَمْعَ الشِّرْكِ إِذْ رَجَعُوْا ... عَلَى يَدَيْكَ وَأَخْزَى كُلَّ كَفَّارِ

فالصورة في البيت الأخير استوحاها الشاعر من وصف الله تعالى لعذاب مكذِّبي الرسل من الأمم الماضية في الدنيا في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا....﴾[١].

ولمّا كان مفهوم القتال في الإسلام جهاداً لإعلاء كلمة الله تعالى فقد أسند الشاعر إيقاع الممدوح بالأعداء إلى الله تعالى؛ لأنه هو الذي أهلكهم نصراً لدينه الحنيف، كما أنه هو الذي أهلك الأمم الماضية المكذِّبة بالرسل بالخَسْفِ والزلزلة والصيحة والريح الصرصر والغرق والقتل والأسر والتشريد والذلّ والهوان ونحو ذلك، مما أتاهم من جهة لا يحتسبون إتيان العذاب منها[٢].

بجانب حركة الفتوح الإسلامية في العصر الأموي، دارت بين الأحزاب السياسية العصبية المتنازعة على الخلافة معارك ضارية في ميادين السنان واللسان لتأييد مذاهبهم قولاً وعملاً، ففي معركة أسك التي دارت بين الأمويين والخوارج، انتصر الخوارج فيها على جيش قوامه ألفان وهم لا يتجاوزون الأربعين، وهذا الانتصار أوحى لشعرائهم ذكرى انتصار المسلمين في بدر الكبرى وهم قلّة مستضعفة، يقول عيسى بن عاتك الخطّي[٣]:

أَأَلْفًا مُؤْمِنٍ فِيمَا زَعَمْتُمْ ... وَيَهْزِمُهُمْ بِأَسَكَ أَرْبَعُوْنَا
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ ... وَلٰكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُوْنَا
هُمُ الْفِئَةُ الْقَلِيْلَةُ غَيْرَ شَكٍّ ... عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيْرَةِ يُنْصَرُوْنَا

---

(١) الزمر: ٢٥-٢٦.

(٢) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٣، ص٢٨٢.

(٣) المبرد، **الكامل**، ج٣، ص١١٧٩، وإحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٥٤-٥٥.

فالتشابه الذي حصل بين معركة بدر الكبرى ومعركة آسك حيث انتصرت الفئة القليلةُ في عددها، الكبيرةُ في إيمانها جعل الشاعرَ في بيته الأخير يقتبس قوله سبحانه وتعالى: ﴿....كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(١).

أما في يوم سَلّى (سِلّى) وسَلَّبْرى (سِلَّبْرى) فقد انهزم الخوارج على يد الأمويّين، واستشهد عُبيد الله بن بشير بن الماحوز قائد الخوارج، وقد تُرك مقتولاً شرَّ قِتلةٍ، منجدلاً، مرميّاً على الأرض كجذع منقلع من أصله، ويعبّر عن ذلك رجل من أصحاب المهلَّب متأثّراً بما ورد في الآية الكريمة: ﴿....كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾(٢)، يقول الشاعر(٣):

وَيَوْمَ سَلّى وَسَلَّبْرى أَحَاطَ بِهِمْ ... مِنَّا صَوَاعِقُ مَا تُبْقِي وَمَا تَذَرُ

حَتّى تَرَكْنَا عُبَيْدَ اللهِ مُنْجَدِلاً ... كَمَا تَجَدَّلَ جِذْعٌ مَالَ مُنْقَعِرُ

هذا ما حاول الشاعر تصويره بعد أن التجأ إلى صورة قدّمها القرآن الكريم عن قوم عاد الذين كانوا يتساقطون على الأرض أمواتاً بعد أن أرسل الله تعالى عليهم ريحاً صرصراً، كأنهم أعجاز نخل منقلع من مغارسه.

فيما سبق يبدو أن الشعراء كانوا موفّقين إلى حدٍّ كبير في استلهام الصور القرآنية لتصوير المعارك الإسلامية التي حدثت في زمن الخلفاء الراشدين والأمويين.

---

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) القمر: ٢٠.

(٣) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج٣، ص٧٤٨.

المبحث الثاني
صور قرآنية أخرى

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صـــورة الجنـــة

المطلب الثاني: صـــورة النـــار

المطلب الثالث: القِصص القرآنية

المطلب الأول: صورة الجنة

الجنة هي اسم للمكان الذي وعد الله تعالى عباده المؤمنين المتَّقين، قال الحقُّ جلَّت قدرته: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا....﴾[١]، وقال في آية أخرى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ....﴾[٢]، وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلَذّ الأعين[٣]، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهو معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

وردت صورة الجنة كما وصفها القرآن الكريم بكثرة في شعر الجهاد لدى شعراء المسلمين في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، فكأنهم يشهدون الجنة في حومات القتال غير مبالين بالجراح وخطر الموت، فيتغنَّون بها في أشعارهم.

لقد جاء وصف الجنَّة في القرآن الكريم بالسعة والبسطة، فشُبِّهت بأوسع ما علمه الناس من خلق الله تعالى وأبسطه، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥]، وخُصَّ العرضُ لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة[٦]، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله.

قال ربيعة بن معمر يحرِّض المسلمين على القتال ويحمِّسُهم في فتح الشام مقتبساً الصورة السابقة إلا أنه لم يأتِ بلفظ "الأرض"[٧]:

وَلِلّٰهِ فِيْ عَرْضِ السَّمٰوَاتِ جَنَّةٌ ... وَلٰكِنَّهَا مَحْفُوْفَةٌ بِالْمَكَارِهِ

وقد تضافرت الآيات القرآنية الدالة على أن الله تعالى ينعم يوم القيامة على عباده الصالحين بدخول الجنة تكريماً لهم، فهم خالدون فيها أبداً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) التوبة: ٧٢.

(٢) البقرة: ٢٥.

(٣) كما ورد في قوله تعالى: ﴿....وفيها ما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين....﴾ [الزخرف: ٧١].

(٤) السجدة: ١٧.

(٥) آل عمران: ١٣٣.

(٦) الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٤٤٢.

(٧) الواقدي، **فتوح الشام**، ج١، ص٢٨٤.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ.... ﴾[١]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢]، فتكون الجنة مُقامة لهم، قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[٣].

استلهم كعب بن مالك هذه الآيات الكريمة لتصوير مصير سعد بن معاذ الذي استشهد بعد غزوة الخندق إثر انفجار جرحه، مبيِّناً أن الجنة تكون مقامة لعباد الرحمن الصالحين، فيقول[٤]:

فَإِمَّا تَقْتُلُوْا سَعْداً سَفَاهاً ... فَإِنَّ اللهَ خَيْرُ الْقَادِرِيْنَا

سَيُدْخِلُهُ جِنَاناً طَيِّبَاتٍ ... تَكُوْنُ مُقَامَةً لِلصَّالِحِيْنَا

وصف القرآن الكريم الجنة أيضاً بأنها مكان مستقرّ ومأوى ثابت، ومنزل حسن مريح طيّب الإقامة، قال عزّ وجلّ: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾[٥].

يقول ضرار بن الأزور مرتجزاً في إحدى الفتوحات الشاميَّة متأثّراً بالآية الكريمة السابقة[٦]:

المَوْتُ حَقٌّ أَيْنَ لِيْ مِنْهُ الْمَفَرْ

وَجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ خَيْرُ الْمُسْتَقَرْ

ولتصوير النعيم الدائم في الجنة، وصف الله تعالى الجنة بالخلد، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ.... ﴾[٧]، فالمؤمنون الصالحون سيدخلهم الله تعالى يوم القيامة جنات، وهم ماكثون مقيمون فيها على الدوام، بلا زوال ولا انتقال، وذلك هو الفوز العظيم، وهو وعد حق من الله تعالى، ووعد الله واقع لا محالة، قال الله عز وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

---

(١) محمد: ١٢.

(٢) البقرة: ٨٢.

(٣) الفرقان: ٧٦.

(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٥٦. وكعب بن مالك، **ديوانه**، ص١٠٦.

(٥) الفرقان: ٢٤.

(٦) الأصفهاني، **مقاتل الطالبيين**، ص١١٣.

(٧) الفرقان: ١٥.

سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾[١]، وقال أيضاً: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

وقد تمثلت هذه الصورة في ذهن جندب بن عامر بن الطفيل، فيقول قبل استشهاده بدقائق معدودة في يوم اليرموك[٣]:

فَإِنَّ الْخُلْدَ فِي الْجَنَّاتِ حَقٌّ ... تُبَاحُ لِكُلِّ مِقْدَامٍ سَلِيمِ

ويقول جرير في معرض مدحه للعباس بن الوليد بن عبد الملك من كبار القادة الشجعان، وقد افتتح مدناً كثيرة في بلاد الروم[٤]:

أُعْطِيتَ مِنْ جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ مُرْتَفَقاً ... مَنْ فَازَ يَوْمَئِذٍ فِيهَا فَقَدْ خَلَدَا

أما صورة الجنة بظلّها الوارف الدائم لا تنسخه شمس ولا يصحبه حرٌّ ولا برد[٥] كما جاء في قوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ﴾[٦]، وقوله: ﴿....وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾[٧]، فقد ترددت في شعر بعض الشعراء، يقول حسان بن ثابت في رثائه لشهداء مؤتة[٨]:

فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ ... جِنَانٌ وَمُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ

ويقول النابغة الجعديُّ داعياً لقومه الذين رحلوا يطلبون الأجر والشهادة، متضرّعاً إلى الله عزّ وجلّ أن يمنَّ عليهم بالجنة الوارفة التي أعدّها للمجاهدين في سبيله[٩]:

هَاجَرُوْا يَطْلُبُوْنَ مَا وَعَدَ اللّٰـ ... ـهُ فَبَانُوْا وَجَارُهُمْ غير قَالِ

فَسَلَامُ الإِلٰهِ يَغْدُوْ عَلَيْهِمْ ... وَفُيُوْءُ الْفِرْدَوْسِ ذَاتُ الظِّلَالِ

---

(١) النساء: ١٢٢.

(٢) التوبة: ٢١-٢٢.

(٣) الواقدي، **فتوح الشام**، ج١، ص٢١٠. السليم: الجريح المشفي على الهلكة.

(٤) جرير، **ديوانه**، ص١٢٦.

(٥) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٥، ص١١٨.

(٦) المرسلات: ٤١.

(٧) النساء: ٥٧.

(٨) حسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص٢٣٣. وابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٣٨٤.

(٩) النابغة الجعدي، **ديوانه**، ص١٤٢. بانوا: بعدوا. القالي: المبغض. الفيء: ظل الجنة.

صوَّر القرآن الكريم الجنة أيضاً بأنها مرتفعة المكان، رفيعة القدر، عالية المنـــازل، قـــال عزّ من قائل: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾(١).

واقتبس حسان بن ثابت هذه الصورة وأضفاها على رثائه لحمزة بن عبد المطلب عم النبـي صلى الله عليه وسلم قائلاً(٢):

صَلَّـى عَلَيْـكَ اللهُ فِـــي جَنَّـــةٍ عَالِيَـــةٍ مُكْرَمَـــــةِ الدَّاخِـــــلِ

ووصف القرآن الكريم الجنة بأن فيها غرفاً(٣)، قال الله تعـــالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(٤)، وقال تعـــالى أيضـــاً: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا....﴾(٥).

قال الفرزدق يرثي الجراح بن عبد الله الحكمي الذي استشهد غازياً بمرج أردبيل معلِنـــاً أن مصيره إلى الغرفة العليا في الجنة(٦):

إِلَى الْغُرْفَةِ الْعُلْيَـــا رَفِيـــقُ مُحَمَّـــدٍ مُقِيماً وَلَا مِنْهَا هُـــوَ الدَّهـــر رَائِـــم

وبيّن قيس بن عبد الله مصير أصحابه المجاهدين، فقال(٧):

سَارُوْا إِلَى اللهِ حَتَّى أُنْزِلُـــوْا غُرَفـــاً مِنَ الْأَرَائِكِ فِي بَيْتٍ مِـــنَ الذَّهَـــبِ

---

(١) الحاقة: ٢٢، أو الغاشية: ١٠.

(٢) حسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص٣٨٤.

(٣) قال بعض المفسرين إن الغرفة هي الجنة سميت بذلك لارتفاعها، ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيـــم**، ج٦، ص١٣٣.

وقال بعضهم إنها الدرجة العليا في الجنة أو أعلى مواضع الجنة، وهي اسم جنس أريد به الجمع، لقوله تعـــالى: ﴿....وهم في الغرفات آمنون﴾ [السبأ: ٣٧]. ينظر: الصاوي، أحمد بن محمد (١٢٤١هـ)، **حاشية الصـــاوي على تفسير الجلالين**، تحقيق محمد عبد السلام شـــاهين، ط١، دار الكتـــب العلميـــة، بـــيروت، ١٩٩٥م، ج٤، ص٢٣٢. يبدو أن هذه الآراء كلها تجمع على أن الغرفة صفة من صفات الجنة.

(٤) العنكبوت: ٥٨.

(٥) الفرقان: ٧٥.

(٦) الفرزدق، **ديوانه**، ج٢، ص٢٥١.

(٧) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص١٨٥.

وجاء تصوير الله تعالى للجنّة بأن رزقها دائم واسع لا تقدير فيه، قال الحق جلّت قدرتـــه: ﴿....وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١]، فأهل الجنّـــة يتمتّعـــون بنعيمها ورزقها أضعافاً مضاعفة، بغير تقدير ولا تساوٍ مع العمل، فضلاً من الله ونعمة ورحمة[٢].

و في ضوء هذه الصورة قال علي بن أبي طالب[٣] يرثي حمزة بن عبد المطلب موضّحـــاً أنّ مَن هو في الجنان يُدَرُّ عليه الرزق[٤]:

وَمَنْ هُوَ فِـــي الْجِنَـــانِ يُـــدَرُّ فِيْـــهَا ... عَلَيْـــهِ الـــرِّزْقُ مُغْتَبِطـــاً حَمِيْـــدَا

وذكر القرآن الكريم صورة الجنة بشرابها العذب الطيّب الطهور، كما في قولـــه تعـــالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[٥]، وقوله: ﴿....وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٦].

يقول جعفر بن أبي طالب قبل استشهاده في غزوة مؤتة، وقد تمثّلت في ذهنه هذه الصورة الرائعة[٧]:

يَـــا حَبَّـــذَا الجَنَّـــةُ وَاقْتِرَابُـــهَا ... طَيِّبَـــةً وَبَـــارِداً شَـــرَابُهَا

ومن صور الجنة التي بيّنها الله تعالى من خلال وصفه لألوان النعيم التي يلقاها المتّقـــون في الجنة؛ تزويجهم أو قرنهم بنساء حِسان الخَلْقِ والخُلُقِ، وهنّ حور شديدات البياض، واســـعات الأعين مع شدّة سواد سوادها، وشدة بياض بياضها[٨]، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ

---

(١) غافر: ٤٠.

(٢) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٤، ص١٢٩.

(٣) علي بن أبي طالب الخليفة الراشد الرابع، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، كان ذكياً حكيماً، وفصيحاً بليغا، وخطيباً بارعاً، وكان أشعر الخلفاء الأربعة، على أن أكثر ما نسب إليه من شعر لا يصح له، ينظر: الســـيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص١٤٩، وما بعدها، وعبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص٥٨.

(٤) الأصفهاني، أبو بكر محمد بن داود (ت٢٩٧هـــ)، **الزهرة**، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط٢، مكتبة المنـــار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٥م، ج٢، ص٥١٣، وعلي بن أبي طالب، **ديوانه**، تحقيق عبد المنعم العاني، ط١، الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٤م، ص٥٥، معتبطاً: فرحاً بالنعمة.

(٥) ص: ٥١.

(٦) الإنسان: ٢١.

(٧) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٣٧٨.

(٨) ينظر: الشهاب الخفاجي، **حاشية الشهاب**، ج٨، ص٤٣٧، وج٩، ص٦٠-٦١.

عِينٍ﴾[١]، وقال تعالى أيضاً: ﴿فيهنّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[٢].

وقد التجأ حسان بن ثابت إلى هذه الصورة في رثائه لخبيب بن عدي الذي استشهد بعد يوم الرجيع، قَتَلَهُ مشركو مكة، فقال الشاعر[٣]:

فَاذْهَبْ خُبَيْبُ جَزَاكَ اللهُ طَيِّبَةً ... وَجَنَّةَ الْخُلْدِ عِنْدَ الْحُوْرِ فِي الرُّفُقِ

وكذلك استلهم عبيدة بن الحارث هذه الصورة في رثائه لرِجله المقطوعة في غزوة بدر الكبرى قائلاً[٤]:

فَإِنْ تَقْطَعُوْا رِجْلِيْ فَإِنِّيْ مُسْلِمٌ ... أُرَجِّيْ بِهَا عَيْشاً مِنَ اللهِ دَانِيَا

مَعَ الْحُوْرِ أَمْثَالِ التَّمَاثِيْلِ أُخْلِصَتْ ... مَعَ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا لِمَنْ كَانَ عَالِيَا

وهكذا يبدو أن صورة الجنة كما وصفها القرآن الكريم قد داعبت أفكار شعراء المسلمين، فأوردوها في شتّى موضوعات شعرهم الجهادي، ولعل أكثرها وروداً في رثاء شهداء المسلمين والحض على الجهاد، ولا شك في أن هذا الأمر يرتدُّ إلى إيمان الشعراء بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٥]، وقوله: ﴿....فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[٦]، فَهُمُ الشعراءُ آمنوا بأن الجنة هي ثواب الجهاد في سبيل الله وحده ومن أجل مرضاته، بل هي حسن الثواب والجزاء للمحسنين أعمالهم، ومنهم الذين أوذوا في سبيل الله وقاتلوا وقُتِلوا.

---

(١) الدخان: ٥٤.

(٢) الرحمن: ٧٠-٧٢.

(٣) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٤، ص٤٤٨.

(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٤.

(٥) التوبة: ١١١.

(٦) آل عمران: ١٩٥.

المطلب الثاني: صورة النار

النار هي اسم لمقرٍّ العذاب الذي أعدَّه الله تعالى لمن أعرضَ عن عبادته ولمن أشرك بـــه، قال الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[١]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا.... ﴾[٢]، وقد وردت تسميتُها في القرآن الكريـــم بعـــدَّة أسماء تجتمع كلُّها لترسم صورة العذاب الرهيبة[٣]، فقد أطلق عليها اســـم جـــهنم[٤]، ولظـــى[٥]، والحطمة[٦]، والسعير[٧]، وسقر[٨]، والجحيم[٩]، والهاوية[١٠].

فصورة النار وعذابها الشديد المؤلم الذي صوَّره الله تعالى في القرآن الكريم قد ســـيطرت على نفوس شعراء المسلمين، وملأت تفكيرهم ومخيِّلتهم، فراحوا يهدِّدون الكفّار والمشركين بـــها في أشعارهم.

لقد جاءت صورة النار في القرآن الكريم بأنها شديدة التأجّج، والحرّ[١١]، فسمّاها الله تعـــالى بالجحيم، وهي مأوى من تكبَّر وتمرَّد، وتجاوز الحدَّ في الكفر والمعاصي، وقدَّم الحياة الدنيا علـــى أمر الدين والآخرة، ولم يستعدَّ لها، ولا عمل عملها، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[١٢]، وقال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[١٣].

---

(١) آل عمران: ١٣١.

(٢) البينة: ٦.

(٣) تنظر: إبتسام مرهون الصفار، **التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة**، ط١، مطبعة الآداب في النخف الأشرف، ١٩٦٧م، ص٢٠٩.

(٤) تنظر على سبيل المثال: النساء: ٩٣، الأعراف: ١٨، الأنفال: ١٦، التوبة: ٦٣.

(٥) تنظر: المعارج: ١٥.

(٦) تنظر: الهمزة: ٤-٥.

(٧) تنظر: الحج: ٤، لقمان: ٢١، فاطر: ٦، الشورى: ٧، الملك: ٥، الفتح: ١٣.

(٨) تنظر: القمر: ٤٨، المدثر: ٢٦-٢٧، و٤٢.

(٩) تنظر: البقرة: ١١٩، التوبة: ١١٣، الصافات: ٢٣، الحديد: ١٩، الحاقة: ٣١.

(١٠) تنظر: القارعة: ٩.

(١١) ينظر: الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت٣٢٢هـ)، **الزينة في الكلمات الإسلامية العربيـــة**، تحقيـــق حسين بن فيض الله الهمداني، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٨م، ج٢، ص٢١١، والراغب الأصفهاني، الحســـين ابن محمد (ت٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد خليل عيتاني، ط١، دار المعرفـــة، بـــيروت، ١٩٩٨م، ص٩٥.

(١٢) النازعات: ٣٧-٣٩.

(١٣) المائدة: ١٠.

وقال عليُّ بن أبي طالب بعد انتصار المسلمين يوم بدر مبيِّناً مصير قتلى مشركي قريش، فهم سكّان الجحيم[١].

فَأَضْحَوا لَدَى دَارِ الجحيمِ بِمَعْزِلٍ عَنِ الشَّغْبِ وَالْعُدْوَانِ فِي أَشْغَلِ الشُّغْلِ

وجاء تصوير الله تعالى للنار بأن وقودها الناس الكفار والحجارة[٢] مادة الاشتعال، فهي لا تقدَّر درجاتُ حرارتها بأفران الدنيا على الإطلاق، وقد أعدَّها الله تعالى وهيَّأها للكافرين الجاحدين المنكرين رسالة الإسلام، جزاءً وفاقاً لكفرهم وجحودهم، قال الله تعالى: ﴿....فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٣]، كما أن هذه النار عظيمة شديدة تتوهَّج وتتلهَّب، قال عزَّ من قائل: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾[٤].

و في ضوء هذه الصورة أعلن كعب بن مالك مصيرَ قتلى كفّار قريش الأسودَ الذي آلوا إليه، فقال في معرض هجائه لقريش بعد معركة بدر[٥]:

فَكُبَّ أَبُوْ جَهْلٍ صَرِيْعاً لِوَجْهِهِ وَعُتْبَةُ قَدْ غَادَرْنَهُ وَهو عَاثِرُ
وَشَيْبَة والتيمي غَادَرْنَ فِي الْوَغَى وَمَا مِنْهُم إِلَّا بِذِي الْعَرْشِ كَافِرُ
فَأَمْسَوْا وَقُوْدَ النَّارِ فِيْ مُسْتَقَرِّهَا وَكُلُّ كفورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرُ
تَلَظَّى عَلَيْهِم وَهي قَدْ شَبَّ حَمْيُهَا بِزُبرِ الْحَدِيْدِ وَالْحِجَارةِ سَاجِرُ

فهذه النار قد أوقدت فعلاً وشبَّ حَمْيها بقِطع الحديد والحجارة المتلهِّبة، إنها صورة مخيفة للنار، قصد بها كعبٌ مزيداً من الحسرة والألم على هؤلاء القتلى، وتخويفاً لهؤلاء المشركين الذين ما زالوا أحياء من المصير نفسه، الذي ينتظرهم إن استمرُّوا على بغيهم وكفرهم.

ولم يكتفِ القرآن الكريم بتصوير النار وشدَّة حرارتها ووَقودها ولظاها، بل تعدّى ذلك إلى وصف شراب أهلها؛ لقد صوَّر القرآن الكريم العطش والحرمان من الماء على أنهما وسيلتان من

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٢. الشعب: تهييج الشر وإثارة الفتن والاضطراب.

(٢) قال بعض المفسِّرين إن المراد بها الأصنام، لقوله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصبُ جهنم أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء: ٩٨]. وقال بعضهم إن المراد بها ما كنزه الكانزون من الذهب والفضّة أو غيرهما. ينظر: الشهاب الخفاجي، **حاشية الشهاب**، ج٢، ص٧٨-٨٠.

(٣) البقرة: ٢٤.

(٤) الليل: ١٤.

(٥) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص١٥. شبَّ: أوقد. زبر الحديد: قطعه. ساجِرٌ: موقد.

وسائل التعذيب التي يعانيها المجرمون يوم القيامة؛ فبعد انتهاء الحساب، يبدأ عقاب المجرمين، فيُساقون سوقاً شديداً إلى جهنم مشاةً عِطاشاً كالإبل ترد الماء، قال الله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾(١).

إلا أن هؤلاء المجرمين لا يرتوون بوردهم جَهنَّمَ، بل يُعاقَبون -مع شدَّة حرارة النار ولهيبها المُحْرِق- بلون آخر من صنوف التعذيب وهو حرمانهم من الماء قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(٢).

حتى إذا بلغ بالمجرمين الظمأ مداه، وقُطِّعَتْ أمعاؤُهم لهفاً على الماء، سُقُوْا شراباً حاراً، صوَّره الله تعالى بعدَّة تعابير(٣)، كل منها يعطي صورة مفزعة(٤).

ولتصوير شدَّة حرارة شراب أهل النار، عبَّر عنه الحقُّ تبارك وتعالى بالحميم، وهذا الشراب يغلي في بطون أهل النار، قال الله تعالى في معرض تصويره لطعام أهل النار الكثيري الإثم: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾(٥)، وهناك وصف دقيق لهذا الشراب المؤذي الذي يلجأ إليه أهل النار بعد أن يُحْرِقَ الزقومُ بطونَهم، فيشربون من الحميم فلا يرتوون لشدَّة عطشهم، بل يزيد أذاهم وعطشهم، ويُشبهون بذلك الإبلَ الهيمَ، قال تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾(٦)، وفي آية قرآنية أخرى أن هذا الشراب

---

(١) مريم: ٨٦.

فالوِرد في الآية الكريمة جمع وارد، بمعنى العطاشى عند بعض المفسِّرين. ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٨، ص٣٨١، ووهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٦، ص١٦٢. ولكن المشهور أن معنى الوِرد في اللغة هو إتيان الماء. ينظر: الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، **الصحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ج٢، ص٥٤٩، وابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٤٥٧. وإنما أطلق تعبير الوِرد على العِطَاش في الآية الكريمة لأنّ من يرد الماء لا يَرِدُهُ إلا لعطش. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٣، ص٤٥.

(٢) الأعراف: ٥٠-٥١.

(٣) فهو تارة الحميم، وأخرى الغَسَّاق، ويشبّه مرة بالمهل، وبالصديد مرة أخرى.

(٤) تنظر: إبتسام مرهون الصفار، **التعابير القرآنية والبيئة العربية**، ص٢٣٥.

(٥) الدخان: ٤٣-٤٦.

(٦) الواقعة: ٥٤-٥٥.

يقطِّع الأمعاء لشدَّة حرارته، قال تعالى: ﴿. . . .وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[١]، ولتصوير شدَّة حرارة الحميم، فهو إذا صُبَّ على رؤوس الكفار، صهر جلودهم وما في بطونهم، قال جلَّ جلاله: ﴿. . . .فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾[٢].

وورد تصوير آخر لشراب أهل النار، وهو ما يثير التقزُّز في النفوس، ولا يشفي الغليل، وهذا الشراب هو صديد أهل النار الذي يسيل من جلودهم ولحومهم من القيح والدم[٣]، قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ. . . .﴾[٤]، فأهل النار يتحسَّون الصديد جرعة بعد جرعة، ولا يكادون يزدردونه، لكراهته وسوء طعمه ولونه وريحه، مما يدل على التألّم حين ابتلاعه[٥].

هذان نوعان من أنواع شراب أهل النار، والآيات الكريمة السابقة تصوِّر شدة عطش أهل النار، وحرمانهم من الماء، ثم إغاثتهم بالشراب المخصَّص لهم بصورة رائعة يظهر فيها الإعجاز القرآني متجلِّياً، ويقف أمامها الإنسان ذاهلاً[٦].

لقد التجأ بعض شعراء المسلمين مباشرةً -في حديثهم عن الفرق بين أهل الجنة وأهل النار- إلى تصوير شراب أهل النار متأثِّرين بالصورة القرآنيةِ السابقة، دون أن يلتجئوا إلى تصوير عطش أهل النار وحرمانهم من الماء يومَ القيامة، قال علي بن أبي طالب في معرض رثائه لحمزة بن عبد المطلب[٧]:

فَمَا سِيَّانِ مَنْ هُوَ فِي جَحِيمٍ يَكُونُ شَرَابُهُ فِيهَا صَدِيدَا

وفي الحادثة نفسها يذكر حسان بن ثابت مصير قتلى كفار قريش، فيقول[٨]:

---

(١) محمد: ١٥.

(٢) الحج: ١٩-٢٠.

(٣) ينظر وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٣، ص٢٢٨.

(٤) إبراهيم: ١٥-١٧.

(٥) ينظر: وهبة الزحيلي، **المرجع نفسه**، ص١٣، ص٢٢٨.

(٦) تنظر: إبتسام مرهون الصفار، **التعابير القرآنية والبيئة العربية**، ص٢٣٠.

(٧) الأصفهاني، **الزهرة**، ج٢، ص٥١٣، وعلي بن أبي طالب، **ديوانه**، ص٥٥. سيّانِ: متماثلان.

(٨) **حسان بن ثابت، ديوانه بشرح البرقوقي**، ص٣١٢.

وَقَتْلاَكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ حَمِيْمٌ مَعاً فِي جَوْفِهَا وَضَرِيْعُ

الشاعر في بيته هذا متأثّر بالصورة القرآنية؛ فهو يصوّر أفضل رزق هؤلاء القتلى أهلِ النار؛ فشرابهم هو الحميم الذي سبق تصويره، وطعامهم هو الضريع الذي ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ﴾[١]، والذي جاء وصفه في قوله سبحانه: ﴿لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾[٢]، فليس لهم طعام يتغذّون به إلا الضريع، وهو شوك يابس شديد المرارة والضرّ[٣]، يُؤْكَلُ ولا يُشبِع، يضرّ ولا ينفع، وما دام هذا الطعام هكذا، وإذا أكلته الإبل لم تشبع، وهزلت قواها، وبدت عظامها، وانقطع لبنها[٤]، فإن هذا الطعام[٥] يؤدّي حتماً إلى ضعف قُوى أهل النار وهزلهم[٦].

أما صورة النار بأن لها دركات[٧] تناسب طبقات أهلها، كما جاء في التنزيل العزيز في بيان عقوبة المنافقين الشهيرة: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ....﴾[٨] فقد وردت في شعر بعض شعراء المسلمين. يقول كعب بن مالك في معرض رثائه لشهداء أحُد مخاطباً المشركين بأنّ قتلاهم يرتكسون في الدرك الأسفل من النار[٩]:

---

(١) الغاشية: ٦.

(٢) الغاشية: ٧.

(٣) يقال للضريع في لغة أهل الحجاز الشِّبْرِق إذا كان رطباً، فإذا يبس فهو الضريع، وهو سمٌّ قاتل، وشر الطعام، وأبشعه وأخبثه. ينظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت، ص٤٨، ووهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٣٠، ص٢٠٥.

(٤) ينظر: ابن قتيبة، **المصدر نفسه**، ص٤٩، وإبتسام مرهون الصفار، **التعابير القرآنية والبيئة العربية**، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٥) لعل ما يراد بالضريع في الآية الكريمة: أن لا طعامَ لهم أصلاً، لأنه ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الإنس؛ لأن الطعام ما أشبع أو أسمن، وهو منهما بمعزل، كما يقال: "ليس لفلان ظلٌّ إلا الشمس"، يراد نفي الظلّ على التوكيد. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٤٥.

(٦) تنظر: إبتسام مرهون الصفار، **المرجع نفسه**، ص٢٤٩.

(٧) الدرك هو ما كان إلى أسفل، وللنار سبع دركات، سُمّيت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض، فدركات النار هي أوّلها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، قد يُسمّى بعضها باسم بعض. ينظر: الزمخشري، **المصدر نفسه**، ج١، ص٦١٤، ووهبة الزحيلي، **المرجع نفسه**، ج٥، ص٣٣٠، وج٣٠، ص٢٠٧.

(٨) النساء: ١٤٥.

(٩) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٣٩، وكعب بن مالك، **ديوانه**، ص٣٤. المرتج: المغلق.

أُولَئِكَ لَا مَنْ ثَوَى مِنْكُمُ مِنَ النَّارِ فِي الدَّرْكِ الْمُرْتَجِ

كما صوَّر القرآن الكريم الجنَّة بأن أهلها خالدون فيها حيث النعيمُ الدائمُ، صوَّر النارَ أيضاً بأن أهلها من المشركين خالدون فيها أبداً على الدوام، حيث العذابُ المقيمُ، لا محيدَ لهم عنها، ولا خروجَ لهم منها، قال الحق تبارك وتعالى: ﴿. . . .وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾(١).

استعان عبد الله بن رواحة بهذه الصورة في خطابه إلى أبي سفيان يدعوه إلى الإسلام، وإلى أن يسجد لله تعالى مخلِصاً، فقال(٢):

فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ إِمَّا لَقِيتَهُ لَئِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْلِصْ سُجُوْداً وَتُسْلِمِ

فَأَبْشِرْ بِخِزْيٍ فِي الْحَيَاةِ مُعَجَّلٍ وَسِرْبَالِ قَارٍ خَالِداً فِيْ جَهَنَّمِ

واستفاد كعب بن مالك من الصورة عينها في مقارنته بين قتلى المشركين وقتلى المسلمين في معرض رثائه لحمزة بن عبد المطلب، فقال(٣):

شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِيْ جَهَنَّمَ ثَاوِياً أَبَداً وَمَنْ هُوَ فِي الْجِنَانِ مُخَلَّدُ

وصوّر القرآن الكريم عذاب النار أيضاً بأنه لا يُخفَّف ولا يُنقَص عن أهل النار فترة أو لحظة بجعلِه متقطّعاً على فترات ليستريحوا منه(٤)، قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ. . . .﴾(٥).

اقتبس كعب بن عميرة هذه الصورة وأضفاها على رثائه لإخوانه شهداءِ النهروان قائلاً(٦):

لَقَدْ فَازَ إِخْوَانِيْ فَنَالُوْا الَّتِيْ بِهَا نَجَوْا مِنْ عَذَابٍ دَائِمٍ لَا يُفَتَّرُ

هذه هي صورة النارِ وعذابِها؛ صورةٌ حاول شعراء المسلمين الاستفادةَ منها، إنها صورة رهيبة، قدَّمها القرآنُ الكريم إلى عباد الله عزّ وجلّ، لكي يَفِرُّوا منها، ويُبعِدوا أنفسهم عن مُوْجِبَاتِ هذا العذاب؛ من العقيدة الفاسدة، والعمل الخاسر، ولا عقيدةَ صحيحةَ إلا بتوحيد الله تعالى والإيمان بالرسول محمد ﷺ وبالقرآن الكريم، ولا عملَ مقبولَ إلا على وِفْقِ ما جاء به

---

(١) الجنّ: ٢٣.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٦٥٦، وعبد الله بن رواحة، **ديوانه**، ص١٣١.

(٣) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص١٥٨، وكعب بن مالك، **ديوانه**، ص٣٨.

(٤) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٤ ، ص٢٦٦، ووهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٥، ص١٨٨-١٨٩.

(٥) الزخرف: ٧٤-٧٥.

(٦) المرزباني، **معجم الشعراء**، ص٢٠٩، وإحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٦٠.

الإسلام، قال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، أو كما قال بُجَيْرُ بْنُ زُهَير في إحدى قصائده مخاطِباً أخاه كعباً يدعوه إلى توحيد الله عزّ وجلّ لينجوَ من عذاب النار الشديد المؤلم يومَ القيامة[٢]:

إِلَى اللهِ لَا الْعُزَّى وَلَا اللَّاتِ وَحْدَهُ ... فَتَنْجُوْ إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ

لَدَى يَوْمَ لَا يَنْجُوْ وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ ... مِنَ النَّارِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ

المطلب الثالث: القصص القرآنية

استلهم بعض شعراء المسلمين الصور القرآنية التي وردت في سياق القصص المتعلّقة بالأنبياء والرسل والأمم السابقة للإفصاح عن أفكارهم وأحاسيسهم.

لقد وردت قصّة النبي نوح عليه السلام في القرآن الكريم[٣] بأنه لجأ إلى ربّه، ودعا على قومه الكافرين بالخسران والعذاب والدمار والهلاك، بعد أن يئس من إيمانهم وبعد أن أوْحى الله تعالى إليه ذلك[٤]، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٥]، وقال أيضاً: ﴿... وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[٦].

واستنصر النبي نوح عليه السلام بربّه، وطلب منه أن ينصره على قومه الكافرين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾[٧]، وقال أيضاً: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[٨]، وطلب منه أن

---

(١) الصف: ١٠-١٣.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٥٠٢.

(٣) لمزيد من التفصيل، ينظر: صلاح الخالدي، **القصص القرآني**، ج١، ص١٥١ وما بعدها، وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ)، **قصص الأنبياء**، تحقيق عبد الحي الفرماوي، ط١، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٩٤-١٠٩.

(٤) قال الله تعالى: ﴿وأوحيَ إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن....﴾، هود: ٣٦، فكان دعاء النبي نوح عليه السلام على قومه بأمر الله تعالى، وإلا كان ذلك مبالغة في الإضرار، وسبباً لنقصان حال الأنبياء. ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٧، ص٩٦.

(٥) نوح: ٢٦-٢٧.

(٦) نوح: ٢٨.

(٧) القمر: ١٠.

(٨) المؤمنون: ٢٦.

ينجِّيَه مع أتباعه المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿. . . .وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، فأجابه الله تعالى ونصره، وهو نعم المجيب، ونجّاه وأهلَهَ المؤمنين من الكرب العظيم، وهو كيد قومه ومكرهم وأذاهم والطوفان والغرق[٢]، قال عزَّ من قائل: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣].

اقتبس جرير هذه القصَّة في مديحه للحَجّاج بن يوسف الثقفي لانتصاره على جيش ابن الأشعث بعد معركة حاسمة، فيقول الشاعر مشبِّهاً دعاء الحَجّاج بدعاء نوح عليه السلام، فاستجاب الله تعالى له، كما استجاب لدعاء نوح عليه السلام[٤]:

دَعَا الْحَجَّاجُ مِثْلَ دُعَاءِ نُوحٍ ... فَأَسْمَعَ ذَا الْمَعَارِجِ فَاسْتَجَابَا

وقد قصَّ القرآن الكريم أن أحد أبناء النبي نوح عليه السلام قد عقَّ أباه ورفض أن يركب معه في الفلك، قال الله تعالى: ﴿. . . .وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[٥].

واستفاد النابغة الجعديُّ من هذه القصَّة في دعوته إلى الجهاد وكسب الثواب الذي لا يغني شيء سواه يوم القيامة[٦]:

فَائْتَمِرُوا الْآنَ مَا بَدَا لَكُمُ ... وَاعْتَصِمُوا إِنْ وَجَدْتُمُ عِصَمَا

فِي هٰذِهِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَلَا ... عِصْمَةَ مِنْهُ إِلَّا لِمَنْ رَحِمَا

وجاء في القرآن الكريم أيضاً أن النبي نوحاً عليه السلام قد قاد السفينة بأصحابه حتى هبط بها بسلام، ونجا من الطوفان الذي غمر الأرض، قال الله جلَّ جلاله: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ. . . .﴾[٧].

---

(١) الشعراء: ١١٨.

(٢) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٧، ص٩٤.

(٣) الأنبياء: ٧٦-٧٧. وتنظر كذلك: الشعراء: ١١٩-١٢٠.

(٤) جرير، **ديوانه**، ص٢١. ذو المعارج: الله جلَّ جلاله.

(٥) هود: ٤٢-٤٣.

(٦) النابغة الجعدي، **ديوانه**، ص١٤٨-١٤٩، ائتمروا: أجمعوا آراءكم. اعتصموا: امتنعوا. العصم: جمع عصمة وهي المنعة والحمى. إلا لمن رحم: إن الذي يرحمه الله وحده هو في عصمة منه.

(٧) هود ٤٨.

وانتفع جرير بهذه القصة حين أراد أن يرسم صورة تُظهِر قدرة مَسْلَمة بن عبد الملك في قيادة الجيوش والخروج بها سالمة منتصرة، فيقول[١]:

مَسْلَمُ جَرَّارُ الْجُيُوْشِ إِلَى الْعِدى كَمَا قَادَ أَصْحَابَ السَّفِيْنَةِ نُوْحُ

وفي قصة النبي موسى عليه السلام سجّل القرآن الكريم مخالفة بني إسرائيل لله تعالى ولرسوله موسى عليه السلام، ونكولهم عن طاعتهما فيما أمر به كلٌّ منهما من الجهاد ودخول الأرض المقدَّسة[٢]، قال الله تعالى: ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[٣]، وقال تعالى أيضاً: ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[٤].

ففي وصف ابن السِّجْفِ المجاشعي[٥] لقتال المسلمين يوم الشِّعب مقابلة خفيَّة بين خذلان بني إسرائيل للنبي موسى عليه السلام برفضهم دخول الأرض المقدَّسة كما جاء في القصة السابقة، وبين صدق إيمان تلك الفئة المسلمة القليلة التي قاتلت جيش الترك الذي ملأ الفضاء الواسع وضاقت به السهول والجبال، فلم يتخاذلوا أو تتزعزع ثقتهم بربهم ولم يفعلوا مثلما فعل بنو إسرائيل الذين جبنوا عن القتال، يقول الشاعر[٦]:

لَمَّا رَأَوْهُمْ قَلِيْلاً لَا صَرِيْخَ لَهُمْ مَدُّوْا بِأَيْدِيْهِمُ لِلّٰهِ وَابْتَهَلُوْا
وَبَايَعُوْا رَبَّ مُوْسَى بيعةً صَدَقَتْ مَا فِيْ قُلُوْبِهِمُ شَكٌّ وَلَا دَغَلُ

كما سجّل القرآن الكريم نجاة عددٍ من أنبياء الله من قومهم الكافرين، فالنبي موسى عليه السلام أنجاه الله تعالى ومن معه أجمعين من فرعون وجنوده؛ أنجاهم من القتل والتعذيب على أيديهم، كما أنجاهم من الغرق في مياه البحر، وأنجاهم من انقلاب الماء عليهم وهم يسيرون في الطريق

---

(١) جرير، **ديوانه**، ص٨٢.

(٢) لمزيد من التفصيل، ينظر: صلاح الخالدي، **القصص القرآني**، ج٣، ص٢٦٦-٢٦٩.

(٣) المائدة: ٢١-٢٢.

(٤) المائدة: ٢٤.

(٥) ابن السِّجْفِ المجاشعي أحد الفرسان الذين اشتركوا في فتوح بلاد سمرقند. ينظر: الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٧، ص٨١.

(٦) الطبري، **المصدر نفسه**، ج٧، ص٨١. الداغل: الذي يبغي أصحابه الشر، يضمره لهم ويحسبونه يريد لهم الخير، **يريد: أن قلوبهم واحدة.**

اليبس، وأنجاهم من أن يكونوا طعاماً للسمك[١]، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[٢].

وقبل هذا أنجى الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام من النار، وجعلها برداً وسلاماً عليه حين حرّقه قومُه الكافرون الظالمون، قال عزّ من قائل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]، وقال أيضاً: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٤].

وأنجى الله تعالى أيضاً نبيه يونس عليه السلام من الغمّ والكرب والشدة، وهو في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت، فقد حماه الله تعالى من أن يهضم الحوت جسده، وإنما جعله سجناً له فقط، ثم أمر الحوت بإلقائه، فطرحه على ساحل البحر[٥]، قال الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

وكذلك حمى الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام من مكر اليهود الكافرين المجرمين حين مكروا بعيسى عليه السلام مكراً خبيثاً، وتآمروا عليه وأرادوا قتله[٧]، قال الحق تبارك وتعالى: ﴿. . . . وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٨]، وقال أيضاً: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٩].

---

(١) ينظر: صلاح الخالدي، **القصص القرآني**، ج٣، ص٩٤.

(٢) الشعراء: ٦١-٦٦.

(٣) العنكبوت: ٢٤.

(٤) الأنبياء: ٦٩.

(٥) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٧، ص١١٩.

(٦) الأنبياء، ٨٧-٨٨.

(٧) ينظر: صلاح الخالدي، **المرجع نفسه**، ج٤، ص٣٤٦-٣٥٨.

(٨) المائدة: ١١٠.

(٩) آل عمران: ٥٤-٥٥.

وقد أشار عمّار بن ياسر إلى هذه الصورة في قصيدته معلِناً فيها صبره على الأذى، وتثبّته بدين التوحيد، وداعياً الله تعالى أن ينجّيَه من أذى المشركين، كما نَجَّى الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام من الكرب والغمّ والشدّة، يقول عمّار[١]:

فَإِنْ يَقْتُلُونِي... يَقْتُلُونِي فَلَمْ أَكُنْ ... لِأُشْرِكَ بِالرَّحْمٰنِ مِنْ خِيْفَةِ الْقَتْلِ

فَيَا رَبَّ إِبْرَاهِيمَ وَالْعَبْدِ يُوْنُسٍ ... وَمُوْسَى وَعِيْسَى نَجِّنِيْ ثُمَّ لَا تُبْلِ

ورد في القرآن الكريم أيضاً أن الله تعالى جعل الحديدَ في يد نبيِّه داود عليه السلام ليِّناً، يصنع به ما يشاء، من غير حاجة إلى نار ولا مطرقة، بل كان يفتِله في يده مثل الخيوط، ليعمل به الدروع الكاملات الواسعات التي تقي من ويلات الحروب، وعلَّمه الله تعالى كيفيَّة نسج الدروع بحيث تكون متناسبة الحِلَق، وعلى قدر الحاجة، فلا هي صغيرة ضيِّقة لا تحقّق الهدف، ولا كبيرة ثقيلة على لابسها، فيعجز عن لبسها، فكان النبي داود عليه السلام أول من صنع الدروع[٢]، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿... وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣].

لقد استعان العباس بن مرداس بهذه الصورة القرآنية في تصوير الدروع التي لبسها المجاهدون يوم حنين، فهي محكَمة الصنع، مسرودة بالمسامير، كأنها من صنع داود عليه السلام، فيقول[٤]:

كَانَتْ إِجَابَتُنَا لِدَاعِي رَبِّنَا ... بِالْحَقِّ مِنَّا حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

فِيْ كُلِّ سَابِغَةٍ تَخَيَّرَ سَرْدَهَا ... دَاوُدُ إِذْ نَسَجَ الْحَدِيْدَ وَتُبَّعُ

وإلى جانب استفادة شعراء المسلمين من الصور القرآنية التي جاءت في سياق القصص المتعلِّقة بالأنبياء والرسل، استفادوا من القصص المتعلِّقة بالأمم الغابرة.

---

(١) أبو نُعَيْم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٠٠. تُبْلِ: من المبالاة والأصل لا تُبلْ.

(٢) يُنظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٢، ص١٤٩، وصلاح الخالدي، **القصص القرآني**، ج٣، ص٤٣٥.

(٣) سبأ: ١٠-١١.

(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٦٢. الحاسر: الذي لا درع عليه. المقنع: الذي على رأسه مغفر. السابغة: الدرع الكاملة. سردها: نسجها. تُبَّع: ملك من ملوك اليمن.

بيَّن القرآن الكريم أن الله ﷻ لم يترك سبيلاً لثني كفار عاد وثمود وأهل مدينَ عن كفرهم، فأرسل إليهم رسلاً يدعونهم إلى عبادة الله تعالى وحده، لكنهم أصرّوا على الكفر.

وأخبر القرآن الكريم عن جناية أخرى لهم؛ فإن عاداً قد تكبَّروا في الأرض على عباد الله: هود عليه السلام ومَن آمن معه بخير حقٍّ، واغترُّوا بأجسامهم الطوال وبقوّتهم الشديدة حين تَهدَّدهم رسولُهم بالعذاب، كأنهم قادرون على دفع ما ينزل بهم من العذاب، لكن الله تعالى أقدر منهم وأقوى، فلم يتفكّروا في ذلك، وأنكروا المعجزات والأدلَّة الدامغة التي هي حجة عليهم[١]، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[٢].

وأما أصحاب الحِجْر وهم ثمود، فقد بيّن الحقُّ تبارك وتعالى لهم الهدى والضلال، فاختاروا المعصية على الطاعة، والضلالة على الرشد، وكذَّبوا نبيهم صالحاً عليه السلام، وعقروا ناقة الله تعالى التي هي دليل صدق نبيهم[٣]، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى....﴾[٤]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[٥].

وكذلك كذَّب أهل مدينَ نبيَّهم شعيباً عليه السلام فيما دعاهم إليه وأخبرهم به، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * فَكَذَّبُوهُ...﴾[٦]، وقد جمعوا أيضاً بين جريمة إنقاص المكيال والميزان وقطع الطريق على الناس، قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ....﴾[٧]، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا....﴾[٨].

---

(١) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٤، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢) فصلت: ١٥. وتنظر كذلك: هود: ٥٩.

(٣) ينظر: وهبة الزحيلي، **المرجع نفسه**، ج٢٤، ص٢٠٥.

(٤) فصلت: ١٧.

(٥) الحجر: ٨٠-٨١.

(٦) العنكبوت: ٣٦-٣٧.

(٧) هود: ٨٥.

(٨) الأعراف: ٨٦.

واسترشد عبد الله بنُ الحارث السهمي[١] هذه الصورة في ذكر باطل قريش وجحودها لحقّ الله تعالى، فيقرن فعلها ذلك بفعل عاد وثمود ومدين قائلاً[٢]:

وَتِلْكَ قُرَيْشٌ تَجْحَدُ اللهَ حَقَّهُ كَمَا جَحَدَتْ عَادٌ وَمَدْيَنُ وَالْحِجْرُ

وقد جمع القرآن الكريم قصة ثلاثِ فِرَقٍ، وهم عاد وثمود وفرعون -على سبيل الإجمال- في سورة واحدة[٣]، لأنهم أعلام في القوّة والشدّة والتجبُّر؛ فقد تجاوزوا في بلادهم الحدّ في الظلم والجور والأذى والعدوان، وتمرَّدُوا وعتَوْا، واغترُّوا بقوّتهم، فهم قد طغوا في بلادهم، فأكثروا الفساد فيها بالكفر والمعاصي وظلم العباد[٤]، قال الحق تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾[٥].

فلما أراد عبد الله بن حنظلة تصوير الفساد والطغيان والعصيان التي اقترفها الأمويون، التجأ إلى هذه القصّة، فقال يهجو يزيد بن معاوية يوم الحَرَّة[٦]:

بُعْداً لِمَنْ رَامَ الْفَسَادَ وَطَغَى
وَجَانَبَ الْحَقَّ وَآيَاتِ الْهُدَى
لَا يُبْعِدُ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَنْ عَصَى

وبيَّن القرآن الكريم أن سَفَلَةَ عادٍ أطاعوا كبراءهم ورؤساءهم الجبابرة الطغاة المعانِدين للحق، الذين دعوهم إلى الكفر وما يرديهم، وعصوا رسولهم هوداً عليه السلام، الذي دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم[٧]، قال الله تعالى: ﴿. . . .وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٨].

---

(١) عبد الله بن الحارث السهمي هاجر إلى الحبشة، له شعر يحرِّض فيه المسلمين على الهجرة إلى الحبشة، ويصف ما لقوا فيها من الأمن واستشهد بالطائف. ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج٤، ص٤٣-٤٤.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق١، ص٣٣١، الحجر، يريد أصحاب الحجر وهم ثمود.

(٣) تنظر: الفجر: ٦-١٠.

(٤) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٣٠، ص٢٢٦ - ٢٢٨.

(٥) الفجر: ١١-١٢.

(٦) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٥، ص٤٩٠.

(٧) ينظر: وهبة الزحيلي، **المرجع نفسه**، ج١٢، ص٨٩.

(٨) هود: ٥٩.

واستعان عيسى بن عاتك الخطِّيّ بهذا الوصف في هجائه للأمويين، فالسَّفَلَةُ منهم أطاعوا أوامر كبرائهم ورؤسائهم الطاغين الذين دعوهم إلى ما يرديهم، كما فعل سَفَلَةُ عاد، يقول الشاعر[١]:

أَطَعْتُمْ أَمْرَ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ وَمَا مِنْ طَاعَةٍ لِلظَّالِمِيْنَا

ولم يكتفِ القرآن الكريم بتصوير طغيان عادٍ وثمودَ وأهل مدينَ وفرعونَ وفسادِهم، بل تعدّى ذلك إلى وصف عقوباتهم وإهلاك الله تعالى لهم، جزاءً وفاقاً على ظلمهم وآثامهم، وليس ظلماً لهم، لأن الله تعالى أنذرهم وأمهلهم وبعث إليهم الرسل، وإنما ظلموا أنفسهم، كما قال الله تعالى: ﴿. . . .وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٢].

لقد جاء في القرآن الكريم أن عاداً أُهلِكوا هلاكاً ساحقاً بريح شديدة الصوت، شديدة البرد، قاسية شديدة الهبوب، أرسلها وسلَّطها الله تعالى عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة، لا تفتر ولا تنقطع، فصار القوم في تلك الليالي والأيام موتى هالكين، كأصول نخلٍ بالية متآكلة الأجواف لا شيء فيها[٣]، قال الحق جلَّت قدرته: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٤].

عندما أراد عبد الله بن رواحة بيان المصير الذي ينتظر قريشاً جزاءَ تكبُّرِهم وعتوِّهم عن الإيمان، ومكرهم من المسلمين بصدِّهم عن الإيمان ليكثُرَ أتباعُهم، تمثَّل بهذه القصة قائلاً[٥]:

نَزُوْعُ قُرَيْشَ الكفرِ حَتَّى نَعُلَّهَا بِخَاطِمَةٍ فَوْقَ الْأُنُوْفِ بِمِيْسَمِ
يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى لَا يُعَوِّجَ سِرْبُنَا وَنُلْحِقُهُم آثَارَ عَادٍ وَجُرْهُمِ

---

(١) المبرد، **الكامل**، ج٣، ص١١٧٩.

(٢) العنكبوت: ٤٠.

(٣) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج:٢٩، ص: ٨٤-٨٧.

(٤) الحاقة: ٦-٧.

(٥) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٦٥٦، وعبد الله بن رواحة، **ديوانه**، ص١٣١، نزوع قريش: ندفعهم ونسوقهم كما تساق الإبل، نعلها: من العل وهو الشرب مرة بعد أخرى، أي نسقيهم الذل، الخاطمة: من حطمه بالخطام، وهو حبل الناقة أي جعله على أنفه، يريد القهر والغلبة، الميسم: الحديدة التي توسم بها الإبل، يد الدهر: أبداً.

وأما ثمود فأهلكوا بالطاغية[١]، وهي الصيحة، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾[٢]، أو الرجفة، كما في قوله سبحانه: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٣]، أو الصاعقة، كما في قوله جلّ جلاله: ﴿. . . .فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[٤].

ولا تعارضَ بين هذه الأسماء، فكل اسم تُلحظُ فيه مرحلةٌ من مراحل ذلك العذاب، ودرجة من درجاته؛ لقد انشقّت بهم الأرض، فسمعوا لها صيحة قوية، وصوتاً عالياً، ثم رجفت بهم وحركَتْهم، ثم صعقَتْهم وأهلكتْهم[٥].

ويصوِّر عدي بن عوف الكندي[٦] المصيرَ الذي سيؤول إليه المرتدُّون من أهل كندة مستعيناً بقصّة ثمود الهالكين[٧] فيقول[٨]:

لَا بَلْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ الَّذِي ... لَاقَتْ ثَمُودٌ قَبْلَ ذَاكَ وَصَالِحُ

وأما سبأ فقد وصفت الآيات الكريمة فناءَهم وغضب الله تعالى عليهم، بسبب كفرهم وشركهم بالله تعالى، وتكذيبهم الحقَّ، وعدولهم عنه إلى الباطل، وكُفرانهم النِّعَم، فكانت نهايتهم بسيل العرم الذي سلّطه الله تعالى عليهم، ففرّقهم وشتّت خيراتِهم[٩]، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[١٠].

ويقول النابغة الجعدي ذاكراً فناء مُلك فارس، متأثّراً بصورة هلاك سبأ المذكورة[١١]:

---

(١) تنظر: الحاقة: ٥.

(٢) الحجر: ٨٣.

(٣) الأعراف: ٧٨.

(٤) الذاريات: ٤٤.

(٥) ينظر: صلاح الخالدي، **القصص القرآني**، ج١، ص٢٩٣.

(٦) عدي بن عوف الكندي ممن ثبتوا على الإسلام أيام الردة، وله مواقف محمودة في الحث على الثبات على الإسلام، وله في ذلك خطب وأشعار، ينظر: ابن أعثم، **كتاب الفتوح**، ج١، ص٤٩.

(٧) لقد استعان جرير أيضاً بقصة هلاك ثمود في مدحه لهشام بن عبد الملك، وفي هجائه لآل المهلب، ينظر: **ديوانه**، ص١١٧، و ص١٦٧.

(٨) الواقدي، **كتاب الردة**، ص١٧٨.

(٩) لمزيد من التفصيل، ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٢، ص١٦٤-١٧٢.

(١٠) سبأ: ١٥-١٦.

(١١) النابغة الجعدي، **ديوانه**، ص١٤٩، بادت: هلكت وزالت، خدها رغم: كناية عن الذل والهوان، الشاء: جمع شاة وهي النعجة، سبأ: قوم سكنوا اليمن، مأرب: بلد مشهور بسده حيث أرسل الله تعالى سيلاً فهدمه، العرم: جمع عرمة وهو بناء يحبس فيه الماء ويترك فيه سبيل للسفن، سيل العرم، السيل الذي لا يطاق لقوته وشدته.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ تَرَوْنَ إِلَى ... فَارِسَ بَادَتْ وَخَدُّهَا رَغِمَا
أَمْسَوْا عَبِيْداً يَرْعَوْنَ شَاءَكُمُ ... كَأَنَّمَا كَانَ مُلْكُهُمْ حُلُمَا
مِنْ سَبَأِ الْحَاضِرِيْنَ مَأْرِبُ إِذْ ... يَبْنُوْنَ مِنْ دُوْنِ سَيْلِهِ العَرِمَا

فهذه بعض الصور القرآنية التي وردت في سياق القصص، ولما كانت هذه القِصصُ ذاتَ هدفٍ دينيّ للموعظة والتربية والتوجيه[١]، استفاد شعراء المسلمين منها، والتقطوا التوجيه الذي تحمله، جاعلين أعلام تلك القِصص القرآنية رموزاً لكثير من المشاعر التي أرادوا الإبانة عنها، والأفكارِ التي قصدوا إلى الإفصاح عنها، قاصدين إلى الإقناع والإرشاد، إلا أن تلك الاستفادة كانت إشاراتٍ موجزة وسريعة.

بعد هذا العرض لصور شعراء المسلمين المستمَدَّة من القرآن الكريم، يلاحظ أن الشعراء في عصر النبوَّة أكثروا من استخدام الصور التقريريّة الوصفيَّة[٢]. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هؤلاء الشعراء لم يتّخذوا من شعرهم هدفاً فنيًّا؛ فلم يتفنَّنوا في اقتباس الصور، ولم يقصدوا إلى إمتاع الخيال أكثر مما يقصدون إلى إمتاع العقل، بل لإيصال فكرة الجهاد كونها رسالة محرِّكة لسامعها؛ فالهدف هو التأثّر السريع والاستجابة. فلا بدّ من استخدام الصور التقريرية لسهولتها، لأنها توصل الفكرة مباشرة بغير تكلّف، فيدركها السامع بسهولة. لذا، فقد اتّسم شعرهم بالوضوح والسهولة والعفوية[٣]. بالإضافة إلى أن أكثر هؤلاء الشعراء هم من الشعراء المخضرمين، الذين نبتوا في الجاهلية، وعاشوا في عصر النبوَّة؛ فلم يختلفوا في صناعة شعرهم عن آبائهم الجاهليّين في شيءٍ، بل ظلّوا يَنْظُمُون شعرهم على الصورة الجاهلية[٤].

---

(١) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٤، ص٢٠٧، وج٣٠، ص٢٢٦.

(٢) وهي الصور التي تتقرر هيئاتها لدى المتلقي بوساطة مدلول كلمات التعابير التي نهضت برسمها من غير اللجوء إلى أساليب البيان التي تقربها إلى الآخرين وتجريها في أذهانهم مثيرة ما استقر في هذه الأذهان من ذكريات خاصة وتجارب شخصية، ينظر: كامل حسن البصير، **بناء الصورة الفنية**، ص٢٦٨ - ٢٦٩.

(٣) ينظر: مصطفى ناصف، **الصورة الأدبية**، ط:٣، دار الأندلس، د.م، ١٩٨٣م. ص١٨٦.

(٤) ينظر: شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ط٤، دار المعارف، مصر، د.ت، ص٣٢-٣٣، وحسن مرعي حسن الشلبي، "البطولة في الشعر العربي الإسلامي زمن الرسول ﷺ"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، ٢٠٠٠م، ص١٤٢.
ذلك لأن التقاليد الفنية والقيم الشعرية تكتسب عبر أجيال وأجيال، وهي تتأثر ببطء، وتتغير في تدرج ومهل، فلا غرابة في استمرارية بعض الطوابع والسمات الجاهلية في الشعر الإسلامي، ينظر: إخلاص فخري عمارة، **الإسلام والشعر**، ص١٨١، و ص٢٢٣.

أما في عصر الخلافة الراشدة والعصر الأموي فيلاحظ أن التطوُّر قد طرأ على تلك الصور المقتَبَسة من القرآن الكريم، فمعظم الشعراء قد التجأوا إلى استخدام الصور الفنية[١]، فتفنَّنوا في صورهم باستخدام التشبيهات والاستعارات وغيرها.

ولعل هذا التطور يرجع إلى أن عصر الخلفاء الراشدين هو بداية انطلاق العرب المسلمين من شبه جزيرتهم يجاهدون في سبيل الله دولتي الفرس والروم، فقضوا على الأولى، واستولوا على أهمِّ ولايتين للثانية، وهما الشام ومصر. وهذه الفتوح كانت خيراً وبركة على الشعر في هذه المدة؛ لأنها أذكت جذوة الشعر العربية، وأطلقت الألسن من عِقالها، بما فتحت أمام الشعر من مجالات واسعة[٢] لدى هؤلاء المجاهدين العرب الذين قد تأثّروا نفسيّاً وحضاريّاً بما شاهدوه في هذه النواحي المفتوحة، من طبيعة جديدة عليهم. ولا بدّ أن يكون هناك فرق بين نفسية وخيال عربي لم يرَ إلا الصحراء، ونفسية وخيال عربي رأى ما لم يسبق له رؤيتَه أثناء الفتوح من ممالك الفرس ومستعمرات الروم. فضلاً عما استشعره هؤلاء المسلمون الفاتحون من ثقة واعتداد بأنفسهم، واعتزاز بدينهم، وهم يرون هذه الممالك العريقة في الحضارة تتهاوى تحت ضربات سيوفهم[٣]؛ بعد أن كانوا يسمعون بالرومي أو الفارسي فيعظِّمون قدره، ويتمثَّلون بسطوة قيصر وكسرى[٤]. فأبرزت هذه الفتوحات شاعريَّة كثير من الشعراء المغمورين الذين لم يذع لهم شعر قبل اشتراكهم فيها، فسارت بأشعارهم الركبانُ وسُجّلت أسماؤهم في أذهان العرب[٥]. كما أنها أنطقت قوماً بالشعر، ولم تكن لهم سابقة في ميدانه؛ لكنهم لما حملوا السلاح، وخاضوا المعارك الدينية بإحساس المجاهدين الصادقين، فاضت نفوسهم بالأبيات أو المقطّعات القصيرة، تسرية وتنفيساً، وحثّاً لنفوسهم وتحميساً[٦]. فهذه الفتوحات قد هيَّأت لهؤلاء الفاتحين جوّاً مناسباً فسيحاً لقول الشعر والتفنُّن في صورهم.

---

(١) وهي ما يمتاز بالمهارة في البناء والدقة في الصياغة عن وعي متيقظ وإرادة هادفة، ينظر: كامل حسن البصير، **بناء الصورة الفنية في البيان العربي**، ص٢٧١.

(٢) ينظر: النعمان عبد المتعال القاضي، **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، ص١٩٢.

(٣) ينظر: صلاح الدين الهادي، **الأدب في عصر النبوة والراشدين**، ص٣٠٣.

(٤) ينظر: جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص١٨٦.

(٥) منهم نافع بن الأسود التميمي، وعمرو بن مالك الزهري، والأعور الشني، وكثير بن الغريزة النهشلي، وزهير بن عبد شمس البجلي، والقعقاع بن عمرو وغيرهم.

(٦) ينظر: النعمان عبد المتعال القاضي، **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، ص١٩٢-١٩٤، وصلاح الدين الهادي، **المرجع نفسه**، ص٣٠٣.

ومنهم بشر بن ذريح الثعلبي، وبشر بن ربيعة، والأشعث بن عبد الحجر، وجندب بن عمار، وعلباء بن جحش العجلي وغيرهم.

وأما في العصر الأموي فلعلَّ السبب في محاولة الشعراء استلهام الصور الفنِّية من القرآن الكريم يعود إلى أن أكثر هؤلاء الشعراء -إلاّ شعراء الخوارج كما ذكر سابقاً-[١] يتكسَّبون بالشعر، فيبالغون في مديح الأُمويِّين، طمعاً في أن يزيد ما ينالونه على قصائدهم من عطاء الأُمويين ولاكتساب الجمال والروعة والقوَّة في شعرهم أضفَوْا عليه الصور الفنية المقتبَسة من القرآن الكريم.

ومن الملاحظ أيضاً أن تلك الصور الفنية المقتبسة من القرآن الكريم جاءت متناثرة في شعر هؤلاء الشعراء -في عصر الخلافة الراشدة والعصر الأموي- بصورة عفوية دون مبالغة ولا تكلّف في اختيار تلك الصور، ويُعَدُّ التشبيه من أكثر الفنون البيانية جرياناً في شعرهم، لأنه أقربُ صورِ البيان ووسائل الخيال إلى الفهم والأذهان[٢]، والذي يزداد به المعنى وضوحاً، ويكتسب تأكيداً[٣]، فيُخرِج الأغمضَ إلى الأوضح ويقرِّب البعيد[٤]، ولأن التشبيه إن كان مدحاً كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم، وأهزّ للعِطْفِ وأسرع للإلف، وأجلب للفرح وأغلب على الممتدح، وأسْيَر على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر، وإن كان ذمّاً كان مسُّه أوجع وميْسَمه ألذع، ووقعه أشدّ وحدُّه أحدّ، وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر، وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر، وأدعى للفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر[٥].

---

(١) ينظر: الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) لمزيد من التفصيل، ينظر: عبد العزيز عتيق، **علم المعاني - البيان - البديع**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص٢٩٩-٣٠٨.

(٣) ينظر أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ)، **كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر**، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٢٤٣.

(٤) ينظر: ابن رشيق، **العمدة**، ج١، ص٢٨٧.

(٥) ينظر: الجرجاني، عبد القاهرة (ت٤٧١هـ)، **أسرار البلاغة**، تحقيق محمد الفاضلي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٨٨-٨٩.

الفصل الرابع
أثر القرآن الكريم في معجم شعر الجهاد

أول ما يلقى المتلقِّي في نصوص الشعر ألفاظه، وهي أصغر الوحدات ذات المعنى في الكلام المتَّصل، ومن الحقائق الواضحة أن للألفاظ صلة وثيقة بالحالة الشعورية التي تنتاب الشاعرَ أثناء نظمه للقصيدة. فضلاً عن طبيعة الموضوع الذي يعرض له، إذ أن لكل غرض من أغراض الشعر ما يلائمه من الألفاظ(١).

وكان الشعر في أوائل نزول القرآن الكريم خالياً من أيَّة لمسة قرآنية، ولكن بمرور الزمن، وتوالي نزول القرآن الكريم ودوام تلاوته، وانتشار الإسلام، بدأت ألفاظ جديدة تتسلَّل وتتسرَّبُ إلى أشعار هؤلاء الشعراء، وتتردَّد على شفاههم، محاولين تحرير تلك الأشعار من الخشونة والتعقيد اللفظي مما درجوا عليه في العصر الجاهلي(٢). يقول ابن فارس: كانت العرب في جاهليتها على إرثٍ من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونَسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله – جلَّ ثناؤه– بالإسلام حالت أحوال، ونُسِخَت ديانات، وأُبْطِلت أمورٌ، ونُقِلَتْ من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضعَ أُخَرَ بزيادات زيدت، وشرائع شُرِعَتْ، وشرائط شُرِطت، فَعَفَّى الآخِرُ الأوَّلَ"(٣).

وعلى الرغم من أن المدة الزمنية بين العصر الجاهلي ونزول القرآن الكريم قصيرة جدّاً إلا أن مظاهر التطوُّر الدلالي كثيرة ومتنوِّعة، فقد تجرَّد كثير من الألفاظ العربية من معانيها العامّة القديمة، وأصبحت تدلّ على معانٍ خاصّة تتّصل بالعبادات والشعائر أو شؤون السياسة والإدارة والحرب وغيرها(٤)، وقد تولَّدت في العصر الإسلامي ألفاظ لم تكن في العصر الجاهلي(٥).

فالشعر الذي قيل في الجهاد –على مدى مدة موضوع الدراسة– مليء بالألفاظ التي تطورت دلالاتها مع نزول القرآن الكريم، وفيما يلي بعض تلك الألفاظ.

---

(١) ينظر: أيهم عباس حمودي القيسي، **شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة ٢٣ هجرية**، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣١٦.

(٢) ينظر: مصطفى عبد الشافي الشوري، **شعر الرثاء في صدر الإسلام**، ص١٠٥، والسيد عبد القادر عويضة، **أثر الإسلام في الشعر**، ص١٣١، وحسن مرعي حسن الشلبي، "البطولة في الشعر العربي الإسلامي زمن الرسول ﷺ"، ص١٣٠.

(٣) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها**، تحقيق: أحمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص٤٤.

(٤) ينظر: علي عبد الواحد وافي، **فقه اللغة**، ط٥، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١١٥.

(٥) ينظر: أحمد عبد الرحمن حماد، **عوامل التطور اللغوي – دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية**، مطابع البيان التجارية، دبي، د.ت، ص٢٠٥.

القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو الكتاب الذي نزل على الرسول ﷺ[١]، وكلمة "القرآن" لم تستعمل بهذه الصيغة في العصر الجاهلي[٢]، وإنما عرفت مشتقّاتها؛ فقيل: قرأتِ الناقةُ والشاة بمعنى حملت، وقرأ الشيء جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، وما قرأتْ هذه الناقة سَلاً قطّ، وما قرأت جنيناً قطّ أي لم تضمّ رحمُها على ولد"[٣]، فسمّي القرآن الكريم قراناً لأنه يجمع السُّوَر فيضمُّها[٤]، وذكرت هذه الكلمة في آيات كثيرة لتدل على الكتاب المنزل على الرسول ﷺ، منها قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ....﴾[٥].

ووردت كلمة "القرآن" في شعر الجهاد. قال حسان بن ثابت يوم بني قريظة يهجوهم[٦]:

كَفَرْتُمْ بِالْقُرآنِ وَقَدْ أُتِيتُمْ ... بِتَصْدِيقِ الَّذِي قَالَ النَّذِيرُ

وقال عَمْرُو بنُ مُرَّة الجُهَنِي[٧] يفتخرُ بإسلامه[٨]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ ... وَبَيَّنَ بُرْهَانَ الْقُرْآنِ لِعَامِرِ

وقال جرير يمدح عبدَ الملك بنَ مروان[٩]:

لَوْلاَ الْخَلِيفَةُ وَالْقُرْآنُ يَقْرَأُهُ ... مَا قَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ وَلاَ جُمَعُ

---

(١) ينظر: صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥م، ص٢٢.

(٢) ينظر: عودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم**، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٥م، ص٤٨٩، وص٤٩١.

(٣) ينظر: الزبيدي، محمد بن محمد (ت١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٥م، ج١، ص٣٦٩-٣٧٠.

(٤) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص١٢٨، والجوهري، **الصحاح**، ج١، ص٦٥.

(٥) البقرة: ١٨٥.

(٦) حسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص٢٤٧.

(٧) عمرو بن مرة الجهني صحابي، حطم الصنم الذي كان في الجاهلية سادناً له، ووفد على رسول الله ﷺ، وشهد معه ﷺ أكثر المشاهد، وتوفي في خلافة معاوية، ينظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٣، ص٢٧٨، وابن حجر، **الإصابة**، ج٤، ص٥٦٣-٥٦٤، والنويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج١٨، ص١٩.

(٨) عبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص١١٥.

(٩) جرير، **ديوانه**، ص٢٧٨.

وللقران أسماء اكتسبت مدلولات جديدة لم تكن لها في العصرِ الجاهليِّ، مثل لفظ "الكتاب"، فهو اسم علم للقرآن الكريم، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]، على حين أن "الكتاب" كان معروفاً في العصر الجاهليِّ بأنه اسم لما يكتب فيه ويسجّل[٢].

وقال قَيْسُ بنُ طَرِيْف الأشجَعِيّ يمدح الرسول ﷺ يوم الأحزاب بانه رسول الله أُنْزِل عليه كتابٌ فيه شِرْعةُ الإسلام[٣]:

رَسُولٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ يَتْلُوْ كِتَابَهُ ... وَشِرْعَتُهُ وَالْحَقُّ لَمْ يَتَلَعْثَمِ

وقال حسّان بن ثابت يرثي شهداء مؤتة[٤]:

هُمُ أَوْلِيَاءُ اللهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ ... عَلَيْهِم وَفِيْهِمْ ذَا الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ

وقال عديُّ بنُ حَاتم[٥] محرِّضاً قبائلَ طَيْءٍ على قتال المرتدّين من أسد و غطفان وفزارة[٦]:

نُغَادِرُهُمْ بِالْخَيْلِ حَتّٰى نُقِيْمَهُمْ ... بِصُمِّ الْعَوَالِيْ وَالصَّفِيحِ الْمُهَنَّدِ

وَحَتّٰى يُقِرُّوْا بِالنُّبُوَّةِ أَنَّهَا ... مِنَ اللهِ حَقٌّ وَالْكِتَابُ لِأَحْمَدِ

والفرق هو تفريق ما بين الشيئين حين يتفرّقان، وأيضاً الفصل بين الشيئين[٧] ، ويتولّد من هذا اللفظِ لفظ "الفرقان"، وأُطْلِقَ على القرآن الكريم لأنه يفرق بين الرشاد والضلال[٨]، قال عزّ من قائل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[٩].

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٦٩٨، والجوهري، **الصحاح**، ج١، ص٢٠٨.

(٣) ابن حجر، **الإصابة**، ج٥، ص٣٦٦.

(٤) حسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص٢٣٤.

(٥) **عدي بن** حاتم بن عبد الله الطائي، **صحابي من الأجواد الفضلاء**، كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام. وقام في حروب الردة بأعمال جليلة ثبتت قومه على الإسلام، وأسلم سنة ٩ للهجرة، وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة ومات بها، ينظر: ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٨٨ - ٣٩٠.

(٦) الواقدي، **كتاب الردة**، ص٦٤.

(٧) ينظر: ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج١٠، ص٣٠١.

(٨) ينظر ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج١٠، ص٣٠٢.

(٩) الفرقان: ١.

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ بعد انتصارِ المسلمين يوم بدرٍ يمدح الرسولَ ﷺ[١]:

فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ مِنَ اللهِ مُنْزَلِ مُبَيِّنَةٌ آيَاتُهُ لِذَوِي الْعَقْلِ

وقال العباسُ بنُ مرداسٍ يمدح الرسول ﷺ بعد إعلان إسلامه[٢]:

أَمِيْناً عَلَى الفُرْقَانِ أَوَّلَ شَافِعٍ وَآخِرَ مَبْعُوْثٍ يُجِيْبُ المَلَائِكَا

وقال النابغة الجعدي يفتخر بنعمة الله بأن هداه للدين الحنيف وبأنه عمر حتى شهد نزول القرآن الكريم[٣]:

وَعُمِّرْتُ حَتَّى جَاءَ أَحْمَدُ بِالْهُدَى وَقَوَارِعٍ تُتْلَى مِنَ الْفُرْقَانِ

والسورة من المصطلحات القرآنية الجديدة، وهي تتعلّق بالقرآن الكريم، لأنها اسم للقطعة التي تكوّن وحدة مستقِلّة من القرآن الكريم وتتألّف من عدّة آيات قرآنية[٤]، فالسورة بهذا المعنى الاصطلاحي لم تعرف في العصر الجاهلي[٥] لسبب واحد بسيط وهو أن القرآن الكريم كلّه كان على العرب جديداً[٦]، وذكرت "السورة" في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ. . . .﴾[٧].

وقد جاء لفظ "السورة" في قول عبد الله بن رواحة في مدحه للرسول ﷺ[٨]:

نُجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عُرْضٍ فَنَأْسِرُهُمْ فِينَا النَّبِيُّ وَفِينَا تَنْزِلُ السُّوَرُ

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١١.

(٢) الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٤، ص٢٩٧.

(٣) النابغة الجعدي، **ديوانه**، ص١٧٧، القوارع: الآيات القرآنية التي كانت تقرع سمع النبي ﷺ، أو ايات التهديد والوعيد التي يعد بها المشركين.

(٤) لمزيد من التفصيل ينظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط:٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ج١، ص٣٥٠.

(٥) استخدمت السورة في العصر الجاهلي لتدل على ما طال وحسن من البناء ، وعرق من عروق الحائط، والمنزلة الرفيعة، والشرف، والعلامة، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٣٨٥-٣٨٦.

(٦) ينظر: عودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي**، ص ٤٩٥.

(٧) البقرة: ٢٣.

(٨) عبد الله بن رواحة، **ديوانه**، ص١٥٩، جالد بالسيف: ضارب به، ويقال "خرجوا يضربون الناس عن عرض" أي عن شق وناحية لا يبالون من ضربوا.

وقال حسان بن ثابت بعد انتصار المسلمين يوم حنين[١]:

نُجَالِدُ النَّاسَ لَا نُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلَا نُضَيِّعُ مَا تُوْحِي بِهِ السُّوَرُ

والآية من المصطلحات القرآنية الجديدة أيضاً، وهي الجملة من القرآن الكريم[٢]، أو القطعة من السورة المتضمّنة أمراً أو نهياً أو غير ذلك[٣]، قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ....﴾[٤]، وقد استُعْمِلت "الآية" في القرآن الكريم بمعنى العلامة أيضاً، كما استُخْدِمت في العصر الجاهلي[٥]، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ....﴾[٦]، وبمعنى العظة والعبرة[٧] في قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٨].

ووردت كلمة "الآية" بمعناها الاصطلاحي في قول حمزة بن عبد المطّلب حين أعلن إسلامه[٩]:

إِذَا تُلِيَتْ رَسَائِلُهُ عَلَيْنَا ... تَهَدَّرَ دَمْعُ ذِي اللُّبِّ الْحَصِيفِ

رَسَائِلُ جَاءَ أَحْمَدُ مِنْ هُدَاهَا ... بِآيَاتٍ مُبَيِّنَةِ الْحُرُوفِ

وقال كعبُ بنُ مالكٍ يمدح الرسول ﷺ في معرض ذكره لإجلاء بني النضير وقتل كعب ابن الأشرف[١٠]:

نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَّى كِتَاباً ... وَآيَاتٍ مُبَيِّنَةً تُنِيرُ

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٩٨.

(٢) ينظر: عودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي**، ص٥٠٠.

(٣) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١، ص٢٦٧.

(٤) البقرة: ١٠٦.

(٥) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص٦٢، والنابغة الذبياني، **ديوانه**، جمع وشرح وتعليق محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦م، ص١٦٢.

(٦) آل عمران: ٤١.

(٧) ينظر: ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج١٤، ص٦٢.

(٨) العنكبوت: ١٥.

(٩) السهيلي، **الروض الأنف**، ج٢، ص٤٥.

(١٠) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص١٩٩.

الإيمان:

الإيمان مأخوذ من الفعل "آمَنَ" بالشيء أي صدَّق، وقال الباقلاّني: "إجماع أهل اللغة قاطبةً على أن الإيمان في اللغة قبل نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ هو التصديق، لا يعرفون في لغتهم إيماناً غير ذلك"(١). وأصل المادة يعني الأمنَ الذي هو ضدّ الخوف، والأمانة ضد الخيانة(٢).

وأما الإيمان في المعنى الاصطلاحي فهو التصديق اليقيني بالقلب بوحدانية الله وكماله وبالوحي والرسل وباليوم الآخر بحيث يكون له السلطان على الإرادة والوجدان فيترتّب عليه العمل الصالح(٣)، ولذلك قال الله عزَّ وجلَّ بعد نفي دخول الإيمان في قلوب أولئك الأعراب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(٤)، فالمؤمن بالله تعالى ورسوله غير مرتاب ولا شاكٍّ، وهو الذي يرى أنّ أداء الفرائض واجب عليه وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب.

وورد ذكر "الإيمان" وما يشتقُّ منه في لغة الشعراء بمعناه الاصطلاحي، كما كثر ذكره في القرآن الكريم. فجاء فعلاً في قول علي بن أبي طالب بعد انتصار المسلمين يوم بدر في معرض مدحه للرسول ﷺ الذي جاء بالقرآن الكريم(٥):

فَآمَنَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَيْقَنُوا ... فَأَمْسَوْا بِحَمْدِ اللهِ مُجْتَمِعِيَ الشَّمْلِ

وقال ثابتُ بنُ قيس(٦) في محاربة المرتدين يوم اليمامة مرتجزاً(٧):

آمَنْتُ بِاللهِ العَلِيِّ الأَمْجَدِ
هَادٍ إِلَى سُبُلِ الْهُدَى وَمُهْتَدِ

---

(١) ينظر: الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ)، **كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٣م، ص٣٨٩.

(٢) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ص٢١، والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ج١، ص٢٠.

(٣) ينظر: محمد رشيد رضا (ت١٩٣٥هـ)، **تفسير المنار**، تخريج وشرح إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ج٣، ص٢٩٦، والسيد سابق، **العقائد الإسلامية**، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٩-١٢.

(٤) الحجرات: ١٥.

(٥) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١١.

(٦) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الخزرجي الأنصاري خطيب الأنصار وخطيب الرسول ﷺ، شهد أحدا وما بعدها، وبشّره الرسول ﷺ بالجنة، واستشهد يوم اليمامة، ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج١، ص٥١١-٥١٢.

(٧) الواقدي، **كتاب الردة**، ص١٣١.

وجاء لفظُ "المؤمن" في قوله تعالى: ﴿. . . .وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ. . . .﴾[١]، وورد هذا اللفظ أيضاً في قول بكر بن جبلة[٢] حين أعلن إسلامه[٣]:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى ... فَأَصْبَحْتُ بَعْدَ الْجَحْدِ لِلّٰهِ مُؤْمِنَا

وقال حُجْر بن عدِيّ[٤] يدعو الله تعالى أن ينصر عليّ بن أبي طالب يوم صفين[٥]:

سَلِّمْ لَنَا الْمُهَذَّبَ التَّقِيَّا
الْمُؤْمِنَ الْمُسْتَرْشَدَ الْمَرْضِيَّا

كما جاء لفظ "الإيمان" في قوله تعالى: ﴿. . . .وَمَنْ يُبَدِّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٦].

وقال كعب بن مالك يهجو أبا عامِر عبدَ عمرِو بن صيْفيّ أحدَ المنافقين[٧].

فَإِمَّا قُلْتَ لِيْ شَرَفٌ وَنَخْلٌ ... فَقَدْماً بِعْتَ إِيْمَاناً بِكُفْرِ

وقال حسان بن ثابت مفتخراً بالمسلمين من الأنصار[٨]:

وَبَايَعُوْهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ ... مِنْهُمْ وَلَمْ يَكُ فِيْ إِيْمَانِهِم دَخَلُ

---

(١) البقرة: ٢٢١.

(٢) بكر بن جبلة الكلبي صحابي شاعر، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه رسول الله ﷺ بكرا، ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج١، ص٤٥١.

(٣) ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج١، ص٤٥١.

(٤) حجر بن عدي الكندي صحابي، سيد، عابد، زاهد، كان من أشياع علي، ولازمه في حروبه، وقتله معاوية سنة ٥١ للهجرة، ينظر: ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٣٢.

(٥) نصر بن مزاحم المنقري، **وقعة صفين**، ص٣٨١.

(٦) البقرة: ١٠٨.

(٧) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق١، ص٥٨٦.

(٨) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٥٥٥.

الإسلام:

كلمة "الإسلام" عربية الاشتقاق، يقال: سَلِمَ يَسْلَمُ سلامة وسلاماً. سلمَه الله من الأمر: وقاه إياه، والسلام والسلامة: البراءة، وتَسَلَّم منه: تَبَرَّأَ[١]، والإسلام والاستسلام: الانقياد[٢]، والسِّلم: ضد الحرب[٣].

والإسلام في المصطلح القرآني يعني اتِّباع أمر الله والخضوع والانقياد له، جاء في لسان العرب: "والإسلام من الشريعة إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ"[٤]، وأن المسلم هو المستسلم لأمر الله[٥].

وقد تتبَّعَ أحمدُ أمين مادة "سلم" في كتابه "فجر الإسلام" فقال: "إذا تتبَّعْنا مادة "سلم" ونشوء كلمة الإسلام رأينا أن معنى السلام: المسالمة، وضدّ المسالمة الحرب والخصام. جاء في القرآن الكريم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٦]، ولعل هذه الآية هي المفتاح الذي نصل به إلى معرفة السبب في تسمية العهد الذي قبل محمد ﷺ جاهلية وعهده إسلاماً"[٧]. وبعد أن يبحث المؤلِّف معنى الجاهلية يتابع شرحه عن الإسلام، فيقول: "فترى من هذا كله أن كلمة الجاهلية تدلّ على الخفة والأنفة والحمية والمفاخرة، وهي أمور أوضح ما كانت في حياة العرب قبل الإسلام، فسُمِّي العصر الجاهلية؛ ويقابل هذه المعاني هدوء النفس والتواضع والاعتداد بالعمل الصالح لا بالنسب، وهي كلها نزعة سلام، .... ثم انتقلت الكلمة إلى معنى آخر قريب من هذا، وهو استعمال "أسلم" المشتقّ من السلام بمعنى الخضوع والانقياد، لما كان الخضوع أدعى إلى السلام، وفي هذا المعنى جاءت الآية:

---

(١) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص٢٨٩.

(٢) ينظر: ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج١٢، ص٢٩٣.

(٣) ينظر: ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، ط١، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ج٣، ص٤٩.

(٤) ينظر: ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج١٢، ص١٩٣.

(٥) ينظر: ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج١٢، ص٢٩٣.

(٦) الفرقان: ٦٣.

(٧) أحمد أمين، **فجر الإسلام**، ط١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٦٩.

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ....﴾[١]، وقد أطلقها القرآن بهذا المعنى أحياناً على المؤمنين والكافرين جميعاً لأنهم خاضعون لله، ومنقادون له بحكم خلقتهم، رضوا أم كرهوا: ﴿....وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٢]، ....ثم قصرت في الاستعمال على من أسلم وجهه لله طوعاً، فكأن المسلم هو الذي رضي بإطاعة الله. وبهذا المعنى تطلق كلمة "المسلم" على كل من خضع لله وأطاع أيَّ نبي من الأنبياء، فأتباع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد مسلمون، ثم خُصَّت في الاستعمال بالدين الذي أتى به محمد ﷺ"[٣]، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤].

وورد لفظ "الإسلام" وما يشتقُّ منه بكثرة في شعر الجهاد بمعناه الاصطلاحي، كما تضافر وروده في القرآن الكريم، فجاء فعلاً في قوله تعالى: ﴿....وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا....﴾[٥].

وقال حسان بن ثابت يدعو وفد بني تميم إلى الإسلام وترك الشرك والوثنية[٦]:

فَلَا تَجْعَلُوْا لِلّٰهِ نِداً وأَسْلِمُوْا ... وَلَا تلبسوا زِيّاً كَزِيِّ الْأَعَاجِمِ

وجاء لفظ "الإسلام" في قول حُرَيْث بن زيد الخيل[٧] حين هدّد المرتدّين من بني أسد بالقتال إن لم يعودوا إلى دين الإسلام[٨]:

وَرَجْعِكُمُ عَنِ الْإِسْلَامِ كُفْراً ... وَقَدْ كُنْتُمْ عَلَى دِيْنِ الرَّسُوْلِ

إلى أن يقول:

---

(١) الزمر: ٥٤.

(٢) آل عمران: ٨٣.

(٣) ينظر: أحمد أمين، **فجر الإسلام**، ص٧٠-٧١.

(٤) آل عمران: ٨٥.

(٥) آل عمران: ٢٠.

(٦) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٥٦٦، الند: المثل والشبه.

(٧) **حريث بن زيد الخيل بن مهلهل الطائي، شاعر فارس مخضرم، وفد على الرسول ﷺ فأسلم، وصحب** الرسول ﷺ وشهد قتال الردة في جيش خالد بن الوليد، ينظر: ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج١، ص٤٥١.

(٨) الواقدي، **كتاب الردة**، ص٨٩-٩٠.

إِلَـى أَنْ تَقْبَلُـوْا الْإِسْـلَامَ كُرْهـاً بِحَدِّ الرُّمْـحِ وَالسَّـيْفِ الصَّقِيْـلِ

وقال الفرزدق يدعو الناس إلى الإسلام في معرض مدحه لسليمان بن عبد الملك[١]:

هَلُمَّ إِلَى الْإِسْـلَامِ وَالْعَـدْلُ عِنْدَنَـا فَقَدْ مَاتَ عَنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ خَبَالُـهَا

وقال بشَّار بن بُرْد[٢] يفتخر بالمجاهدين الفرس، وينسب إليهم فضـل ظـهور الإسـلام وانتشاره في أقطار الأرض؛ فهم يغضبون لله تعالى وللإسلام أشرف الغضب وأجلَّه[٣]:

نَغْضَـبُ لِلّٰـهِ وَلِلْـ إِسْـلَامِ أَسْـرَى الْغَضَـبِ

كما جاء لفظ "المسلم" في قوله تعـالى: ﴿... أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٤]. وقال شاعرٌ يهجو عبيد الله بن زياد والي العراق أيام يزيد بن معاوية[٥]:

كَـمْ قَتَلُـوْا مِـنْ مُسْـلِمٍ عَبَّـادِ جَـمٍّ الصَّـلَاةِ خَاشِـعِ الْفُـؤَادِ

وقال نهار بن توسعة يمدح قتيبة بن مسلم الباهلي القائدَ المُظَفَّرَ الذي يحقِّق النصر في كل المعارك[٦]:

قَتَلْـتَ عَـدُوَّ اللهِ نِـيزك بَعْدَمَـا أَتَىٰ وَجُنُـوْدُ الْمُسْـلِمِينَ عَلَـى حِقْـدِ

وقال أحد المجاهدين يثني على سعيد الحَرَشي في قتال الخزر[٧]:

---

(١) الفرزدق، **ديوانه**، ج٢، ص٧٦، هلم: تعالوا؛ وهي عند الحجازيين من أسماء الأفعال يستوي فيـها المفـرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، ينظر: إميل بديع يعقوب، **معجم الإعراب والإملاء**، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م، ص٤٣٨.

(٢) بشار بن برد بن يرجوخ من كبار الشعراء الهجائين، فارسي الأصل، عاش بالبصرة، ولد أعمـى، غليـظ المنظر، هجا المهدي محمد بن المنصور من الخلفاء العباسيين، فَسخط عليه، واتّهمه بالزندقة وضربـه سـبعين سوطاً حتى مات سنة ١٦٨للهجرة، وقد بلغ نيفاً وسبعين سنة، ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ج٣، ص١٢٧، ومـا بعدها.

(٣) بشار بن برد، **ديوانه**، جمع وشرح صلاح الدين الهواري، ط١، منشورات دار ومكتبة الـهلال، بـيروت، ١٩٩٨م، ج١، ص٣٠٣، أسرى الغضب: أشرفه وأجله.

(٤) يوسف: ١٠١.

(٥) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص٢٨٤.

(٦) ابن أعثم الكوفي، **كتاب الفتوح**، ج٧، ص١٥٢.

(٧) ابن عساكر، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، ج٦، ص١٦٦.

لأمتَ مَا شِئْتَ مِنْ شَعْبٍ وَمِنْ شُعَبٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ بِجِدٍ غَيْرِ عَثَّارِ

الكفر:

الكفر في اللغة الستر والتغطية، كَفَر الشيءَ: غطّاه وستره، وقد قيل للزَّرَّاع كافراً لستِرْه البذرَ بالتراب[١]، واستُعْمِل بهذا المعنى أيضاً في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿...كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ....﴾[٢]، ويبدو أن "الكفر" في البداية كان يعني ستر الأشياء المادية المحسوسة[٣].

ووردت مادة "كفر" وما اشتق منها في القرآن الكريم في خمسمائة وأربع وعشرين آية للدلالة على معنى جديد معنوي[٤]، وهو عكس الإيمان، فالإيمان هو التصديق، والكفر عدم التصديق، أي أن الكفر يكون بكل ما يناقض التصديقَ بالله وبالنبوَّة، والمعرفة لله عزَّ وجلَّ[٥]، فكأن الكفر يُغَطِّي الإيمان، ويعمي العيون عن حقيقة الهدى[٦]. قال الله تعالى: ﴿....وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٧].

---

(١) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤٥-١٤٧.

(٢) الحديد: ٢٠.

(٣) لمزيد من التفصيل، ينظر استخدام بعض الشعراء الجاهليين لهذه المادة: وعلى سبيل المثال قول لبيد بن ربيعة العامري، **شرح ديوانه**، تحقيق وتقديم إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م، ص٣٠٩، وص٣١٦، وقول النابغة الذبياني، **ديوانه**، ص١١٧، وقول المُتَلَمِّس جرير بن عبد المسيح، ينظر: ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص١١٠.

(٤) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ط٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م، ص٧٦٩-٧٧٨.

وإصرار القرآن الكريم على استخدام هذه المادة في هذه الآيات جميعها للدلالة على هذا المعنى الجديد يدل دلالة واضحة على أن معناها أصبح ذا دلالة اصطلاحية، ولا ينفي هذا الحكم ورود بعض الآيات كانت فيها كلمة "كفر" أو إحدى مشتقاتها بمعنى كفران النعمة وجحودها أو ستر الشيء وتغطيته، وهو معناها الأول. ينظر: عودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي**، ص٢٧٢.

(٥) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٠، ص٣١٦.

(٦) تنظر: إبتسام مرهون الصفار، **أثر القرآن في الأدب العربي**، ص٣٠.

(٧) البقرة: ١٠٨.

وجاء لفظ "الكفر" بمعناه الجديد في شعر الجهاد، يقول كعب بن مالك يوم الخندق[١]:

يَذُوْدُوْنَنَا عَنْ دِيْنِنَا وَنَذُوْدُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمٰنُ رَاءٍ وَسَامِعُ

ويتكرَّر لفظ "الكفر"[٢] في قول زياد بن لبيد البياضي أثناء محاربته للمرتدِّين من أهل كندة[٣]:

وَحَتّٰى تَقُوْلُوْا بَعْدَ كُفْرٍ وردَّةٍ بِأنَّا أُنَاسٌ لَا نَعُوْدُ إِلَى الْكُفْرِ

ويقول أبو بلال مرداس بن أُدَيَّة يحثُّ إخوانه المقاتلين على قتال الأمويين[٤]:

وَقَدْ أَظْهَرَ الْجُوْرَ الْوُلَاةُ وَأَجْمَعُوْا عَلٰى ظُلْمِ أَهْلِ الْحَقِّ بِالْغدرِ وَالْكُفْرِ

وجاءت مادة "كفر" فعلاً في قوله تعالى: ﴿....وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[٥]، وقال سعيد بن عامر في طريقه مَدَداً للجيش الفاتح في الشام[٦]:

إِلٰى شِبْلِ جَرَّاح وَصحْبِ نَبِيِّنَا لِنَنْصُرَهُ واللهُ لِلدِّيْنِ يَنْصُرُ

عَلٰى كُلِّ كَافِرٍ لَعِيْنٍ مُعَانِدٍ تَرَاهُ عَلَى الصُّلْبَانِ بِاللهِ يَكْفُرُ

ويقول كعب الأشقري[٧] في معرض وصفه لقتال المهلَّب بن أبي صفرة للأزارقة وقضائه عليهم[٨]:

إِنَّا اعْتَصَمْنَا بِحَبْلِ اللهِ إِذْ جَحَدُوْا بِالمُحْكَمَاتِ وَلَمْ نَكْفُرْ كَمَا كَفَرُوْا

---

(١) كعب بن مالك، **ديوانه**، ص٦٤. يذودوننا: يدفعوننا ويمنعوننا.

(٢) من سُنَنِ العرب في إظهار العناية بالأمر تكريرهم للفظ وإعادتهم له. ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ)، **فقه اللغة وسرّ العربية**، تحقيق أملين نسيب، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م، ص٤٥٥.

(٣) الواقدي، **كتاب الردّة**، ص١٧٣.

(٤) إحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٥١.

(٥) النساء: ١٣٦.

(٦) الواقدي، **فتوح الشام**، ج١، ص١٨١.

(٧) كعب بن مَعْدان الأشقري فارس شجاع، شاعر، خطيب، من شعراء خراسان، وكان من كبار أصحاب المهلَّب المذكورين في حروب الأزارقة، وتوفي سنة ٨٠ للهجرة. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص٨٦، وعمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، ج١، ص٦٠٨-٦١٣.

(٨) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٦، ص٣٠٨.

كما وردت مادة "كفر" اسمَ فاعل في قولـــه تعـــالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً....﴾[١]. وقال حسان بن ثابت يفتخر بالمسلمين من الأنصار بعـــد انتصارهم يوم بدر[٢]:

قَوْمِـــيْ الَّذِيـــنَ هُـــمُ آوَوْا نَبِيَّـــهُمُ وَصَدَّقُـــوْهُ وَأَهْـــلُ الْأَرْضِ كُفَّـــارُ

وقال عمّار بن ياسر يومَ أعطاه عمرو بن العاص الرايةَ ليقاتل في فرقة من الجيش[٣]:

أَنَـــا الْـــهُمَامُ الْفَـــارِسُ الْكَـــرَّارْ
أُفْنِـــيْ بِسَـــيْفِيْ عُصْبَـــةَ الْكُفَّـــارْ

وقال حاتم بن حيَّاش[٤] وهو يقاتل في تُسْتَر[٥]:

أَنَـــا الْقُشَـــيْرِيُّ أَخُـــو الْمُـــهَاجِرَهْ
أَضْرِبُ بِالسَّـــيْفِ رُؤُوْسَ الْكَـــافِرَهْ

الشرك:

كلمة "الشرك" كانت تعني الاشتراك في الجاهلية، وهي مأخوذة مـــن معنـــى الشِّـــرْكَة أو الشَّرِكَة وهو مخالطة الشريكين، وهو معناه الأساسي، يقال: اشـــتركنا بمعنـــى تشـــاركنا، وقـــد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، والشـــريك هـــو المشـــارك، والشـــرك فـــي لغة العرب كالشريك[٦].

---

(١) التوبة: ١٢٣.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق١، ص٦٦٤.

(٣) الواقدي، **فتوح الشام**، ج٢، ص٢٢٦.

(٤) حاتم بن حيّاش فارس خِذام، أحد بني الأعور بن قُشَيْر، قطعت رجله بتُستَر فانطلق شاداً على المشـــركين، دون أن تمنعه تلك العلة عن الإقدام. ينظر: ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد (ت٢٣١هـــــ)، **كتـــاب أسماء خيل العرب وفرسانها**، تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعـــة المجمـــع العلمـــي العراقي، بغداد، ١٩٨٥م، ص٦٢.

(٥) ابن الأعرابي، **المصدر نفسه**، ص٦٢.

(٦) **ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٤٤٨.**

لكن مصطلح الشرك بالله أو المشرك لم يعرف إلا بعد نزول القرآن الكريم، وهـذا أمـر بدهي لأن عقيدة التوحيد -التي تقابلها عقيدة الشرك- لم تكن معروفة لديهم، على حيـن كـانت عبادة الأصنام والأوثان شائعة بينهم، وهذا يعني أن الشرك كان معروفاً عملياً ولم يكن معروفـاً اصطلاحياً[١]، فالمشرك هو الذي يعبد آلهة أخرى مع الله[٢].

وورد لفظ "الشرك" بمعناه الاصطلاحي في القرآن الكريم في قوله تعـالى: ﴿....إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٣]، وورد أيضاً في لغة الشعراء المسلمين كقول العباس بن مرداس مفتخراً بقومـه بني سليم يوم حنين[٤]:

الضَّارِبُوْنَ جُنُوْدَ الشِّرْكِ ضَاحِيَـةً ... بِبَطْـنِ مَكَّـةَ وَالْأَرْوَاحُ تُبْتَـدَرُ

وفي قول خالد بن الوليد داعياً الله أن ينصر جيش المسلمين في إحـدى المعـارك فـي فتوح الشام[٥]:

فَتَمِّمْ إِلٰهَ الْعَرْشِ مَـا قَـدْ تَرُوْمُـهُ ... وَعَجِّلْ لِأَهْلِ الشِّرْكِ بِالْبُؤْسِ وَالنِّقَمْ

وفي قول نهار بن تَوْسِعَة مدحاً لقتيبة بن مسلم الباهلي أكـبر قـائدٍ تولّـى لبنـي أميَّـة حرب الترك[٦]:

---

(١) ينظر: عودة خليل أبو عودة، **التطوُّر الدلالي**، ص٢٧٤.

(٢) ويمكن أن يجمع شخص ما بين صفتي الشرك والكفر في آن واحد، كما صوّره القرآن الكريم فـي قولـه تعالى: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثـوى الظالمين﴾ [آل عمران: ١٥١]، لكن المشرك أبعد في الضلالة من الكافر؛ ذلك أن أساس العقيدة الإسلامية هـو التوحيد، فمن نقض هذه الحقيقة فقد ضل ضلالاً بعيداً. والمشرك يحتاج للعودة إلى دين الله أن يكفر أولاً بآلهته، وأن يؤمن ثانياً بالله، مع أن الكافر لا يحتاج إلا الإيمان بالله، فطريقه إذن أقرب إلى الإيمان من المشرك. ينظر: عودة خليل أبو عودة، **المرجع نفسه**، ص٢٧٥-٢٧٦.

(٣) لقمان: ١٣.

(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٦٧، والعباس بن مرداس، **ديوانه**، ص٥٥. ضاحية: منكشفة بـارزة في أشعة الشمس.

(٥) **الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٣٧.**

(٦) السجستاني، **المعمّرون والوصايا**، ص١٤٣.

أَعَمَّ لِأَهْلِ الشِّـــرْكِ قَتْـلاً بِسَـيْفِهِ وَأَقْسَمَ فِيْنَـــا مَغْنَمـاً بَعْـدَ مَغْنَـمِ

كما جاءت كلمـــة "المشـركين" فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿....وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[١]. وقال حسان بن ثابت عـــن أصحـــاب القليـــب بعـــد معركة بدر[٢]:

وَخَـبِّرْ بِـالَّذِيْ لَا عَيْـبَ فِيْـــهِ بِصِـدْقٍ غَـيْرِ إِخْبَـارِ الْكَـــذُوْبِ

بِمَا صَنَـــعَ الْمَلِيْـكُ غَـدَاةَ بَـدْرٍ لَنَاَ فِي الْمُشْـرِكِيْنَ مِـنَ النَّصِيْـبِ

وقال ضرار بن الأزور حين قدم على رسول الله ﷺ[٣]:

وَكَـرِّيْ الْمُحَـبَّرَ فِـيْ غَمْـــرَةٍ وَجُهْدِيْ عَلَى الْمُشْـــرِكِيْنَ الْقِتَـالاَ

وقال شريح بن هانئ[٤] مرتجزاً في قتال الترك قبل استشهاده[٥]:

أَصْبَحْتُ ذَا بَـــثٍّ أُقَاسِـي الْكِـبَرَا

قَدْ عِشْتُ بَيْنَ الْمُشْرِكِيْنَ أَعْصُـــرَا

النفاق:

كلمة "نفق" لها عدة معانٍ في الجاهلية، منها الرواج في البيع؛ يقال: نفق البيـــع نفاقـــا أي راج، ونفقت السلعة تنفق نَفاقاً أي غلت ورغب فيها، والنفاق ضد الكساد[٦]، والنفوق هو الموت،

---

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) ابن هشام،**السيرة النبوية**، ق٢، ص٦٤٠.

(٣) ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٢، ص٢٩٩.

(٤) شريح بن هانئ الحارثي، راجز شجاع، من مقدمي أصحاب علي بن أبي طالب، وجعل الزركلي وفاته سنة ٧٨ للهجرة، وذكره الطبري وأورد شعره هذا في حوادث سـنة ٧٩ للـهجرة. ينظـر: الزركلـي، **الأعـلام**، ج٣، ص١٦٢.

(٥) **الطبري**، **تاريخ الطبري**، ج٦، ص٣٢٣.

(٦) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، ص٣٥٧.

يقال: نفق الفرس والدابة وسائر البهائم ينفق نفوقاً أي مات[١]، والنفق هو السَّرب في الأرض له مَخْلَصٌ إلى مكان[٢].

والنفاق أو المنافق اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية[٣]، فهو مصطلح إسلامي جديد يدل على من يستر كفره ويظهر إيمانه[٤]، ويبدو أن هذا المصطلح مأخوذ من النَّفَق الذي هو سَربٌ في الأرض، وقيل: إنما سُمِّيَ المنافق منافقاً لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه، فهو يدخل في النافقاء ويخرج من القاصعاء، أو يدخل في القاصعاء ويخرج من النافقاء، فيقال هكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه[٥].

وورد هذا المصطلح في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ...﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[٧].

ثم ورد لفظ "نافق" ومشتقاته في لغة شعراء المسلمين يقول حسان بن ثابت بعد انتصار المسلمين يوم حنين[٨]:

---

(١) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، ص٣٥٧.

(٢) ينظر: الجوهري، **الصِّحاح**، ج٤، ص١٥٦٠.

(٣) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت، ج١، ص٣٠١.

(٤) ينظر: ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج١٠، ص٣٥٩.

(٥) ينظر: ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج١٠، ص٣٥٩.
فالمنافقون أخطر على المسلمين من الكفار والمشركين لأنهم عدوٌّ داخليٌّ يستر عداوته ويعيش في كنف المسلمين، فيطَّلع على مالا يطَّلع عليه العدو البعيد. ينظر: عودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي**، ص٢٦٧.

(٦) التوبة: ٩٧.

(٧) النساء: ١٤٥.

(٨) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص ٤٩٨.

كَمَا رَدَدْنَا بِبَـدْرٍ دون مـا طلبـوا أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِيْنَـا يُـنْزَلُ الظَّفَـرُ

ويجمع أبو خيثمة[١] لفظي "نافق" و"المنافق في شعره الذي قاله في طريقه إلـى غـزوة تبوك، فيقول[٢]:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّيْـنِ نَـافَقُوْا أَتَيْتُ الَّتِيْ كَـانَتْ أَعَـفَّ وَأَكْرَمَـا

إلى أن يقول:

وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمُنَـافِقُ أَسَـمَحَتْ إِلَى الدِّيْنِ نَفْسِيْ شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَـا

ويقول النابغة الجعدي يوم صفين في معرض مدحه لعلي بن أبي طالب، وهجائه لخصومه[٣]:

سُقْتُمْ إِلَى نَـهْجِ الْـهُدَى وَسَـاقُوْا
إِلَـى الَّتِـيْ لَيْـسَ لَـهَا عِـرَاقُ
فِـيْ مِلَّـةٍ عَادَتُـهَا النِّفَـاقُ

النبي:

اختلف العلماء في أصل اشتقاق لفظ "النبي"، فقال بعضهم إنه من الأصل اللغوي "نبا ينبـو: إذا ارتفع"، ومنه النَّبْوَةَ والنباوة أي الرفعة، والنبي: ما ارتفع من الأرض[٤]، فسمِّي النبي نبيّاً لرفعته عن سائر الناس[٥]، والنبي أيضاً هو العلم من أعلام الأرض التي يهتدي بها[٦]، وقيل إن النبـي هو الطريق، والأنبياء هي طرق الهدى[٧].

---

(١) أبو خيثمة مالك بن قيس الأنصاري صحابي جليل عاش حتى خلافة يزيد. ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج٥، ص٥٥٣.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٥٢١. أسمحت: انقادت. شطره: نحوه وقصده.

(٣) الأصفهاني، **الأغاني**، ج٥، ص٣٥. ليس لها عراق: يريد إلى مضلّة لا نهاية لها ولا غاية.

(٤) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٥، ص٣٠١-٣٠٢.

(٥) ينظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص٤٨٤.

(٦) ينظر: ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج١٥، ص٣٠٢.

(٧) ينظر: ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج١٥، ص٣٠٣.

وقال آخرون إن "النبي" من "نبأ أنبأ: أخبر، والنبأ هو الخبر[١]، والنبيء هو المخبر عن الله، وقد حذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال"[٢].

وصيغة "نبي" على وزن "فعيل" تأتي بمعنى اسم الفاعل، فهي على معنى أن النبي مخبِر بالغيوب التي يتلقّاها عن الوحي، أو مرتفع عن غيره بسبب اصطفاء الله له بالوحي، كما تأتي هذه الصيغة بمعنى اسم المفعول، فهي على معنى أن النبي مُنبّأ بالغيوب، أو مرفوع على غيره بسب الاصطفاء بالوحي إليه[٣].

وعلى هذا فإن "النبي" بمفهومه الإسلامي السابق مصطلح قرآني جديد، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ....﴾[٤]، وورد هذا اللفظ بكثرة على ألسنة الشعراء كقول العباس بن مرداس في مقاتلة بني سليم يوم حنين بزعامة فارسهم الضحاك بن سفيان أمام الرسول ﷺ[٥]:

فَإِنْ تَبْتَغِيْ الكُفَّارَ غَيْرَ مَلُوْمَةٍ ... فَإِنِّيْ وَزِيْرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ

وفي المناسبة نفسها كرَّر الشاعرُ لفظ "النبي" لإظهار اهتمامه وعنايته به ﷺ، فيقول[٦]:

فَهُنَاكَ إِذْ نُصِرَ النَّبِيُّ بِأَلْفِنَا ... عَقَدَ النَّبِيُّ لَنَا لِوَاءً يَلْمَعُ

وَغَدَاةَ نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ جَنَاحُه ... بِبِطَاحِ مَكَّةَ وَالْقَنَا يَتَهَزَّعُ

إلى أن يقول:

نُصِرَ النَّبِيُّ وَكُنَّا مَعْشَراً ... فِيْ كُلِّ نَائِبَةٍ نَضُرُّ وَنَنْفَعُ

إِذْ خَافَ حَدَّهُمُ النَّبِيُّ وَأسندوا ... جَمْعاً تَكَادُ الشَّمْسُ مِنْهُ تَخْشَعُ

---

(١) وقد استعملت مادة "نبأ" بمعنى الإخبار في العصر الجاهلي، وعلى سبيل المثال قول أبي ذؤيب، ينظر: **ديوان الهذليين**، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ق١، ص١٢٩.

(٢) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٥، ص١٦٢.

(٣) ينظر: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط٧، دار القلم، دمشق، ١٩٩٤م، ص٢٦٦.

(٤) **الأنفال**: ٦٥.

(٥) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٦٣، والعباس بن مرداس، **ديوانه**، ص٨٠.

(٦) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص٤٦٢-٤٦٣. يتهزع: يضطرب ويتحرّك. وروي بالراء، ومعناه: يسرع إلى الطعن، من قولك: أهرعت إذا أسرعت. تخشع: ينقص ضياؤها.

ويقول عمرو بن العاص[١] مخاطباً أحد المرتدّين:

إِنْ كَانَ أَوْدَى بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ - دَهْرٌ فَاجِعُ
فَاللهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَدِينُنَا دِينُ النَّبِيِّ وَلِلرِّجَالِ مَصَارِعُ

ويقول الفضل بن العباس[٣] داعياً أهل أهناس إلى الإسلام:

أَقِرُّوا بِأَنَّ اللهَ أَرْسَلَ أَحْمَدَا نَبِيّاً كَرِيماً لِلْخَلَائِقِ هَادِيَا

الرسول:

كلمة "الرسول" عربية الاشتقاق وأصل الرَّسْلِ يدل على الابعاث على التُّؤَدَةِ، ومنه الرسول المنبعث، وتُصُوِّرَ منهُ تارة معنى الرفق، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول، والرسول يقال تارة للقول المُتَحَمَّلِ، وتارة لحامل القول أو الخبر[٥]

ثم خصص القرآن الكريم معنى كلمة "الرسول" وجعله مرتبطا برسول الله الذي كلَّفه الشارع بتبليغ شريعته لخلقه[٦]. قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ....﴾[٧]، وقال أيضا:

﴿....وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٨].

وورد ذكر كلمة "الرسول" في شعر الجهاد بمعناه الاصطلاحي الجديد، كقول كعب بن مالك يوم بدر[٩]:

فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ ثُمَّ يَتْبَعُهُ نُورٌ مُضِيءٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهُبِ

---

(١) عمرو بن العاص قائد عربي شهير، فاتِحُ مصر، بنى مدينة الفسطاط. اشترك في التحكيم بعد صفين، توفّي بمصر. ينظر: المزّي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج٥، ص٤٢٦-٤٢٧ والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٣. ص٥٤ وما بعدها.

(٢) الواقدي، **كتاب الردة**، ص١٤٩. أوْدى الرجل: هلك، وأودى به المنون: أهلكه والودى: الهلاك. دهر فاجع: دهراً أصابنا بمصيبة مؤلمة.

(٣) الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، ابن عم الرسول. صحابي جاهد في الفتوح. مات في طاعون عمواس. ينظر: المزّي، **المصدر نفسه**، ج٦، ص٣٨

(٤) الواقدي، **فتوح الشام**، ج٢، ص٢٥٢.

(٥) ينظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص ٢٠١.

(٦) ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**. ص٢٦٧

(٧) النور: ٥٤.

(٨) العنكبوت: ١٨.

(٩) كعب بن مالك، **ديوانه**، ص٢٥.

وكقول العباس بن مرداس في مديح الرسول ﷺ[١]:

وَعَلَىٰ حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا ... أَلْفٌ أُمِدَّ بِهِ الرَّسُوْلُ عَرَنْدَسُ

وكقول مالك بن نمط[٢] في مدح رسول الله ﷺ[٣].

ذَكَرْتُ رَسُوْلَ اللهِ فِيْ فَحْمَةِ الدُّجَىٰ ... وَنَحْنُ بِأَعْلَىٰ رَحْرَحَانَ وَصَلْدَدِ

إلى أن يقول:

بِأَنَّ رَسُوْلَ اللهِ فِيْنَا مُصَدَّقٌ ... رَسُوْلٌ أَتَىٰ مِنْ عِنْدِ ذِيْ الْعَرْشِ مُهْتَدِيْ

الشهادة والشهيد:

الشهادة لغة مأخوذة من "شهد يشهد" بمعنى عاين الأمر ورآه، والشاهد هو المعاين للشيء الناظر إليه، فأصل الشهادة إذن هي الإخبار بما شاهده الانسان، والشاهد والشهيد هو الحاضر، والجمع شهداء وشهّد وأشهاد وشهود[٤]، وبهذا المعنى استخدمتها العرب في العصر الجاهلي[٥].

لقد وردت مادة هذا الفعل ومشتقّاتها في القرآن الكريم بمعنى جديد وهو الإقرار والاعتراف والإيمان، فكأن الذي يشهد بعينيه ويتأكّد من حضور الشيء، يتحوّل ذلك التأكيد إلى إيمان قلبي وإقرار واعتراف بما شهد، وهذا المعنى هو المعنى الاصطلاحي لكلمة الشهادة[٦]، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٧].

فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله هو الإقرار بأن لا معبود بحق إلا الله والإيمان بذلك، ولا يتحقّق هذا إلا عندما يستحضر المرء ربّه في قلبه ووجدانه في كل أوقاته، وأقواله وأعماله، أي أن يكون شاهداً دائماً لله في كل تصرّفاته، وأما معنى شهادة أن محمداً رسول الله فهو الإيمان به وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عمّا عنه نهى وزجر[٨].

---

(١) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٤، ص٧٤٢، والعباس بن مرداس، **ديوانه**، ص٧٢. عرندس: شديد.

(٢) مالك بن نمط الهمداني، وفد على الرسول ﷺ مع قومه، سيد صميح، حسن الخطاب، وشاعر محسن. ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج٥، ص٥٥٨.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٤) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٢٣٩.

(٥) وعلى سبيل المثال قول لبيد بن ربيعة العامري، ينظر: **شرح ديوانه**، ص٣٥.

(٦) ينظر: عودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي**، ص١٧٨.

(٧) الزخرف: ٨٦.

(٨) ينظر: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، **فتح المجيد**، مراجعة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط١، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، ١٩٩٦م، ص٣٤-٣٧، وعودة خليل أبو عودة، **المرجع نفسه**، ص١٧٩.

وقد استخدم بعض الشعراء كلمة الشهادة بهذا المعنى حين أعلنوا إسلامهم في أشعارهم، يقول عمر بن الخطاب[١]:

فَقُلْتُ أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ خَالِقُنَا ... وَأَنَّ أَحْمَدَ فِينَا الْيَوْمَ مُشْتَهَرُ

ويقول سواد بن قارب متحدّثاً عن إسلامه[٢]:

فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ

ويقول كعب بن مالك يومَ بدر[٣]:

شَهِدْنَا بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرُ

ولكن الشهادة والشهيد لم يقتصر معناهما في القران الكريم على الإقرار والاعتراف والإيمان بالله، بل تطوَّر تطوُّراً آخر حتى كاد يتخصَّص في الاستعمال العامّ على معنى الذي قُتِلَ في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر[٤]. وقد سُمِّي الشهيذ شهيداً، لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة، وقيل سُمُّوا شهداء لأنهم ممن يستشهدون يوم القيامة مع النبي ﷺ على الأمم الخالية[٥]، وقيل سمُّوا بذلك لسقوطهم بالأرض، والأرض تسمّى الشاهدة[٦].

وقد وردت آيات تكرِّس هذا المعنى منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿... .وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ....﴾[٨].

وجاءت كلمة "الشهيد" -بهذا المعنى الجديد- على ألسنة كثير من الشعراء المسلمين. قال حسان بن ثابت في رثاء حمزة بن عبد المطلب[٩]:

---

(١) السهيلي، **الروض الأنف**، ج٢، ص١٢٥.

(٢) ابن عبد البرّ، **الاستيعاب**، ج٢، ص٢٣٤.

(٣) كعب بن مالك، **ديوانه**، ص٤٧.

(٤) ينظر: حسن خالد، **الشهيد في الإسلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١، ص٢٥.

(٥) ينظر: الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ومحمود فرج العقدة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت، ج٦، ص٧٣.

(٦) ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٣، ص٢٢١.

(٧) النساء: ٦٩.

(٨) الحديد: ١٩.

(٩) **ابن هشام، السيرة النبوية**، ق٢، ص١٥٦. **وحشي**: هو قاتل حمزة، وحذفت التنوين من وحشي للضرورة. شلت يداه: قطعت، يدعو عليه، شَلت بفتح الشين هي اللغة الفصيحة، أما شُلت بالضم فلغةٌ رديئةٌ.

مَـالَ شَـهِيْداً بَيْـنَ أَسْـيَافِكُمْ شَـلَّتْ يَـدَا وَحْشِـيِّ مِـنْ قَـاتِلِ

وقال كعب النهدي في رثاء ولديه عَمْراً وحَمَلاً، وقد استشهد الأول في تُسْتَر، واستشهد الثاني بجرجان[١]:

خَلِيْلَـيَّ وَابْنَـيَّ اللَّذَيْـنِ تَتَابَعَـا شَهِيْدَيْنِ كَانَـا عِصْمَتَـيَّ وَرَجَائِيَـا

وقال زهير بن القين[٢] في موقعة الطف يشجّع الحسين بن علي على خوض المعركة[٣]:

أَقْـدِمْ هُدِيْـتَ هَادِيَـا مَـهْدِيَّا
فَـالْيَوْمَ تَلْقَـى جَـدَّكَ النَّبِيَّـا
وَأَسَـدَ اللهِ الشَّـهِيْدَ الْحَيَّـا

وكذلك وردت كلمة "الشهادة" في قول بعض الشعراء المسلمين، قال كعب بن مالك مدحاً للمجاهدين يومَ خيبر[٤]:

يَرَى الْقَتْلَ مَدْحاً إِنْ أَصَابَ شَـهَادَةً مِنَ اللهِ يَرْجُوْهَـا وَفَـوْزاً بِـأَحْمَدِ

وقال قطري بن الفجاءة المازني متمنّياً الشهادةَ في سبيل الله[٥]:

حَتَّـى مَتَـى تُخْطِئُنِـيْ الشَّـهَادَهْ
وَالْمَـوْتُ فِـيْ أَعْنَاقِنَـا قِـلَادَهْ

وقالت أمُّ عمرانَ بْنِ الحارثِ الراسبي[٦] في معرض رثائها لولدها الذي استشهد يوم دولاب[٧]:

---

(١) السهمي، **تاريخ جرجان**، ص٥٠.

(٢) زهير بن القين خرج مع الحسين، وكان على ميمنته، وقاتل معه قتالاً شديداً، فشدّ عليه كثيرُ بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه. وكان ذلك سنة ٦١ للهجرة. ينظر: الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٥، ص٤٤١. وعبد العزيز بن محمد الزير ومحمد بن عبد الله الأطرم، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص١٣٢.

(٣) الطبري، **المصدر نفسه**، ج٥، ص٤٤١. أسد الله: حمزة بن عبد المطلب، سيد الشهداء.

(٤) كعب بن مالك، **ديوانه**، ص٤٢.

(٥) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص٢٧٧.

(٦) عمرة أم عمران بن الحارث الراسبي من شعراء الخوارج. ينظر: المبرد، **الكامل**، ج٣، ص١٢٢٤، وابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ)، **شرح نهج البلاغة**، ط٣، دار الأندلس، بيروت، **١٩٨٣م**، ج١، ص٤٥٤.

(٧) المبرد، **المصدر نفسه**، ج٣، ص١٢٢٤، وإحسان عباس، شعر **الخوارج**، ص٧٣. ملحادة: صيغة مبالغة؛ والملحد: المائل عن الحق أو الدين. غدر: غادر.

يَدْعُـوْهُ سِـرّاً وَإِعْلاَنـاً لِيَرْزُقَـهُ شَـهَادَةً بِيَـدَيْ مِلْحَـادَةٍ غُـدَرِ

الصلاة:

الصلاة أصلها الدعاء[١]، وقد استخدمها القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

وهذا يدل على أن القرآن الكريم استعمل كلمة "الصلاة" وما يَشْتَقُّ منها لتدل على المعنى المألوف للكلمة لدى العرب في العصر الجاهلي[٤]، إلا أن القرآن الكريم خصّص الصلاة بأنها أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، بشرائط مخصوصة[٥]، وجعلها ركناً من أركان الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ....﴾[٦]، وقال تعالى أيضاً: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[٧].

وقد كثر ورود كلمة "الصلاة" بشكلها الذي حدّده القرآن في شعر الجهاد، كقول معاذ بن يزيد في هجاء المرتدّين[٨]:

مَنَعْتُـمْ فَرَائِـضَ أَمْوَالِكُـمْ وَتَـرْكُ صَلَاتِكُـمْ أَعْجَـبُ

وقال النابغة الشيباني في معرض ثنائه على الخليفة الوليد بن عبد الملك مشيراً إلى فتح حصن طُرَنْدَة البيزنطي على يد أخيه مَسْلَمة بن عبد الملك[٩]:

فَالْيَوْمَ فِيهِ صَـلَاةُ الْحَـقِّ ظَـاهِرَةٌ وَصَادِقٌ مِنْ كِتَـابِ اللهِ مَعْـرُوْفُ

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص٤٦٦.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

(٣) التوبة: ١٠٣.

(٤) وعلى سبيل المثال استخدام الأعشى الكبير لهذه الكلمة لتدل على معنى الدعاء، ينظر: **ديوانه**، شرح وتعليق محمد محمد حسين، ط٧، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٥١.

(٥) ينظر: عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (ت١٣٦٠هـ)، **كتاب الفقه على المذاهب الأربعة**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج١، ص١٦١.

(٦) البقرة: ٤٣.

(٧) البقرة: ٢٣٨.

(٨) ابن حجر، **الإصابة**، ج٦، ص٢٣٧.

(٩) النابغة الشيباني، **ديوانه**، ص١٣٣.

وقال الفرزدق يمدح يزيد بن عبد الملك وأخاه سليمان[١]:

فَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ قَدْ رَدَدْتَ صَلاَتَهُ ... لَهُ بَدَدَ مَا قَدْ كَانَ فِي الرُّوْمِ نَصَّرَا

يَدَيْهِ بِمَصْلُوْبٍ عَلَى سَاعِدَيْهِمَا ... فَأَصْبَحَ قَدْ صَلَّى حَنِيْفاً وَكَبَّرَا

الركوع:

الركوع معناه اللغويّ الأساسيّ هو الانحناء والانخفاض من الفعل "ركع يركع ركعا وركوعاً" معناه طأطأ رأسه، وكل قومةٍ يتلوها انحناء فهي ركعة[٢]، ويقال: ركع الشيخ إذا انحنى من الكبر[٣]، ومن معنى الركوع أيضاً الخضوع[٤] وهو معنى مجازي متطوِّر عن معناه اللغوي الأساسي[٥].

لقد سارت العرب في معنى الركوع نحوَ معناه الاصطلاحي خطوة ضيِّقة، فكانوا يسمُّون الحنيف راكعاً إذا لم يعبد الأوثان[٦]، ولكن الركوع بعد نزول القرآن الكريم صار إذا أطلق لا يعني إلا الركوع في الصلاة، وقد سمِّيت أجزاء الصلاة بالركعات، لأن الركوع هو الحد الفاصل بين كل قيامين أو وقفتين يقفهما الإنسان في صلاته[٧].

وقد استعمل القرآن الكريم "الركوع" بمعنى الخضوع والتواضع والخشوع بين يدي الله[٨]، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٩]، وأما الركوع في الصلاة -وهو المعنى الاصطلاحي الخاص- فقد ورد في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ....﴾[١٠]، وفي قوله: ﴿....وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ

---

(١) الفرزدق، **ديوانه**، ج١، ص٣٤٧.

(٢) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٨، ص١٣٣.

(٣) كما في قول لبيد بن ربيعة العامري، ينظر: **شرح ديوانه**، ص١٧٠-١٧١.

(٤) ينظر: ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج٨، ص١٣٣.

(٥) ينظر: عودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي**، ص١٩٠.

(٦) كما في قول النابغة الذبياني، ينظر: **ديوانه**، ص١٦٩، وينظر أيضاً: عودة خليل أبو عودة، **المرجع نفسه**، ص١٩٠.

(٧) ينظر: عودة، خليل أبو عودة، **المرجع نفسه**، ص١٩٠.

(٨) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٦١.

(٩) البقرة: ٤١.

(١٠) الحج: ٧٧.

وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[١]، وجاء أيضاً في قول عمرو بن سالم الخُزاعي[٢] حين أنذر رسول الله ﷺ بنقض قريش لهدنة الحديبية[٣]:

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا
وَقَتَلُونَا رُكَّعاً وسُجَّدَا

وقال عيسى بن عاتك الخَطِّي في مدح إخوانه المجاهدين بأنهم يكثرون من العبادة ليلاً[٤]:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ فَيُسْفِرُ عَنْهُمُ وَهُمُ رُكُوعُ

السجود:

السجود أصله إدامة النظر في إطراق إلى الأرض[٥]، ويقال: نخلة ساجدة إذا أمالها حملها[٦]، والسجود أيضاً بمعنى وضع الجبهة على الأرض[٧]، وهذا يستلزم الانحناء والتطامن إلى الأرض.

وقد استعمل القرآن الكريم "السجود" بمعناه الحقيقي وهو وضع الجبهة على الأرض[٨] في قوله تعالى: ﴿....إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[٩]، وفي قوله: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾[١٠].

---

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) عمرو بن سالم الخزاعي صحابي، سيّد، ورد المدينة على الرسول ﷺ، وأنذره بنقض قريش لهدنة الحديبية، وكان أحد من يحمل ألوية يوم فتح مكة. ينظر: ابن حجر، **الإصابة**، ج٤، ص٥٢١.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٣٩٥. الوتير: اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة. الهجد: النيام، وقد يكون أيضاً: المستيقظون وهو من الأضداد.

(٤) المبرّد، **الكامل**، ج٣، ص١١٨٢.

(٥) ينظر: ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج٢، ص٦٦.

(٦) كقول لبيد بن ربيعة العامري، ينظر: **شرح ديوانه**، ص٦٠.

(٧) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٢٠٤.

(٨) ينظر: وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٥، ص١٨٥، و ج٩، ص٤٦.

(٩) الإسراء: ١٠٧.

(١٠) الأعراف: ١٢٠.

كما خَصَّصَ القرآنُ الكريمُ معنى "السجود"، فصار إذا أطلق لا يعني إلا السجود الإسلاميّ بالهيئة المعروفة لله تعالى خضوعاً وعبادةً له، وهو مصطلح قرآني جديد، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾(١)، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾(٢).

واستخدم الشعراء المسلمون "السجود" بمعناه الجديد، قال عبد الله بن رواحة يدعو أبا سفيان إلى الإسلام وإلى السجود لله تعالى مخلصاً(٣):

فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ إِمَّا لَقِيْتَهُ ... لَئِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْلِصْ سُجُوْداً وَتُسْلِمِ

وقال حسّان بن ثابت مبيّناً وجهة المسلمين في القتال(٤):

وَيَتْرُكُوْا اللاَّتَ وَالْعُزَّى بِمعزلَةٍ ... وَيَسْجُدُوْا كُلُّهُمْ لِلْخَالِقِ الصَّمَدِ

وقال عيسى بن عاتك الخَطّي في مدح إخوانه المجاهدين(٥):

أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوْا ... وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوْعُ

لَهُمْ تَحْتَ الظَّلاَمِ وَهُمْ سُجُوْدٌ ... أَنِيْنٌ مِنْهُ تَنْفَرِجُ الضُّلُوْعُ

الزكاة:

الزكاة من "زكا يزكو زكاء وزكواً"، بمعنى النماء والرَّيْع، وأرض زكية أي طيبة سمينة، والزرع يزكو زكاء، وكل شيء يزداد وينمو فهو يزكو زكاء(٦).

وفي العصر الجاهلي لم يعرف للكلمة غير معنى النماء والزيادة في الشيء، ومن ذلك أطلقت العرب على الفرد الواحد خسا وعلى الاثنين زكا، وقيل لهما ذلك لأن الاثنين أزكى من الواحد(٧).

---

(١) الفرقان: ٦٤.

(٢) الإنسان: ٢٦.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٢١٠.

(٤) حسان بن ثابت، **ديوانه**، ج١، ص٢٨٤.

(٥) المرد، **الكامل**، ج٣، ص١١٨٢، وإحسان عباس، **شعر الخوارج**، ص٥٦. سُجُود: جمع ساجد.

(٦) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤، ص٣٥٨.

(٧) ينظر: ابن منظور، **المصدر نفسه**، ج١٤، ص٣٥٩.

وورد الفعل "زكا" وما يشتقُّ منه في القرآن الكريم بمعناه الأصلي وما تفرّع عنه من معانٍ مجازية مثل الإصلاح والتطهير والبركة، وهي معان متقاربة شديدة الصلة والارتباط بالمعنى الأصلي لهذه الكلمة[١]، كقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ....﴾[٢]، وقوله: ﴿....وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

كما ردّد القرآن الكريم هذه الكلمة بالمعنى الاصطلاحي الجديد، وهو تمليك مال مخصوص لمستحقٍّ بشرائط مخصوصة[٤]، قال الله تعالى: ﴿....قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥]، وقال تعالى أيضاً: ﴿....وَآتُوا الزَّكَاةَ....﴾[٦].

وجاءت كلمة "الزكاة" بكثرة في شعر بعض الشعراء المجاهدين الذين اشتركوا في محاربة المرتدّين. قال زياد بن لبيد البياضي[٧]:

وَحَتَّى تَقُولُوا بَعْدَ خِزْيٍ وَذَلَّةٍ ... رَضِينَا بِإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ عَلَى الْقَسْرِ

وقال عمرو بن العاص مخاطباً قرّة بن سلمة بن هبيرة القُشَيْرِيّ أحد المرتدين[٨]:

لَيْسَ الْخَلِيفَةُ تَارِكاً لِزَكَاتِكُمْ ... مَا دَامَ سلع فِي الْبَسِيطِ وَفَارِعُ

وقال زيد الخيل الطائي[٩] يعظ قومه[١٠]:

---

(١) ينظر: عودة خليل أبو عودة، **التطوُّر الدلالي**، ص٢١٢.

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) النور: ٢١.

(٤) ينظر: عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، **كتاب الفقه على المذاهب الأربعة**، ج١، ص٥١٥.

(٥) الأعراف: ١٥٦.

(٦) البقرة: ٤٣.

(٧) الواقدي، **كتاب الردّة**، ص١٧٣. القسر: الإكراه والقهر.

(٨) الواقدي، **المصدر نفسه**، ص٩٧. سَلْعٌ: موضع أو جبل بالمدينة. البسيط: أراد البسيطة أي الأرض. ويقال: مكان بساط وبسيط أي مُستَوٍ. فارع: حصنٌ بالمدينة، يقال إنه حصن حسان بن ثابت.

(٩) زيد الخيل هو أبو مُكنف زيد بن مهلهل الطائي من أبطال الجاهلية، لقب "زيد الخيل" لكثرة خيله، أو لكثرة طراده بها. كان شاعراً محسناً وخطيباً لسناً موصوفاً بالكرم، وله مهاجاة مع كعب بن زهير، أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ، فأسلم وسرّ به الرسول ﷺ وسماه "زيد الخير". ثم شهد الردّة وثبت على الإسلام زمنها وتوفّي في خلافة عمر بن الخطاب. ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٧، ص٢٤٧ وما بعدها.

(١٠) الواقدي، **المصدر نفسه**، ص٦٦.

فَإِنْ تَمْنَعُوْا حَقَّ الزَّكَـــاةِ وَتَـــتْرُكُوْا صَلَاةً وَفِيْ هَاتَيْنِ قاصمة الظـــــهرِ

الصيام:

الأصل اللغوي في الصيام هو الإمساك عن الحركة، فكل شيء سكنت حركته فقد صـــام، والخيل الساكنة خيل صائمة[١]. وقد دلّت الكلمة أيضاً على معنى الامتناع[٢].

أما الصيام في اصطلاح الشرع فهو الإمساك عن المفطِرات يوما كاملاً، من طلوع الفجـر الصادق إلى غروب الشمس بشروط مخصوصة[٣].

وذكر "الصيام" في القرآن الكريم بمعناه الاصطلاحي في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤]، وقولـــه: ﴿....والصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ....﴾[٥].

وكذلك ورد لفظ "الصيام" في شعر الجهاد، كقول أحد الشعراء المسلمين في دعوتـــه إلـــى الإسلام[٦]:

مُحَمَّـــدٌ ذُو الْـــبِرِّ وَالْإِكْـــرَامِ
قَدْ جَـاءَ بَعْـدَ الشِّـرْكِ بِالْإِسْـلَامِ
يَـــأْمُرُ بِـــالصَّلَاةِ وَالصِّيَـــامِ

وقال السائب بن العوام[٧] في حضّه على قتال المرتدين[٨]:

يَا قَوْمُ جِـــدُّوْا فِـــيْ قِتَـالِ الْقَـوْمِ

---

(١) كقول النابغة الذبياني في وصف الخيل، ينظر: **ديوانه**، ص٢٢٣.

(٢) كقول لبيد بن ربيعة في وصف عيرٍ وأتان صامَا بعضهما عن بعض طيلة مـدة الشـتاء. ينظـر: **شـرح ديوانه**، ص٣٠٥، وعودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي**، ص٢١٩.

(٣) ينظر: عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، **كتاب الفقه على المذاهب الأربعة**، ج١، ص٤٧٣.

(٤) البقرة: ١٨٣.

(٥) الأحزاب: ٣٥.

(٦) النويري، **نهاية الأرب**، ج١٦، ص١٦٣.

(٧) السائب بن العوام الأسدي شقيق الزبير بن العوام، شهد أحدا والخندق، وسائر المشاهد مـــع الرسـول ﷺ، واستشهد يوم اليمامة. ينظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٢، ص١٤٢.

(٨) الواقدي، **كتاب الردّة**، ص١٢٨.

قَدْ ذَهَبَ اللَّوْمُ فَمَا مِنْ لَوْمِ
إِنْ لَمْ تُغَاثُوْا بِالدُّعَا وَالصَّوْمِ

وقال أحد الشعراء المسلمين ليلةَ قتل أهل الحَرَّةِ يهتف بشعر، ومن أبياته[١]:

وَالصَّائِمُوْنَ الْقَائِنتُوْ نَ أُولُوا الْعِبَادَةِ وَالصَّلَاحِ

الحج:

الحج أصله القصد من "حجَّهُ يحجُّه حجّاً أي قصده، وحَجَجْتُ فلانا واعتمدته أي قصدته"، ويقال رجل محجوج أي مقصود[٢].

وفي العصر الجاهلي حملت كلمة "الحجّ" أيضاً معنى زيارة الكعبة والطواف حولها. وكانت العرب منذ عهد النبي إبراهيم عليه السلام يحجُّون الكعبة كل عام[٣]، إلا أن تقديسهم لها كان مختلطاً بعقائد مشوَّشةٍ ومشوَّهةٍ كانوا يدينون بها، فأكثرهم كانوا يأتون الى الكعبة ليطوفوا حول ما فيها من أنصاب وأوثان وأصنام تقرِّبهم -في ظنِّهم الخاطئ- الى الله زلفى، فلم يتوجّهوا إلى الله وحده لا شريك له بحجّهم[٤].

وفي القرآن الكريم ورد لفظ "الحج" بالمعنى الاصطلاحي الجديد غير المعنى الذي عرفه الجاهليون؛ وهو أعمال مخصوصة تؤدّى في زمانٍ مخصوص، ومكان مخصوص على وجه مخصوص[٥]. أو قصدُ الكعبة للنسك[٦]. قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[٧]، وقال أيضاً: ﴿.....وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً....﴾[٨].

---

(١) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٨، ص٦٢٠.

(٢) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٢٢٦.

(٣) ويدل على هذا قولُ الشعراء الجاهليين، منهم النابغة الذبياني، ينظر: **ديوانه**، ص٢٠٥، ولبيد بن ربيعة العامري، ينظر: **شرح ديوانه**، ص٢٩٧.

(٤) ينظر: عودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي**، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٥) ينظر: عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، **كتاب الفقه على المذاهب الأربعة**، ج١، ص٥٤٦-٥٤٧.

(٦) ينظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت٦٧٦هـ)، **كتاب المجموع**، تحقيق محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٩٥م، ج٧، ص٧.

(٧) الحج: ٢٧.

(٨) ال عمران: ٩٧.

وجاء هذا اللفظ بمعناه الجديد أيضاً في شعر الجهاد. يقول أبو الهندي[١] مادحاً أسد بن عبد الله القسري لانتصاره على خاقان، مبرزاً ما كان لهزيمة خاقان من أثر في صيانة أمن العراق وحماية بيت الله الحرام[٢]:

أَبَا مُنْذِرٍ لَوْلَا مَسِيْرُكَ لَمْ يَكُنْ ... عِرَاقٌ وَلَا انْقَادَتْ مُلُوْكُ الْأَعَاجِمِ

وَلَا حَجَّ بَيْتَ اللهِ مُذْ حجّ رَاكِبٌ ... وَلَا عَمَرَ الْبَطْحَاءَ بَعْدَ الْمَوَاسِمِ

الهدى

الهدى كلمة عربية الاشتقاق، يقال: هَدَيْتُ فلاناً الطريقَ، وهديتُه أي تَقَدَّمْتُه لأرشده، ولذلك سُمِّيَ كل متقدّم هادٍ[٣].

وقد استخدمت الكلمة في العصر الجاهلي أيضاً لتدلّ على اتِّباع الرأي السديد والمشورة الناضجة أو تقديمها كما وردت في قول الأَفْوَهِ الأَوْدِيِّ[٤]:

لَا يَصْلُحُ الْقَوْمُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ ... وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوْا

تُهْدَى الْأُمُوْرُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ ... فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ[٥]

يبدو أن الهدى عند الجاهليِّين هو الاهتداء إلى الطريق وإلى الرأي السديد. أما في القرآن الكريم فاستُعْمِلَ "الهدى" للدلالة على خلاف الضلال عن الإيمان والإسلام[٦]. قال الله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٧]، وقال سبحانه أيضاً: ﴿...قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٨].

---

(١) أبو الهندي غالب بنُ عبد القدوس، شاعر قد أدرك الدولتين: دولة بني أمية وأول دولة ولد العباس، وكان جَزْل الشعر، حسن الألفاظ، لطيف المعاني، وإنما أخمله وأمات ذكره بُعْدُه من بلاد العرب، ومقامه بسجستان وبخراسان، وهو أول من وصف الخمر من شعراء الإسلام. ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، ج٢٠، ص٣٤٣.

(٢) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٧، ص١٢٧.

(٣) ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٦، ص٤٢.

(٤) هو صلاءة بن عمرو بن مالك، والأفوه لقبه، وكان من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدُرون عن رأيه. ينظر: الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ج١٢، ص١٩٨.

(٥) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص١٤٣.

(٦) تنظر: إبتسام مرهون الصفار، **أثر القرآن في الأدب العربي**، ص٢٧.

(٧) البقرة: ٢.

(٨) البقرة: ١٢٠.

وقد تضافر ورودُ هذه الكلمة بمعناه الجديد في شعر الجهاد. قال أحد الشعراء المسلمين يدعو سعد بن معاذ وسعد بن عبادة سيِّدَيْ الأوس والخزرج إلى الإسلام(١):

أَجِيْبَا إِلَى دَاعِي الْهُدَى وَتَمَنَّيَا ... عَلَى اللهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عَارِفِ
فَإِنَّ ثَوَابَ اللهِ لِلطَّالِبِ الْهُدَى ... جِنَانٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ رَفَارِفِ

وقال عمرو بن عبد جبل الكلبي مفتخراً بالدين الجديد والإيمان بالله العليِّ القدير(٢):

أَجَبْتُ رَسُوْلَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى ... فَأَصْبَحْتُ بَعْدَ الْجَحْدِ لِلهِ أُوجِرَا

وقال بشّار بن برد في معرِض فخره بالمجاهدين الفرس(٣):

مَنْ ذَا الَّذِيْ عَادَى الْهُدَى ... وَالدِّيْنَ لَمْ يُسْتَلَبِ؟

وجاء في القرآن الكريم أيضاً قول الحق تبارك وتعالى: ﴿....وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٤) أي ولكل أمة أو قوم داعٍ من الأنبياء يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ وإلى الدين الحقّ، فوُصِفَ الرسول ﷺ بأنه بعث هادياً الناسَ يرشدهم إلى الهدى وينقذهم من الضلال. قال عبد الله بن رواحة يمدح الرسول ﷺ في معرض هجائه لأبي سفيان الذي أخلف موعده، ولم يأتِ إلى بدر(٥):

أَطَعْنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بِغَيْرِهِ ... شِهَاباً لَنَا فِيْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

وقال العباس بن مرداس في معرض فخره بقومه بني سليم يوم حنين(٦):

وَأَنَا مَعَ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدِ ... وَفِينَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرٌ أَلْفَا

وقال حُجْر بن عدِيٍّ يوم صفين يدعو الله تعالى أن يجعل عليّ بن أبي طالب هادي الأمّة الإسلاميَّة(٧):

وَاجْعَلْهُ هَادِيَ أُمَّةٍ مَهْدِيَّا ... وَاحْفَظْهُ رَبِّيْ حِفْظَكَ النَّبِيَّا

---

(١) ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٢، ص٣٠٠، وابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٢، ص١٦٢.

(٢) ابن حجر، **الإصابة**، ج٤، ص٣١٥.

(٣) بشّار بن برد، **ديوانه**، ج١، ص٣٠٣.

(٤) الرعد: ٧.

(٥) عبد الله بن رواحة، **ديوانه**، ص١٣٨.

(٦) العباس بن مرداس، **ديوانه**، ٨٩.

(٧) نصر بن مزاحم المِنقري، **وقعة صفين**، ص٣٨١.

الضلال:

الضلال من "ضلَّ يضلُّ ضلالاً"، ويقال: ضلَّ في الأمر ضلالاً أي إذا لم يهتد له، وضلَّ في الأرض ضلالاً إذا لم يهتد للسبيل، ويقال أيضاً: فعل ذاك ضلّة أي في ضلالٍ، وذهب فلان ضلة إذا لم يَدْرِ أين ذهب[١]. فيبدو أن "الضلال" في العصر الجاهلي يفيد معنى الضياع والتيه.

أما في القرآن الكريم فقد ورد لفظ "الضلال" ليدلَّ على عكس الهدى والرشاد والإيمان[٢]. قال الله تعالى: ﴿....لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣]، وقال تعالى أيضاً: ﴿....فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٤].

وجاء لفظ "الضلال" في لغة الشعراء المجاهدين بكثرة. يقول مالك بن الريب متغنيّاً بفروسيته وفتوته[٥]:

أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ... وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا

ويقول سهيل بن عديٍّ[٦] وهو في درب البطولة والعِزَّة إلى رأسِ العين للجهاد[٧]:

سَنَقْصُدُ رَأْسَ عَيْنٍ بَعْدَ حِينٍ ... أَجِدُّ بِحَمْلَتِي جَيْشَ الضَّلَالِ

ويقول الجعد بن ضمام الدوسي راثياً إخوانه المجاهدين الذين استشهدوا في دقوقاء[٨]:

دَعَوْا خَصْمَهُمْ بِالْمُحْكَمَاتِ فَبَيَّنُوا ... ضَلَالَتَهُمْ وَاللهُ ذُو الْعَرْشِ يَسْمَعُ

كما جاء في القرآن الكريم لفظ "ضلّوا" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيدًا﴾[٩]. جاء أيضاً في قول كعب بن مالك يومَ الخندق[١٠]:

---

(١) ينظر: ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج١، ص١٠٥، وابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص٣٩١.

(٢) تنظر: إبتسام مرهون الصفار، **أثر القرآن في الأدب الإسلامي**، ص٣٣.

(٣) مريم: ٣٨.

(٤) الزمر: ٢٢.

(٥) القالي، **ذيل الأمالي والنوادر**، ص١٣٦.

(٦) سهيل بن عديٍّ الأزديّ، استشهد يوم اليمامة كما في الإصابة، ويدل هذا النص على أنه صحابي، وأنه عاش حتى أدرك الفتوح. ينظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٢، ص٢٢٩. وعبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية**، ص١٨٤.

(٧) الواقدي، **فتوح الشام**، ج٢، ص٩٨.

(٨) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٤٥٩.

(٩) النساء: ١٦٧.

(١٠) كعب بن مالك، **ديوانه**، ص٧٩.

إِنَّ الَّذِيْـــنَ يُكَذِّبُـــوْنَ مُحَمَّـــداً كَفَرُوْا وَضَلُّوْا عَنْ سَـبِيْلِ الْمُتَّقِـيْ

فيما سبق تبرز استفادة الشعراء المسلمين من الألفاظ المفردة التي اكتسبت دلالـــة جديـــدة بنزول القرآن الكريم، وفيما يلي تذكر الباحثة محاولة الشعراء الاستفادة من العادات اللفظيـــة أو ما يسمّى بالقوالب الجاهزة في اللغة[١] من القرآن الكريم، لِتُساعِدَهم على نظم شعرهم بســـهولة دون عناء، باعتبار هذه القوالب اللغوية القرآنية مناويل مختزنة في ذاكرتهم يَسْتَدْعُوْنَ منها مـــا يشاءون لنقل أفكارهم وتجربتهم الشعورية إلى الغير[٢].

الحمد لله

لما كان "الحمد" في العصر الجاهلي من الناس للناس[٣]، فجاء في القرآن الكريم لله وحـــده لا شريك له. قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤]، وقال سبحانه أيضاً: ﴿....فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٥]، ومن هنا صارت العبارة "الحمد لله" معروفة لدى المسلمين؛ فلا يتوجّـــهون بالحمد إلا لله تعالى.

وقد تَزَاحَمَ ورود العبارة "**الحمد لله**" في لغة الشعراء المسلمين. قال عمرو بن الجمـــوح[٦] معلِناً إسلامه[٧]:

الحَمْـــدُ لِلهِ الْعَلِـــيِّ ذِي الْمِنَـــنْ الوَاهِـــبِ الـــرَّزَّاقِ دَيَّـــانِ الدِّيَـــنْ

هُوَ الَّـــذِيْ أَنْقَذَنِـــيْ مِـــنْ قَبْـــلُ أَنْ أَكُوْنَ فِـــيْ ظُلْمَـــةِ قَـــبْرٍ مُرْتَـــهَنْ

وقال عمر بن الخطاب حين أعلن إسلامه[٨]:

الحَمْدُ لِلهِ ذِي الْمَنِّ الَّـــذِيْ وَجَبَـــتْ لَهُ عَلَيْنَـــا أَيَـــادٍ مَـــا لَـــهَا غِـــيَرُ

---

(١) ينظر: محمد ناصر بوحجّام، "أثر القرآن الكريم في الشعر الجزائري الحديث"، ص١٣٣.

(٢) ينظر: محمد ناصر بوحجّام، **المرجع نفسه**، ص١٣٣.

(٣) والدليل على ذلك أن الجاهليين كانوا يحمد بعضهم بعضاً كما ورد في أشعار شعرائهم منهم النابغة الذبياني، ينظر: **ديوانه**، ص٩٣.

(٤) الفاتحة: ٢.

(٥) المؤمنون: ٢٨.

(٦) عمرو بن الجموح السلمي الخزرجي الأنصاري، صحابي جليلٌ، شهد بدرا، واستشهد في أحد، ويقال إنـــه آخر الأنصار إسلاماً. ينظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج٣، ص٢٥٣-٢٥٤، وعبد الله بن حامد الحامد، **شـــعر الدعوة الإسلامية**، ص٤١.

(٧) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق١، ص٤٥٣.

(٨) السهيلي، **الروض الأنف**، ج٢، ص١٢٥.

وقال رؤبة بن العَجَّاج[١] يمدح خالدَ بن عبد الله القسري والي العراق لهشام بن عبد الملك لانتصاره على الأعداء ودفعه كيدهم عن ثغور المسلمين[٢]:

فَـــالْحَمْدُ لِلهِ عَلَـــى مَحَـــامِدَا بِخَـــالِدٍ أَحْيَـــى الْعِـــرَاقَ الْفَاسِـــدَا

بحمـــــده

وجاءت العبارة "**بحمده**" في القرآن الكريم في قوله جلَّ جلالـــه: ﴿....وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ....﴾[٣]، ووردت أيضاً هذه العبارة في أشعار الشعراء المسلمين إلا أنـــهم أضـــافوا لفـــظ الجلالة "الله" إلى "الحمد" بدلاً من الضمير، وعلى سبيل المثال قول المهلَّب بن أبي صفـــرة فـــي رثاء عينه، وكان قد فقدها في فتح سمرقند[٤]:

لَئِنْ ذَهَبَتْ عَيْنِيْ لَقَدْ بَقِيَـــتْ نَفْسِـــيْ وَفِيْهَا بِحَمْدِ اللهِ عَنْ تِلْكَ مَا ينسِـــيْ

رب العالمين

كما جاءت العبارة "**ربّ العالمين**" في القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿....إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[٥]، جاءت أيضاً في قول العباس بن مرداس حين أعلن إسلامه[٦]:

لَعَمْرِيْ إِنِّيْ يَـــوْمَ أَجْعَـــلُ جَـــاهِداً ضِمَاراً لِـــرَبِّ الْعَـــالَمِيْنَ مُشَـــارِكَا

وقال أحد الشعراء المجاهدين في معرض مدحه لسعيد بن عمرو الحرشي قائد المســـلمين في معركة خاضها المسلمون في بلاد الخزر[٧]:

أَمَـــدَّكَ اللهُ رَبُّ الْعَـــالَمِيْنَ بِـــــهِم مُسَـــوَّمِيْنَ أَمَـــامَ النَّـــاسِ أَنْصَـــارِ

---

(١) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي راجز من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أكثر مقامة في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره، ويقولـــون بإمامته في اللغة، مات في البادية وقد أسنَّ. ينظر الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٦٢-٦٣.

(٢) رؤبة بن العجاج، **ديوانه (مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج)**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٤٧.

(٣) الإسراء: ٤٤.

(٤) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص١٧٦.

(٥) المائدة: ٢٨.

(٦) الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٤، ص٢٩٧.

(٧) ابن عساكر، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، ج٦، ص١٦٦.

ذو العرش

واستخدم القرآن الكريم العبارة "**ذو العرش**" في عدة آيات، منها قوله ﷻ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[١]، وقال كعب بن مالك يرثي حمزة بن عبد المطلب[٢]:

يُرِيْدُ بِذَاكَ رِضَا أَحْمَدٍ ... وَرِضْوَانَ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ

وقال جرير يمدح العباس بن الوليد من كبار القادة الشجعان في قتال الروم[٣]:

اللهُ أَعْطَاكَ تَوْفِيْقاً وَعَاقِبَةً ... فَزَادَ ذُوْ الْعَرْشِ فِيْ سُلْطَانِكُمْ مَدَدَا

رب المشارق

ووردت العبارة "**رب المشارق**" في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾[٤]، وفي قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[٥]. اقتبس الشعراء هذه العبارة فجاءت في قول حسان بن ثابت في معرض هجائه لعُتْبَة بن أبي وقاص يوم أحد[٦]:

إِذَا اللهُ حَيَّا مَعْشَراً بِفِعَالِهِمْ ... وَنَصْرِهِمُ الرَّحْمٰنَ رَبَّ الْمَشَارِقِ

وقال سراقة بن مرداس[٧] يرثي أبا بكر بن مِخْنَف الذي استشهد في قتال الخوارج[٨]:

فَقُلْتُ تَلَقَّاكَ الْإِلٰهُ بِرَحْمَةٍ ... وَصَلَّى عَلَيْكَ اللهُ رَبُّ الْمَشَارِقِ

---

(١) غافر: ١٥.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص١٥٨.

(٣) جرير، **ديوانه**، ص١٢٦.

(٤) الصافات: ٥.

(٥) المعارج: ٤٠.

(٦) حسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص٣٤٤.

(٧) سراقة بن مرداس البارقي، شاعر عراقي، يماني الأصل، كان ممن قاتل المختار الثقفي بالكوفة، (سنة٦٦هـ)، وله شعر في هجائه، كان ظريفاً، حسن الإنشاد، حلو الحديث، يقربه الأمراء ويحبّونه، وكانت بينه وبين جرير مهاجاة. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص١٢٧.

(٨) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٦، ص١٢٢.

رب الناس

وجاءت العبارة "**رب الناس**" في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[١]، وحاول الطفيل بن عمرو الدوسي الاستفادة منها، فقال حين هدَّدَتْهُ قريش وأوعدته بالقتل معلِناً ثباتَه على الإسلام[٢]:

أَلاَ أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِيْ لُؤَيٍّ ... عَلَى الشَّنْآنِ وَالْغَضَبِ الْمُرِدِّ
بِأَنَّ اللهَ رَبَّ النَّاسِ فَرْدٌ ... تَعَالَىٰ جَدُّهُ عَنْ كُلِّ نِدِّ

نصر الله

ووردت العبارة "**نصر الله**" في قوله تعالى: ﴿...مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٣]. وتضافرت هذه العبارة في شعر الشعراء المسلمين، وعلى سبيل المثال قول أحد المجاهدين الذين اشتركوا في فتوح الشام[٤]:

وَمَا زَالَ نَصْرُ اللهِ يَكْنُفُ جَمْعَنَا ... وَيَحْفَظُنَا مِنْ طَارِقَاتِ النَّوَائِبِ

في سبيل الله

وكَثُرَ ورود العبارة "**في سبيل الله**" في القرآن الكريم. قال الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥]. واستفاد كثير من الشعراء المسلمين من هذه العبارة، منهم حسان بن ثابت، فقال مفتخراً بالمسلمين من الأنصار يوم حنين[٦]:

وَسَارَعُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَاعْتَرَفُوْا ... لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوْا وَمَا ضَجِرُوْا

---

(١) الناس: ١.
(٢) ابن حجر، **الإصابة**، ج٣، ص٤٢٤.
(٣) البقرة: ٢١٤.
(٤) الواقدي، **فتوح الشام**، ج٢، ص١١٧.
(٥) التوبة: ٤١.
(٦) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق٢، ص٤٩٨. اعترفوا: صبروا. خاموا: جبنوا. ما ضجروا: ما أصابهم حرج ولا ضيق.

معاذ الله

واستُخْدِمَت العبارة "**معاذ الله**" في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿....قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[١] واستفاد كعب بن مالك من هذه العبارة وأضفاها على شعره في هجاء أبي عامر عبد عمرو بن صيفيٍّ أحد المنافقين[٢]:

مَعَاذَ اللهِ مِنْ عَمَلٍ خَبِيْثٍ كَسَعْيِكَ فِي الْعَشِيْرَةِ عبد عَمْرِو

بحبل الله

وجاءت العبارة "**بحبل الله**" في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا....﴾[٣] واستلهم كعب بن مَعْدَان الأشقري هذه العبارة في معرض وصفه لقتال المهلَّب بن أبي صفرة للأزارقة وقضائه عليهم[٤]:

إِنَّا اعْتَصَمْنَا بِحَبْلِ اللهِ إِذْ جَحَدُوْا بِالْمُحْكَمَاتِ وَلَمْ نَكْفُرْ كَمَا كَفَرُوْا

رسول الله

وكذلك وردت العبارة "**رسول الله**" بكثرة في القرآن الكريم. قال عزَّ من قائل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٥] فكثُرَتْ هذه العبارة في لغة الشعراء المسلمين، وعلى سبيل المثال قول كعب بن مالك في مدحه للرسول ﷺ يوم أحد[٦]:

وَفِيْنَا رَسُوْلُ اللهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ إِذَا قَالَ فِيْنَا الْقَوْلَ لَا نَتَطَلَّعُ

---

(١) يوسف: ٢٣.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ق١، ص٥٨٦.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٦، ص٣٠٨.

(٥) الأعراف: ١٥٨.

(٦) ابن هشام، **المصدر نفسه**، ق٢، ص١٣٣.

أولياء الله

ذكرت العبارة "**أولياء الله**" في القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١) واستفاد حسان بن ثابت من هذه العبارة في رثاء شهداء مؤتة، فيقول(٢):

هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الكِتَابُ الْمُطَهَّرُ

رحمة الله

واستخدم القرآن الكريم العبارة "**رحمة الله**" في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣). وجاءت هذه العبارة في رثاء الفرزدق للجراح بن عبد الله الحكمي أمير خراسان الذي استشهد غازياً بمرج أَرْدَبِيْل، قتله الخزر، قال الشاعر(٤):

لَقَدْ صَبَرَ الْجَرَّاحُ حَتَّى مَشَتْ بِهِ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ السُّيُوْفُ الصَّوَارِمُ

بعد هذا العرض، يتبيَّن أن الألفاظ أو المصطلحات أو العبارات المتأثِّرة بالقرآن الكريم المستخدمة في شعر الجهاد كانت تتألَّف من كلمة واحدة ومن عدَّة كلمات أحياناً أخرى، وبعض تلك الألفاظ أو المفردات قد ضاقت معانيها، واتسعت معانٍ أخرى، وتغيَّر معنىً ما تغيُّراً كلِّيّاً.

ويبدو كذلك أن الشعراء المسلمين أكثروا من استلهام القوالب اللغوية القرآنية أو العبارات القرآنية التي وردت على صورة الإضافة. وهذه الصورة تفيد تخصيص الاسم المضاف إلى ما بعده، ونسبته إليه وحده، وبالتالي تعريف هذا الاسم المضاف بعدما كان غير معروف قبل الإضافة، كل ذلك يقوِّي الفكرة ويؤكِّدها، والمعنى كلَّما كان دقيقاً، واللفظ الدالُّ عليه واضح الدلالة، كان أروع وأجمل وأوقع في النفس(٥).

ومن الملاحظ أيضاً أن تلك العبارات لم تَخْلُ من لفظ الجلالة أو من صفة من صفات الله عزَّ وجلَّ، لأن همَّ الشعراء المسلمين دعوة الناس إلى توحيد الله تعالى، والدفاع عن الدين وصون كيانه، فتضافرت وتزاحمت هذه العبارات وتلك الألفاظ والمفردات ذات الدلالة الجديدة في أشعارهم، فصارت لغة شعر الجهاد سهلة ليِّنة بعيده عن خشونة الكلمة الجاهلية وصعوبة تركيب العبارة.

---

(١) يونس: ٦٢.

(٢) حسان بن ثابت، **ديوانه بشرح البرقوقي**، ص٢٣٤.

(٣) الأعراف: ٥٦.

(٤) الفرزدق، **ديوانه**، ج٢، ص٢٥١.

(٥) ينظر: محمد ناصر بو حجام، "أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث"، ص١٤٤.

الخاتمـــــــــــــــــــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبيّـــه محمّـــد خـــاتم الأنبيـــاء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اتّبع هداه إلى يوم الدين، وبعد،

فقد توصّلت الدراسة إلى جملة من النتائج، تلخّصها الباحثة على النحو الآتي:

أولاً: تأثّر شعر الجهاد –على مدى مدة موضوع الدراسة– بالقرآن الكريم تأثُّراً بالغ الأهميّـة ممّا أدّى إلى تطوُّرٍ في ألفاظه ومعانيه وصوره وموضوعاته، وهذا يعكس الأثـــر الإيجابي في رفع مستوى ذلك الشعر لكن بالقدر الذي يتلاءم مع هدف شعر الجهاد.

ثانياً: إن أثر القرآن الكريم في شعر الجهاد لم يكن محصوراً في الموضوعات الجديـــدة أو المعاني المستحدثة، وإنما تجاوزها إلى الموضوعات التقليدية سواء في المفـــردات اللغوية المستعملة أو المعاني التي أكّدها الشّعراء، فأصبح شعر الجهاد متأرجحـــاً بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي.

ثالثاً: إن أثر القرآن الكريم في شعر الجهاد –بشكل عام– في عصر صـــدر الإســـلام أكـــثر وضوحاً منه في العصر الأمويّ، ولعلّ ذلك يعود إلى أن تاريخ الإســـلام، المتّصِـف بالحياة الإسلامية الحقّة هو عصرُ سيّد المرسلين وعصر الخلفاء الراشدين، وأن حيـــاة العرب الاجتماعية في العصر الأمويّ تُقَارِبُ من بعض الوجوه حياتهم في الجاهليّة.

رابعاً: كثيراً ما يلاحظ أن عدداً من الشّعراء يتأثّرون بآية واحدة من الآيات القرآنية، لأنّـــه من الطبيعيّ أن يتأثّر الواحد من الشّعراء بالآخر، لأنهم عاشوا في ظروف بيئيّـــة وحضاريّة واحدة وتعاملوا مع مُعْطَيات واحدة.

خامساً: من الظواهر التي تلاحظ على شعر الجهاد المتأثر بالقرآن الكريم أيضـــاً شـــيوع المقطوعات التي قد تهبط أحياناً إلى البيت الواحد؛ وربما يكون مردُّ ذلك إلـــى أن كثيراً من شعر الجهاد قد ضاع، أو ربما يعود إلى طبيعة الظروف التي قيل فيـــها شعر الجهاد وهي ظروف القتال والمعارك.

سادساً: يخلو شعر الجهاد المتأثّر بالقرآن الكريم –في أغلبه– من الصنعة الشعريّة الواضحة أو الجهد الفنّيّ المركّز، بل هو شعر سهل مطبوع، يتدفّق بيسر وانسياب، حتى يوشـــك أن يكون في بعض الأحيان كالكلام العاديّ في خفّته، وقرب مأخذه، وسهولة تناوله، فـــهو شعر لم يُتَح له الوقت للإعداد والتهيئة أو للمراجعة وتدقيق النظر، لأن أكثر الشّـــعراء الّذين قالوا الشّعر في الجهاد كانوا قد شاركوا في الغزوات والمعارك والفتوحات.

والحمد لله في البدء والختام.

التوصيـــــــات

وبعد هذا الجهد المتواضع، فإن الباحثة تتقدَّم بعدَّةِ تَوْصِيَات:

أولاً: متابعة البحث والدراسة حول أثر القرآن الكريم في شعر الجهاد في العصور التالية.

ثانياً: دراسة أثر الحديث النبويِّ الشريف في شعر الجهاد أو الشّعر الإسلاميِّ.

ثالثاً: الأخذ بعنوان هذا البحث لصياغة أبحاث عن أشعار الفقهاء أو الصوفيين أو الفـــرق الإسلامية.

رابعاً: تسليط الأضواء على الشّعراء المجاهدين المغمورين، إذ كان من الغريب أنـــهم ذوو أثر كبير في حياة الإسلام ولم ينالوا من كتب الأدب ما هو جديرٌ بهم من الـدراسة، فلا تزال أخبارهم خليطاً من الروايات المقتضبة إلى حدٍّ كبير، ولم تُرْوَ أشعارُهم إلاّ في كتب طبقات الصحابة، فتسليط الأضواء على هؤلاء الشّعراء وعلـــى شـــعرهم سيكون ذا فائدة كبرى في عدالة تقويم شعر ذلك العصر المفترى عليه.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر:

١. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م)، **المؤتلف والمختلف**، تصحيح وتعليق ف. كرنكو، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

٢. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمّد بن الأثير (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٣. ابن الأثير، علي بن محمّد الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، **أُسْد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.

٤. ـــــــــ، **الكامل في التاريخ**، تحقيق محمّد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٥. أحمد بن محمّد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، **المسند**، تحقيق أبي المعاطي النوري وآخرين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨م.

٦. الأزرقي، أبو الوليد محمّد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٢٣هـ/٨٣٧م)، **أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط٨، مكتبة الثقافة، مكّة المكرمة، ١٩٩٦م.

٧. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م)، **تهذيب اللغة**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ومحمود فرج العقدة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د.ت.

٨. أبو الأسود الدؤلي، **ديوانه**، صنعة السُكّري، أبي سعيد الحسن بن الحسين (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م)، تحقيق محمّد حسن آل ياسين، ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٨م.

٩. **الأصفهاني**، أبو بكر محمد بن داود (ت٢٩٧هـ/٩٠٩م)، **الزهرة**، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط٢، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٥م.

١٠. **الأصفهاني**، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمّد (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)، **الأغاني**، شرح عبد الأمير علي مهنا وسمير جابر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

١١. ابن أعثم، أبو محمّد أحمد بن أعثم (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)، **كتاب الفتوح**، تحقيق علي شيري، ط١، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م.

١٢. ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد (ت٢٣١هـ/٨٤٥م)، **كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها**، تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٥م.

١٣. الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، **ديوانه**، شرح وتعليق محمد محمد حسين، ط٧، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

١٤. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود شكري (ت١٢٧٠هـ/٧٤٤م)، **روح المعاني**، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت.

١٥. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م)، **كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٣م.

١٦. البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد الله بن يحيى (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، **الحماسة**، تحقيق كمال مصطفى، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٢٩م.

١٧. بشار بن برد، **ديوانه**، جمع وشرح صلاح الدين الهواري، ط:١، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٨م.

١٨. البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ/١١٢٢م)، **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل**، تحقيق خالد بن عبد الرحمن العك ومروان سوار، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.

١٩. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٢٠. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **أنساب الأشراف**، تحقيق إحسان عباس، دار النشر فرانتس شتاينز، بيروت، ١٩٧٩م.

٢١. ـــــــــ، **فتوح البلدان**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧م.

٢٢. ابن تيمية، أحمد بن تيمية الحرّاني (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢٣. ـــــــــ، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تحقيق محمّد بن عبد الله الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧م.

٢٤. ـــــــــ، **مجموع الفتاوى**، ط١، دار الوفاء، المنصورة-مصر، ١٩٩٧م.

٢٥. ـــــــــ، **مكارم الأخلاق**، تحقيق عبد الله بدران ومحمد عمر الحاجي، ط١، دار الخير، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٦. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، **فقه اللغة وسرّ العربية**، تحقيق أملين نسيب، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٧. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، **البيان والتبيين**، تحقيق درويش جويدي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٨. الجرجاني، عبد القاهر (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م)، **أسرار البلاغة**، تحقيق محمد الفاضلي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٩. جرير، **ديوانه**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.

٣٠. ابن جُزيّ الغرناطي المالكي، محمّد بن أحمد (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)، **قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤م.

٣١. الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، **الصّحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

٣٢. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٣٣. ـــــــــ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط١، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٩٩٧م.

٣٤. ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، **شرح نهج البلاغة**، ط٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٥. ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.

٣٦. حسان بن ثابت، **ديوانه**، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.

٣٧. ـــــــــ، **ديوانه**، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

٣٨. أبو حيان الأندلسي، محمّد بن يوسف (ت٧٥٤هـ/١٣٥٣م)، **البحر المحيط في التفسير**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.

٣٩. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وَفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٠. أبو دريد، محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١هـ/٩٣٣م)، **جمهرة اللغة**، ط١، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

٤١. الدينوري، أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م)، **الأخبار الطوال**، تحقيق عبد المنعم عامر، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

٤٢. **ديوان الهذليين**، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.

٤٣. الذهبي، محمّد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق حسين الأسد، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

٤٤. رؤبة بن العجاج، **ديوانه (مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج)**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.

٤٥. الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م)، **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية**، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٨م.

٤٦. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد خليل عيتاني، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨م.

٤٧. ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن شهاب الدين (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، **جامع العلوم والحِكم**، تحقيق محمّد الأحمدي أبي النور، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٨م.

٤٨. ابن رشد، محمّد بن أحمد بن رشد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)، **مقدمات ابن رشد**، تحقيق حمدي الدَّمَرداش محمد، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.

٤٩. ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق(ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط:٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.

٥٠. الرضيّ، أبو الحسن محمّد بن أبي أحمد الحسين (ت٤٠٤هـ/١٠١٣م)، **نهج البلاغة**، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت.

٥١. الزبيدي، محمد بن محمد (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٥م.

٥٢. الزركشي، بدر الدين محمّد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٥٣. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، **أساس البلاغة**، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٥٤. ـــــــــ، **الكشاف**، تحقيق عبدالرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٥٥. السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمّد بن عثمان (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م)، **المعمّرون والوصايا**، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م.

٥٦. السرخسي، أبو بكر محمّد بن أبي سهل (ت٤٩٠هـ/١٠٩٦م)، **كتاب المبسوط**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

٥٧. ابن سعد، محمّد بن سعد الهاشمي (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، **الطبقات الكبرى**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

٥٨. ابن سلام، محمّد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ/٨٤٥م)، **طبقات فحول الشّعراء**، شرح محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

٥٩. السّهْميّ، أبو القاسم حمزة بن يوسف القرشي (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م)، **تاريخ جرجان**، تحت مراقبة محمّد عبد المعين خان، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨١م.

٦٠. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت٥٨١هـ/١١٨٥م)، **الروض الأنف**، تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٦١. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الشافعي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، **تاريخ الخلفاء**، تعليق محمود رياض الحلبي، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.

٦٢. ـــــــــ، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت.

٦٣. ابن الشجري، هبة الله بن علي (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)، **الحماسة الشجرية**، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م.

٦٤. الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر (ت١٠٦٩هـ/١٦٥٨م)، **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٦٥. الشوكاني، محمّد بن علي (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، **فتح القدير**، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط٢، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٩٩٧م.

٦٦. ـــــــــ، **نيل الأوطار**، تحقيق وهبة الزحيلي، ط٢، دار الخير، دمشق، ١٩٩٨م.

٦٧. الصاوي، أحمد بن محمد (١٢٤١هـ/١٨٢٥م)، **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٦٨. الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، روائع التراث العربيّ، بيروت، ١٩٦٧م.

٦٩. ـــــــــ، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٧٠. الطرماح، **ديوانه**، تحقيق عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٨م.

٧١. ابن عابدين، محمّد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي (ت١٢٥٢هـ/١٨٣٦م)، **رد المحتار على الدُّر المختار**، تحقيق محمّد صبحي حسن حلاق و عامر حسين، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٩٨م.

٧٢. العباس بن مرداس، **ديوانه**، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، مديرية الثقافة العامة، بغداد، ١٩٦٨.

٧٣. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمّد (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمّد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٧٤. ابن عبد ربه، أحمد بن محمّد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، **العقد الفريد**، تحقيق عبد المجيد الترحيني، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٧٥. عبد الله بن رواحة، **ديوانه**، جمع وتحقيق وليد قصاب، ط٢، دار الضياء، عمان، الأردن، ١٩٨٨م.

٧٦. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، تهذيب وترتيب عبد القادر بدران، ط٣، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٨٧م.

٧٧. علي بن أبي طالب، **ديوانه**، تحقيق عبد المنعم العاني، ط١، الحكمة للطباعة و النشر، دمشق، ١٩٩٤م.

٧٨. ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق وتعليق: محمود أرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٨م.

٧٩. العمري، ياسين بن خير الله (ت١٢٣٢هـ/١٨١٦م)، **الروضة الفيحاء في تواريخ النساء**، تحقيق رجاء محمود السامرائي، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٦م.

٨٠. الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد (ت٥٠٥هـ/١١١١م)، **إحياء علوم الدين**، ط٣، دار الخير، بيروت، ١٩٩٤م.

٨١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها**، تحقيق: أحمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٨٢. ـــــــــ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

٨٣. الفخر الرازي، أبو عبد الله محمّد بن عمر (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، **التفسير الكبير**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.

٨٤. الفرزدق، **ديوانه**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

٨٥. القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)، **ذيل الأمالي والنوادر**، ط٣، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ.

٨٦. ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

٨٧. ـــــــــ، **الشّعر والشعراء**، تحقيق عمر الطباع، ط١، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧م.

٨٨. قدامة بن جعفر (ت٣٣٧/٩٤٧هـ)، **نقد الشعر**، تحقيق كمال مصطفى، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م.

٨٩. ابن قدامة، أبو محمّد عبد الله بن أحمد الحنبلي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، **المغني**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمّد الحلو، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٩٩٠م.

٩٠. القرطبي، محمّد بن أحمد (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.

٩١. القسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمّد الشافعي (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ضبط وتصحيح محمّد عبد العزيز الخالدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

٩٢. ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٩٣. الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود (ت٥٨٧هـ/١١٩١م)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، تحقيق محمّد عدنان بن ياسين درويش، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٨م.

٩٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، توثيق عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.

٩٥. ـــــــــ، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمّد السلامة، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٩م.

٩٦. ـــــــــ، **قصص الأنبياء**، تحقيق عبد الحي الفرماوي، ط١، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٢م.

٩٧. كعب، ابن مالك، **ديوانه**، تحقيق وشرح مجيد طراد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

٩٨. ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)، **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

٩٩. الكميت بن زيد الأسدي، **شرح الهاشميات**، ط٣، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر، د.ت.

١٠٠. لبيد بن ربيعة العامري، **شرح ديوانه**، تحقيق وتقديم إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م.

١٠١. مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ/٧٩٥م)، **المدونة الكبرى**، تحقيق حمدي الدّمرداش محمد، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٩م.

١٠٢. المبرِّد، أبو العباس محمّد بن يزيد (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م)، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق محمّد أحمد الدالي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

١٠٣. المرزباني، أبو عبيد الله محمّد بن عمران (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، **معجم الشعراء**، تصحيح وتعليق ف. كرنكو، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

١٠٤. المَزّي، أبو الحجّاج يوسف (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق بشار بن عواد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠٥. المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق عبد الأمير علي مهنّا، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١م.

١٠٦. ابن مفرغ الحميري، **ديوانه**، جمع وتقديم داود سلوم، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٦٨م.

١٠٧. المقدِسي، مطهّر بن طاهر (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م)، **البدء والتاريخ**، مطبعة برطرند، مدينة شالون، ١٩١٦م.

١٠٨. المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **إمتاع الأسماع**، تحقيق محمّد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

١٠٩. ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت.

١١٠. ابن ميمون، محمّد بن المبارك بن محمّد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **منتهى الطلب من أشعار العرب**، تحقيق محمّد نبيل طريفي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

١١١. النابغة الجعدي، **ديوانه**، جمع وتحقيق وشرح واضح الصمد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

١١٢. النابغة الذبياني، **ديوانه**، جمع وشرح وتعليق محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦م.

١١٣. النابغة الشيباني، **ديوانه**، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم يعقوب، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٨٧م.

١١٤. نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ/٨٢٧م)، **وقعة صفّين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

١١٥. أبو نُعَيْم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م

١١٦. النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، **كتاب المجموع**، تحقيق محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٩٥م.

١١٧. ـــــــــ، **المنهاج شرح الجامع الصحيح**، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط١، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ١٩٩٧م.

١١٨. النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د.ت.

١١٩. ابن هشام، أبو محمّد عبد الملك بن هشام (ت٢١٨هـ/٧٣٣م)، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

١٢٠. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، **كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر**، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢م.

١٢١. ابن الهمام، محمّد بن عبد الواحد (ت٨٦١هـ/١٤٥٦م)، **شرح فتح القدير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٢٢. الواقدي، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م)، **فتوح الشام**، مكتبة المحتسب، عمان، د.ت.

١٢٣. ـــــــــ، **كتاب الردة**، تحقيق يحيى الجبوري، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

١٢٤. ـــــــــ، **كتاب المغازي**، تحقيق مارسدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد، د.ت.

١٢٥. ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، د.ت.

ثالثاً: المراجع:

١٢٦. آل حسين، محمّد بن عبد الله (ت١٣٨١هـ/١٩٦١م)، **الزوائد**، ط٢، مكتبة دار البيان، القاهرة، د.ت.

١٢٧. ابتسام مرهون الصفار، **أثر القرآن الكريم في الأدب العربي في القرن الأول الهجري**، ط١، مطبعة اليرموك، بغداد، ١٩٧٤م.

١٢٨. ـــــــــ، **الأمالي في الأدب الإسلامي**، جامعة بغداد، د.ت.

١٢٩. ـــــــــ، **التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة**، ط١، مطبعة الآداب في النخف الأشرف، ١٩٦٧م.

١٣٠. إحسان عباس، **شعر الخوارج**، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤م.

١٣١. ـــــــــ، **فنّ الشعر**، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م.

١٣٢. أحمد أمين، **فجر الإسلام**، ط:١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٣٣. أحمد بهجت، **أنبياء الله**، ط١٥، دار الريّان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٣٤. أحمد حسن الزيات، **تاريخ الأدب العربي**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٥م.

١٣٥. أحمد الشايب، **أصول النقد الأدبي**، ط١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٣٦. أحمد عبد الرحمن حماد، **عوامل التطور اللغوي – دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية**، مطابع البيان التجارية، دبي، د.ت.

١٣٧. إخلاص فخري عمارة، **الإسلام والشعر**، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت.

١٣٨. إميل بديع يعقوب، **معجم الإعراب والإملاء**، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.

١٣٩. ـــــــــ، **المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

١٤٠. أيهم عباس حمودي القيسي، **شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة ٢٣ هجرية**، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.

١٤١. جابر عصفور، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

١٤٢. جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م.

١٤٣. حسن البنا، "رسالة التعاليم"، في **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، دار الشهاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٤٤. حسن خالد، **الشهيد في الإسلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١.

١٤٥. حسين جمعة، **الرثاء في الجاهلية والإسلام**، ط١، دار معد للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩١م.

١٤٦. حسين الحسني، **النصر في القرآن**، ط١، دار المجتبى، بيروت، ١٩٩٢م.

١٤٧. حسين عطوان، **الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي**، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م.

١٤٨. حنا الفاخوري، **الفخر والحماسة**، ط٥، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١٤٩. رؤوف شلبي، **الجهاد في الإسلام منهج وتطبيق**، مجمع البحوث الإسلامية، د.م، ١٩٨٠م

١٥٠. ربيعة أبو فاضل، **حسان بن ثابت الأنصاري شاعر الإسلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م.

١٥١. الركابي، **الجهاد في الإسلام**، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧م.

١٥٢. الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

١٥٣. الزركلي، خير الدين بن محمود بن علي (ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، **الأعلام**، ط٣، د.ن، بيروت، ١٩٦٩م.

١٥٤. زكي المحاسني، **شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة**، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١٥٥. سامي الدهان، **المديح**، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٥٦. سعيد حوّى، **جند الله ثقافةً وأخلاقاً**، ط٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٥٧. ـــــــــ، **المستخلص في تزكية الأنفس**، ط٧، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٥٨. السيد سابق، **العقائد الإسلامية**، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٥٩. سيد قطب، **التصوير الفنّيُّ في القرآن**، ط١١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٦٠. ـــــــــ، **في ظلال القرآن**، ط٢٦، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٦١. شكري فيصل، **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول**، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٢م.

١٦٢. شوقي أبو خليل، **حنين والطائف**، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.

١٦٣. شوقي ضيف، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥م.

١٦٤. ـــــــــ، **الرثاء**، ط٤، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١٦٥. ـــــــــ، **العصر الإسلامي**، ط٦، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١٦٦. ـــــــــ، **العصر الجاهلي**، ط٨، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١٦٧. ـــــــــ، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ط٤، دار المعارف، مصر، د.ت.

١٦٨. شوقي عبد الحليم حمادة، **الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

١٦٩. صالح اللحيدان، **الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع**، ط٣، دار اللواء، الرياض، ١٩٨٠م.

١٧٠. صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥م.

١٧١. صفيُّ الرحمن المباركفوري، **الرحيق المختوم**، ط١، دار السلام، الرياض، ١٤١٨هـ.

١٧٢. صلاح خالدي، **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨م.

١٧٣. صلاح الدين الهادي، **الأدب في عصر النبوة والراشدين**، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٧٤. صلاح مصيلحي علي عبد الله، **التقليد والتجديد في الشّعر العربيّ حتى نهاية العصر الأموي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر د.ت.

١٧٥. طه حسين، **المجموعة الكاملة لمؤلّفات طه حسين**، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢م.

١٧٦. ظافر القاسمي، **الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.

١٧٧. ـــــــــ، **نظرات في الشّعر الإسلامي والأموي**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٧م.

١٧٨. عبد الباقي رمضون، **الجهاد سبيلنا**، ط٢، مؤسسة الرياض، بيروت، ١٩٩٠م.

١٧٩. عبد الحميد جيده، **قصيدة الهجاء عن دعبل الخزاعي وابن الرومي**، دار الشمال، طربلس، لبنان ١٩٨٥م.

١٨٠. عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، **فتح المجيد**، مراجعة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط١، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، ١٩٩٦م.

١٨١. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط٧، دار القلم، دمشق، ١٩٩٤م.

١٨٢. عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (ت١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، **كتاب الفقه على المذاهب الأربعة**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

١٨٣. عبد الرحيم محمود زلط، **التأثير النفسي للإسلام في الشعر**، ط١، دار اللواء، الرياض، ١٩٨٣م.

١٨٤. عبد الرزاق حسين، **شعر الخوارج دراسة فنية موضوعية مقارنة**، ط١، دار البشير، عمان، الأردن، ١٩٨٦م.

١٨٥. عبد العزيز عتيق، **علم المعاني – البيان – البديع**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

١٨٦. عبد العزيز بن محمّد الزير ومحمد بن عبد الله الأطرم، **شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي**، الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية، الرياض، ١٩٧٢م.

١٨٧. عبد الفتاح صالح نافع، **الصورة في شعر بشار بن برد**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٣م.

١٨٨. عبد القادر بن عبد العزيز، **العمدة في إعداد العُدة للجهاد في سبيل الله تعالى**، ط١، دار البيارق، عمان، الأردن، ١٩٩٩م.

١٨٩. عبد القادر القط، **في الشعر الإسلامي والأموي**، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١٩٠. عبدالكريم زيدان، **المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية**، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م

١٩١. عبد الله بن أحمد القادري، **الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته**، ط١، دار المنارة، جدة، ١٩٨٥م.

١٩٢. عبد الله بن حامد الحامد، **شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين**، الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية، الرياض، ١٩٧١م.

١٩٣. عبد الله غوشة، **الجهاد طريق النصر**، منشورات وزارة الأوقاف، عمان، ١٩٧٦م

١٩٤. عبد الملك البراك، **ردود على أباطيل وشبهات حول الجهاد**، ط١، النور للإعلام الإسلامي، عمان، الأردن، ١٩٩٧م.

١٩٥. عبد المنعم أحمد يونس، **كعب بن مالك الأنصاري حياته وشعره**، ط١، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر، ١٩٨٦م.

١٩٦. عثمان جمعة ضميرية، **منهج الإسلام في الحرب والسلام**، ط١، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ١٩٨٢م.

١٩٧. عز الدين إسماعيل، **التفسير النفسي للأدب**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٩٨. ــــــــــ، **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م.

١٩٩. عزيزة فوال بابتي، **معجم الشّعراء المخضرمين والأمويين**، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٠٠. عفيف عبد الرحمن، **معجم الشّعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي**، ط١، دار المناهل، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٠١. علي الجندي، **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٦م.

٢٠٢. علي عبد الحليم محمود، **ركن الجهاد أو الركن الذي لا تحيا الدعوة إلاّ به**، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ميدان السيدة زينب، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٠٣. علي عبد الواحد وافي، **فقه اللغة**، ط٥، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٢م.

٢٠٤. علي بن نفيع العلياني، **أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه**، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٥م.

٢٠٥. عمر أحمد عمر، **الجهاد في سبيل الله**، ط١، دار المكتبي، دمشق، ١٩٩٩م

٢٠٦. عمر فرّوخ، **تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥.

٢٠٧. عودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم**، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٥م.

٢٠٨. كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربيّ**، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م.

٢٠٩. كامل حسن البصير، **بناء الصورة الفنية في البيان العربي**، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.

٢١٠. مجاهد مصطفى بهجت، **التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول**، ط١، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٨٢م.

٢١١. محمّد أحمد جاد المولى، **قصص القرآن**، المكتبة الأموية، د.م، د.ت.

٢١٢. محمّد أحمد خلف الله، **دراسات في الأدب الإسلامي**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧م.

٢١٣. محمد جمعة عبد الله، **وسائل النصر من القرآن والسنة**، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٥م.

٢١٤. محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، **تفسير المنار**، تخريج وشرح إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

٢١٥. محمّد سعيد رمضان البوطي، **فقه السيرة النبوية**، ط١١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.

٢١٦. محمد سعيد مبيض، **خنساء بنت عمرو بن الشريد – موسوعة حياة الصحابيات**، ط١، مكتبةالغزالي، إدلب، سوريا، ١٩٩٠م.

٢١٧. محمد شديد، **الجهاد في الإسلام**، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢١٨. محمد عبد العزيز أبو سخيلة، **أحكام الجهاد في الإسلام**، د.ن، د.م، د.ت.

٢١٩. محمّد عزة دروزة، **الجهاد في سبيل الله في القرآن والحديث**، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٧٥م.

٢٢٠. محمّد علي السايس، **تفسير آيات الأحكام**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٢١. محمد علي الهاشمي، **كعب بن مالك الأنصاري الصحابي الشاعر الأديب**، ط:١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٥.

٢٢٢. محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ط٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٢٣. محمد قطب، **منهج الفن الإسلامي**، دار الشروق، بيروت، د.ت.

٢٢٤. محمد متولي الشعراوي، **الجهاد في الإسلام**، ط١، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٨م

٢٢٥. محمد محمد حسين، **الهجاء والهجاءون**، مكتبة الآداب، الإسكندرية، مصر، ١٩٤٧م، ص ١٧٥.

٢٢٦. محمد مصطفى هدارة، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، قصر الصفا، الإسكندرية، مصر، ١٩٨١م.

٢٢٧. محمّد بن ناصر الجعوان، **القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته**، ط٢، مطابع المدينة، الرياض، ١٩٨٣م.

٢٢٨. محمّد نعيم ياسين، **الجهاد ميادينه وأساليبه**، ط١، مكتبة الأقصى، عمّان، ١٩٧٨م.

٢٢٩. محمود شيت خطاب، **جيش الرسول ﷺ**، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٣م.

٢٣٠. مخيمر صالح موسى، **رثاء الأبناء في الشّعر العربيّ إلى نهاية القرن الخامس الهجري**، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، د.ت.

٢٣١. مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط١، دار المنار، القاهرة، ومكتبة فياض، المنصورة، ١٩٩٧م.

٢٣٢. مصطفى عبد الشافي الشوري، **شعر الرثاء في صدر الإسلام**، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الجيزة، مصر، ١٩٩٦م.

٢٣٣. مصطفى ناصف، **الصورة الأدبية**، ط٣، دار الأندلس، د.م، ١٩٨٣م.

٢٣٤. ناصر بن عبدالرحمن، **النظم القرآني في آيات الجهاد**، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٦م.

٢٣٥. النعمان عبد المتعال القاضي، **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م.

٢٣٦. ـــــــــ، **الفرق الإسلامية في الشّعر الأموي**، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٢٣٧. نوري حمّودي القيسي، **شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري**، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٣٨. الهادي حمودة الغزي، **الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٦م.

٢٣٩. وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩١م.

٢٤٠. يحيى شامي، **موسوعة شعراء العرب**، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٤١. يحيى وهيب الجبوري، **الشّعر الجاهلي، خصائصه وفنونه**، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

٢٤٢. ـــــــــ، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

٢٤٣. إبراهيم محمد غماري المغربي، "شعر الفتوح الإسلامية في العصر الأموي"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٨٦م.

٢٤٤. أحمد محمّد خلف المومني، "التعبئة الجهادية في الإسلام"، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٥م.

٢٤٥. حسن مرعي حسن الشلبي، "البطولة في الشعر العربي الإسلامي زمن الرسول ﷺ"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، ٢٠٠٠م.

٢٤٦. خالد محمود محمد عزام، "أثر الإسلام في شعر جرير بن عطية"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، ١٩٩٩م.

٢٤٧. رامية محفوض، "الصورة الفنية في شعر ذي الرمّة"، رسالة الدكتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، سوريا، ١٩٩٨م.

٢٤٨. محمد ناصر بو حجّام، "أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث (١٩٢٥م-١٩٧٦م)"، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٩٨٧م.

خامساً: المقالات:

٢٤٩. عطية صقر، "معنى الجهاد وميادينه"، **المجتمع**، العدد ١٤٢٤، الكويت، ٢٠٠٠م.

٢٥٠. محمد يوسف الجاهوش، "الجهاد... بالنية"، **المجتمع**، العدد ١٤١٢، الكويت، ٢٠٠٠م.

ABSTRACT

THE INFLUENCE OF THE HOLY QURAN ON THE POETRY OF *AL-JIHAD* UNTIL THE END OF THE UMAYYAD ERA

Presented by:

SAERAH PENACHOK DAENG MALINTAK DAENG ABDUL KARIM

Supervised by:

PROF. DR. YAHIA WAHIB AL-JUBOURI

This study aims at highlighting one of the important topics in Arabic literature; the influence of the Holy Quran on the poetry of *al-Jihad* from the beginning of Islam to the end of the Umayyad Era. *Jihad* is one of the greatest forms of worship that brings a Muslim closer to Allah (The Creator). It is one of the most important obligatory injunctions, for it is the basic pillar of Islam. It is a fortress of the religion, the fence of the nation and the source of its dignity and pride, by which sacred things are protected; lands and honors are preserved, truth and faith is prevailed, falsehood and its people are defeated. Moreover, *Jihad* is the way of salvation and the path of Heaven.

The poetry of *al-Jihad* is one of the many Arabic poetry's types and it is the best example in representing the Islamic poetry. Therefore, it can be considered the natural field for discerning the influence of the Holy Quran on Arabic poetry.

The study consists an introduction, a preliminary chapter, four chapters and a conclusion. The introduction explains the reasons for choosing the subject, its objectives and methods. The preliminary part clarifies the concept of *Jihad* in Islam, and *Jihad*'s stages of jurisprudence.

The first chapter deals with the topics of *Jihad* poetry influenced by the Holy Quran, which contain Islamic missionary and its impelling for steadfastness in the faith, the encouragement of *Jihad,* besides elegies, parodies, praise, and pride.

The second chapter discusses the Quranic views and meanings in the poetry of *al-Jihad.* These are stated as they originally occur in the Holy Quran and as a source of inspiration for the poets in attempting to express their feelings and ideas. The Quranic views and meanings are the special interest to the Muslim poets; it can be defined as an exposition of the basic factors leading to victory such as the belief in Allah, God's fear and the support of the religion of Allah. The poetry also explained the factors that are needed to the enemy such as patience, ingenuous, the obedience to Allah and His messenger, the belief in the determination of death, the complete trust in Allah, frequent remembrance of Allah; praying to him, and the assistance of angels.

The third chapter seeks to reveal the Quranic images adopted by the poets, which influenced their poetry. It aims at throwing light on the battles of Islam during the Revelation period and afterwards, images of Heaven and Hell, and those images included in the Quranic stories and parables. It examines the ability of the various poets to draw images, which are not theirs to begin with.

The fourth chapter attempted to specify the impact of the Holy Quran on the poetic vocabulary: words, structures and widely-circulating terms; the faith, which are all related to the creed.

In the conclusion, the researcher listed the most significant results of the study.